# أكون أو لا أكون

عنوان الكتاب: أكـــــــون أو لا أكـــــــون
الموضـــــــوع: روايـــــــــــــــــــــة
التـأليـــــف: فاطمـــــــة البقـــــاعي
الإخــراج الفنــيّ: عمـــــرو وســـــالم ســـــواح
تصميم الغلاف: فـــــــارس إيهـــــــاب
رقـــم الإيـــداع: ١٧٧٢٣ /٢٠١٩
التــرقيم الــدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٥-١٤٠٠-٨
الناشر : زحمة كتاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع
Facebook Page: اسكرايب للنشر والتوزيع
Email:scribe20199@gmail.com
Tel: 00201005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار
اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة
لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

# أكون أو لا أكون

رواية

فاطمة البقاعي

# مُقَدِّمَة

هائجة أمواج أفكاري كأمواج البحر، حائرة وقلمي يهتز بين أصابعي كما لو أنه يحاول مساعدتي بولادة قصة جديدة.

نعم فمنذ أيام لم أكن أدري ماذا يجول في خاطري وماذا يفيض في نفسي غير أن قلمي أصبح مستعداً تماماً لخوض معركة يغزو من خلالها أوراقي بحبره الدكن.

ولدت بداخلي هذه القصة منذ سنوات.. إنها معدة تماماً في عقلي.. أقسامها ملونة وفصولها منوعة ومواضيعها قد تكون شيقة.

يحضرني قول الكاتبة العظيمة التي عشقتها وعشقت أسلوبها الأدبي إلى حد الجنون ((كوليت خوري)) حين قالت: "روايتي انتهت لم يبق إلا أن أكتبها".

لست كاتبة محترفة ولا أتقن فن الرواية غير إنني أحس بأن هذه الكاتبة تشبهني... ربما تكون خجولة مثلي.. فخجلي يتحول أحياناً إلى جرأة وأحياناً أنسى نفسي وأخرج عن حدود طبيعتي لأسباب أجهلها.

أعلم بأن ما أخطه لا يستحق المقارنة بما يكتبه الأخرين وما سأكتبه ليس قصة واقعية ولا تمت لواقعي بصلة.

مجرد لوحات مطولة استرقتها من هنا وهناك وربما أستعرتها من هذا العالم الكبير.. من الحاضر والماضي.. من الخيال والحقيقة، من منزلي ومنازل الجيران، من صديقة روت لي قصة عاشتها أو عرفتها أو عاشها المقربون منها.. ربما أكون قد استعرتها من أحلامي التي تعايشني من بداية حياتي.. من يقظتي التي ترسم لي مخططات مستقبلي من الكوارث التي تهز العالم.. من الحروب والنزاعات من الهزائم والإنكسارات.. من الأحاديث المملة لنساء الحي والمهاترات..

من قلبي المفعم بالأحزان.. من قلبي البكر الذي لم يخفق مرة لقصة حب حقيقية أو حتى وهمية في عقلي قصص كثيرة مازالت بالنسبة لي بلا عنوان.

لا أحتاج كغيري من الكتَّاب للخروج إلى عالم أخر من أجل كتابة روايتي ولا أحتاج البعد عن الضجيج والشوارع المكتظة بالناس كي تولد بداخلي أي قصة...

في عقلي تضج صراعات وأسئلة كثيرة لا أقوى على طردها إنها تعيش معي وتعايشني لسنوات طويلة..

ما زلت أعشق حجرتي الصغيرة وعالمي التي خلقت فيه رغم شعوري بالإشمئزاز في أكثر الأحيان.

قصتي لا تشبهني مطلقاً إنها حرة مستقلة قوية.. جريئة متقلبة الميزاج ويستطيع قلبها الخفقان على الدوام.. تحب.. تعشق تهرب من واقعها في أكثر الأحيان تتجرد من حقيقتها من بيئتها..تحب وتعشق على طريقتها.. وو.. وأشياء كثيرة تخرجها عن نص حياتها.. إنها تفاجئني.. أجل ..... فأنا لا أقلد أحداً إنها شخصية صنعتها من نسيج خيالي... فالقصة رغم بساطتها وركاكة أسلوبها تسرقني من نفسي .. تهزني من الأعماق ... تأخذني إلى عالمها الرحب.. تنزعني من جذور كياني .. تحررني من بيئتي ومن عالمي وتسرقني من الكبت الهائل الذي يعتريني .. تجعلني أحب وأعشق وأكره وأتمرد وأغامر وأخرج عن حدودي وأرسم لنفسي أفاقاً عالية تزرعني في أرض أحلامها ...

أهمس لأوراقي سراً ؟ .. لقد أصبحت أشبه بطلتي إلى حدٍ ما أصبحت تهمني كلمات الحب التي كانت تخجلني إلى حد الهبل من قبل أصبحت أعشق العبارات التي يرددها الرجال على مسامع النساء مع أنني ظننت لوهلة بأن قلبي لم يعد قلب تلك الفتاة المراهقة الذي.. يعشق ويحب ويشعر بذلك الزهو لمجرد وقوعه بالحب.

أصبحت أعرف بأني مازلت أنثى تحب وتهتم لمجرد شعورها بالانتصار على واقعها المرير..

تغزوني الرغبات الجامحة والعشق ... مازلت أحلم .. ومازالت روحي تواقة للحب ولتلك المشاعر الجياشة.

# "البداية"

# "أكون أو لا أكون"

# "البلدة"

تدنو الشمس من النوافذ العتيقة وهدأة المكان وتتسلل إلى الأذهان .. قصص الأجداد القديمة ... تضج في ذاكرتي أصوات الماضي البعيد وتنسكب في مسامعي أغنيات الجدات وحكايا الطفولة.

ترخي الطبيعة عند المساء جدائلها المخملية لتستقبل الغروب فاتحة الأجنحة على مصارعها رافعة الجباة .. شامخة لا تهزها الريح.

السكون يصافح ليلها في الأمسيات المقمرة .. في الشتاء يهتز عرش ..السكون لتتحول الليالي الحالكة الظلمة والبرد القارص إلى أحاديث ممتعة دافئة .. فكل جدة تملك في جعبتها قصصها الخاصة.

تلك القصص الناعمة التي كانت تشعرني بالدفء والسكينة بينما الأشجار في الخارج تتهاوى وتهزها الزوابع الغاضبة ليضرب بعضها بعضاً.. حتى النوافذ المهترئة تعبر عن غضبها على طريقتها لتقيم حرباً مطولة بينها وبين العواصف فتصفق بعضها بعضاً وتعلن أخيراً إنتصارها في فصل الربيع.

ماذا بي وكأنني أحن للعودة إلى الماضي .. إلى تلك الدور العامرة بالحب.. العودة إلى قريتي وأهلي إلى دفء المكان.. كما لو أنني أريد العودة إلى صدر الماضي المعجون بالحب والحنان.. أو أنني أريد العودة إلى قصص الجدات والأرض الممزوجة بتعرق الأجداد والجباه الشامخة وأشجار البيلسان وأكاليل الغار؟

على بضع خطوات من منزلنا القروي الجميل يقع ذلك النهر ... النهر الذي تغذت من مياهه الأعشاب التي أفترشت الأرض والشجيرات الصغيرة المترامية الأطراف على سفحي النهر كان يبدولي حين كنت صغيرة كبحيرة كبيرة تتلألأ مياهها كصفيحة زجاجية ترصعب الأحجار الكريمة بداخلها.

كان في الماضي مرآة لطفولتي الشقية وأحلامي الساذجة أحلامي التي كانت تسرقني من نفسي وتأخذني إلى عالم غريب تملؤه المتعة.

فمرآة النهر كانت تعكس سمرتي التي كانت تحرقها أشعة الشمس الذهبية فيزيد ذلك وجهي جمالاً وتورداً وعذوبة...

في تلك النهارات الصيفية المحرقة يغريني النهر لغسيل جسدي من ملوحتة وتعرقه .. أنسى نفسي تماماً بينما الماء يغمر ساقيَّ

ألعب ... ألهو وأتأمل الأفق البعيد ... تلفحني عين الشمس لتزيد وجهي توهجاً وتألقاً وإشراقاً ...

أخرج من النهر مثقلة بثيابي المبللة .. أتامل نفسي بينما الماء يتساقط من أطراف ثوبي .. أحس بالبرد والقشعريرة تسري في جسدي .. أجد نفسي مجبرة على خلع ثوبي لأميه برفق على غصن الشجرة ثم أداري نفسي خلفها كي أخذ قسطاً من الراحة.

تمر الدقائق بسرعة وما أزال أحس بالسكينة وفي حاجتي إلى الإستراخاء غير أنني لمحت أنور والشهوة تتراقص في عينيه. أنا وأنور في حكم المخطوبين وهو الجار المقرب لعائلتي ..

أراه يراقبني أخاف من تلك النظرات التي ترغب في افتراسي، كنت مزهوة تماماً بسحر المكان ونظراتي تتأمل الأفق البعيد.

لدغتني حرارة الشمس الحارقة التي حولت سمرتي الفاتحة إلى سمرة غامقة لم أكن أحبها في جسدي، عندما لمحته يقترب نحوي تسارعت نبضات قلبي ونهضت من فوري وخطفت ثوبي الملقى على الشجرة محاولة إرتداءه على الفور غير أن ذراعاه القوية سبقته إلي وقيدتني تماماً ...

سرت القشعريرة في جسدي من جديد وأحسست بالدوران ولم أستطع تحرير جسدي منه وقبضته تأبه تركي .. حتى أنا لا أستطيع مقاومة ضغطه اللذيذ ولمساته التي كانت تأخذني إلى عالمه الشهواني.

يقف أمامي وجهاً لوجه وعيناه تخترق جسدي بطريقة لم أكن أحبها في أنور غير أنني كنت أحس بحبه العميق لي .. وهو قريب مني كل ذلك القرب وعيناي تعجز عن الهروب منه.

يتأملني .. يبتلع لعابه .. يهمس في أذني وشفتاه تكاد تزلزل مجر السمع لحرارتها ... أحبك .. وأعشق هذا البريق في عينيكِ ...

لم أرد .. مازالت لمساته تحرقني حتى كدت أخشى الانزلاق من بين ذراعيه ..

يتلمس وجهي بأطراف أصابعه .. يقربني إليه أكثر فأكثر حتى يكاد جسدينا يلتصقان تماماً ومازالت الهمسات ترافق اللمسات .. وأنا تائهة تماماً حتى عن نفسي ... ثم ما هي إلا لحظات حتى وجدته يحمل وجهي الذي حرقه لهيب الشمس وعيناه مازالتا تخترقان جسدي النصنف عاري ... كنت أريد أن أصرخ .. أثور عليه ... أبعده عني عله يحررني من قبضته غير أنني صمت وتركته يستمتع بالنظر إليَّ لم أكن أنتظر منه أي شيئ غير هذا .. غير أنه تجرأ وفعلها حين تناول شفتي بنهم ... قبلته الطويلة جعلتني أذوب وأتلاشى بين ذراعيه.. كانت تلك المرّة الأولى التي يقبلني فيها ...

أنور كان الحب الأول ... رفيق الطفولة ... خفت من نفسي ... من ضعفي، من غروري .. خفت أن تجر تلك القبلة خلفها أشياء أخرى أوصتني أمي بالحفاظ عليها مهما كلفني الأمر.

بلحظة تذكرت كلام أمي .. شعرت بالقوة .. بالانتصار .. بالتفاخر، أنور هذا الشاب الذي طالما تفاخر بنفسه أمامي وأدعى بأنه أقوى مني كونه رجل وكونه أكبر مني بسنوات .. كيف لا وقد كان إبن العائلة المدلل والذي نال علومه في المدينة ثم سافر ليحصل عل الشهادة من بلد أجنبي كونه كان متفوقاً ..

أنور تحسدني عليه معظم فتيات البلدة .. كل هذه العظمة وهذا العنفوان وذلك الغرور .. كله تلاشى أمام جبروت شفتي.

ظن بأن تلك القبلة ستأخذه إلى عالم المتعة تماماً .....

ذاب في سحر قبلتي وضعف أمام جبروت جسدي ومازالت تسحره نظراتي وأنا أحببت أن أحس بضعفه أمامي وهو الرجل الصارم القوي .... لقد جعلته يذوب ويتلاشى وينتشي .. حتى بات يظن بأني سأكون ملكه تماماً في تلك اللحظات .. ولكن هيهات ...

كيف يتخيل بأني سأكون لقمة سهلة بين براثنه إنه رجل و الرجل بحاجة إلى المرأة على الدوام .. لذلك عليه أن يظل في حاجة إليَّ ... قطعت عليه قبلته الجميلة وتحررت من قبضته ولمساته الحارقة وتابعت ارتداء ثوبي ثم جلست على الأرض فجلس إلى جانبي وقد شعر بالخذلان ...

أنور لم يستطع الحصول عليَّ .. لم أوصله إلى قمة متعته.. رغم جمالي وجاذبيتي .. تركته في منتصف الطريق.

جلسنا طويلاً وكل منا يتأمل جمال المكان والسكون يلفنا من كل صوب إلا من صوت مياه النهر المترقرقة ...

تحول المكان بلحظات إلى مسرح يروي قصة حبنا الرائعة .. كيف لا على يديه تفتحت براعمي وتَتَلمذت .. فتحت عيني على الدنيا فوجدته أمامي جسراً متيناً وقلباً لم ينبض إلا من أجل حبي وأنا من حباني الله بنعمته وجعلني مضرب المثل للجمال في البلدة وكل شاب فيها تمناني لنفسه على طريقته الخاصة وكل هذا لم يشعرني بالغرور....

على العكس تماماً فأنا لم أحب ولم أتمنى إلا أنور ....

كنت وما زلت أكره تلك النظرات التي كان يلتهمني بها الرجال .. أخاف أن أضعف أمام تلك النظرات وأتلاشى وأخلع عني ثوب الفضيلة وأرتدي ثوباً آخر يرحل بي .. بل يحملني إلى علب الليل المغلقة

فأنا بالنسبة لهم دمية جميلة قادرة على إشعال رغباتهم وملء شهواتهم وإرضاء غرائزهم الحيوانية...

كنت أشعر بأن أنور يختلف عن الجميع .. فأنور رغم غروره وتفاخره أرادني زوجة له وهذا ما جعلني أتمسك بحبه.

* * *

الوقت يمضي سريعاً وأنور مازال يتحدث وأنا مازالت أسمعه فأحاديثه الشيقة لا تنتهي.

المساء يقترب ويده ترفض ترك يدي.. كما لو أنه لا يريد تحريرها..

كنت أحس به وأشفق عليه في أكثر الأحيان .. فجلوسنا الطويل معاً لم يجعله يطفئ لهيب أشواقه وحبه العميق ولمسته ليدي لم تمنحه المتعة التي يريد وأنا لم أشجعه على أكثر من ذلك.

وماذا يريد أكثر من هذا فأنا أرافقه كل يوم حين يوصلني إلى المدرسة ثم أقضي معه بعض الوقت بعد عودته من عمله على ضفة النهر.. أمنحه يدي وأسمح له بتقبيلي وأعطيه الفرصة ليأخذ مايريد ضمن الحدود المباحة لكلينا.

بالطبع أعرف ما ينتظره .. يريدني أن أتخلى عن بعض مبادئي وأمنحه متعة توصله إلى ذروته.

أنا لا أستطيع منحه المزيد رغم أنني أتحرق شوقاً للقاء جسدينا...

الزواج حالياً مستحيل فالدراسة أولاً ..

كنت ما أزال أسمعه حين صمتُ فجأة وحوَّل نظره إلي ..

حاولت جاهدة الهرب من تلك النظرات الحالمة .. كنت أود الوقوف كي أطلب منه مرافقتي إلى المنزل غير أنه سمح لنفسه بأن يشد يدي ويعيدني حيث كنت ..

ما زالت يده ممسكة بيدي ونظراته تخترقني حتى خلتها عرتني من ثيابي .. وتساءلت: ما هذا الإلحاح؟ ماهذا الحب الجنوني الذي يجعلني أتخلى عن مبادئي لأمنحه ما يريد فقط لأنني أحبه؟ ...

ومع ذلك لم أكن لأرفضه فهو حبيبي غير أنني لم أكن مستعدة حينها

أقترب من وجهي وأخذ يمرر أنفه في كل منطقة من وجهي حتى وصل إلى أذني وأخذ يدغدغني بأنفه في وتلك الدغدغات أثارت جنوني حتى خلتني أتلاشى تماماً أمامه وأجعله يفعل بي ما يشاء.

إنه يعرف نقطة ضعفي ويعرف كيف يجعلني رهينة لمساته الحارقة وهمساته الملتهبة .. ثم بطريقة شهوانية وجدته يلقي بي على الأرض لألمح وجهه فوق وجهي وشفاه متلهفة لإلهام شفتي .. ضعفت أمام قبلته تلك حتى جعلتني أنتصر على خجلي لأمنحه ما يريد ..

مسحورة تماماً بذلك اللهيب الذي إجتاح جسدي فجعلني رهينة رغباته المجنونة بلحظات ..

تمادى أنور أكثر من اللازم فتلك القبلة لم تعد تروي ظمأه على الاطلاق.

كان فمه مازال يطبق على فمي وأنفاسه المتلهفة تحرق وجهي حين أحسست بيده تتسلل بخفة إلى ما تحت ثوبي لتحتل المنطقة المحرمة بالنسبة لكلينا.

حاولت جاهدة التحرر منه غير أنه كان أقوى من أن يهزمه ضعفي فتلك اللمسات كانت تحرقني وتخرجني عن حدود الطبيعة وتجعلني أتقلب على حجر النار وهو المنتصر الوحيد .. كيف لا وهو وتلك اللمسات والقبلات والهمسات توصله إلى قمة متعته وتشعره بالإنتصار.

كادت يده تخترق حدودي المحرمة غير أنني تنبهت وبطريقة ما وجدتني أمسك يده محاولة التحرر منه ... فتلك الشفاه لا تمل من طلب المتعة وجسده المرتعش مازال يطلب المزيد وأنا لا أستطيع منحه نفسي.

تحررت منه ووقفت وكنت أنوي السير حين شعرت بيده تضغط على يدي .. وقف هو الأخر وبطريقة لولبية وجدته يسندني إلى جذع الشجرة ويحاصرني جسده الضخم فلا أستطيع الهروب من نظراته المتلهفة للقاء جسدي ولا من حصاره لي ..

تفاجئت حين شعرت بيده تريد لمسي من جديد مما أثار غضبي واشمئزازي منه ولا أعرف كيف جاءتني القوة لأبعده عني وأبتعد عنه سريعاً وأصالي مازالت ترتعش ...

تركته يصارع رغباته وانطلقت مهرولة إلى المنزل ومشاعر لذيذة تغزوني

أحببت لمساته وهمساته وعشقت قبلاته ولهفته .. غرقت في بحر تمنياته مسحورة تماماً بكل ما حدث .. ولكن كيف سأنتصر أنا الأخرة على رغباتي؟ ..

كنت أريد المزيد والمزيد .. أريده أن يتمادى أكثر فأكثر ويجعلني أذوب وأتلاشى بين ذراعيه المتلهفة دائماً للقائي...

نسيت أن أقول بأني الأنثى الوحيدة بين خمسة ذكور.

هم أخوتي .. أصدقائي ..أحبائي ..

لي الحصة الأكبر من حب والديَّ في المنزل ..

كنت دائماً أشعر بالتميز والرعاية والحب الذي يحيطني به الجميع.

في غرفتي أملك أشيائي الخاصة ... كتبي .. خواطري .. أشعاري ووجدانياتي ... فتلك الغرفة الكبيرة كانت فيما مضى ملكاً لأخي الأكبر ((ماهر)).

ألحت أمي مراراً وتكراراً عليه كي يتزوج فلم تستطع إقناعه أعرف بأن أخي تعلق بحب فتاة أجهل من تكون وأمي رفضت تماماً إرتباطه بها فأضطر لترك البلدة وانتقل إلى المدينة ليعيش وحيداً هناك.

كم تمنيت لو عرفت تلك الفتاة التي شغلت تفكيره واستحوذت على قلبه ... أحبه كثيراً .. بل أحبه أكثر من نفسي ..

فقبل خروجه من المنزل طلب من أمي أن تمنحني غرفته ...

كنت أنام في الصالون لضيق المنزل ولا أدري كيف نزلت أمي عند رغبته فمنحتني غرفته رغم غيرة أخوتي وأحتجاجهم.

دخلت إلى غرفتي ورحت أرسم خطوط مستقبلي .. أجل كما تفعل كل فتاة ..أنهي دراستي وأنال أعلى المراتب وأتزوج وأبني عالمي الخاص مع زوجي وننجب ما طاب لنا من البنات والبنين ..

سيكون لي منزلي الخاص .. مملكتي لن يشاركني أحد بما أملك .. سنكون ملك نفسينا

ولكن كيف .. أين أهدافي وأحلامي وشخصيتي التي كنت أريد رسمها لنفسي مستقبلاً ..

إن تزوجت لن أكون ملك نفسي بل سأكون ملكاً له .. زوجة .. أداة.. أداة لمتعته فقط ووعاءً لإنجاب أطفاله؟

أهذه هي الحياة التي كنت أطمح إليها؟

لا أدري أردت للحظة نسيان كل ما يمكن أن يحدث في المستقبل لأعيش الحاضر الذي أنا فيه .. اتجهت نحو خزانتي أخرجت رسائل أخي (ماهر) ورحت أتصفحها واحدة بعد الأخرى ...

الرسائل وحدها هي التي تجمعني به لا يوجد لدينا هاتف في المنزل ..

أحب رسائله .. أعشق أسلوبه الكتابي وكلماته التي تفيض حباً وحناناً وعذوبة.

* * *

الصيف أصبح مملاً للغاية ولقاءات أنور باتت تشعرني بالضجر بعض الشيء .. فإلحاحه الدائم على بقائنا معاً وعلى إعطائه ما يريد بات يشعرني بالإشمئزاز والقرف ..

صدقاً لم أعد أرغب بلقائه....

شيئ ما بات يدور في خلدي لا اجد تفيسيرا له

كنت قد خرجت إلى ضفة النهر ومعي كتاب كما هي عادتي في فصل الصيف فلا أحلى ولا أجمل من القراءة في الطبيعة الخضراء.

حملت كتابي وجلست أتأمل المكان للحظات قبل أن أختار لنفسي مكاناً أجلس فيه ..

لا أدري كنت حائرة .. تائهة .. لا أعرف ما الذي بات يجول في خاطري تلك اللحظة .. فالسكون فقط كان يلف المكان وهذا ما كان يخيفني !!السكون؟ ...

جلست كما في المعتاد على الأرض مسندة ظهري إلى جذع الشجرة أخذت نفساً عميقاً قبل أن أفتح كتابي وأبدأ القراءة ..

القراءة توصلني إلى قمة المتعة هذا إن أشدني إسلوب الكاتب

مرت الدقائق بسرعة وكنت ما أزال مسحورة بجمال المكان وروعته ولكن سرعان ما أنقلب ذلك الهدوء إلى خوف حين أحسست بحركة غريبة خلفي ...فلم أكد أستدر إلى الخلف حتى غطت عيني غشاوة حجبت عني الرؤية تماما، انتقض قلبي وسرت القشعريرة أنحاء جسدي وأرتعشت أصابعي فلم أستطع مقاومة ضغط يديه على عيني على حين سمح الكتاب لنفسه بالإنزلاق من بين كفي ليستقر على الأرض بلحظات.

مسكت يديه غير أنه كان أسرع مني .. بحركة جريئة وجدته يمسك يدي ويجبرني على الوقوف قبالته ..

كان ما يزال يمسك يدي ونظراته المتعطشة تخترق جسدي

مرت اللحظات ببطء شديد فشعرت لأول مرة بالنقص وكأني لست الفتاة التي كانت مع أنور منذ أيام ...

أين أصبحت من كل ذلك؟ .. أنا نفسي لا أدري؟ ..

ران الصمت بيننا للحظات ثم ما هي إلا ثوان حتى وجدت

شفتي تستسلم لقبلته الجنونية التي باغتني بها وأنا في غفلة حتى عن نفسي وكم تساءلت بينما أنا بين ذراعيه؟ مالذي يضعفني أمامه؟

كيف أستسلم لرغباته وأتلاشى تحت وطء لمساته وأذوب تحت ضغط همساته؟

كم كنت أكره وجودي على تلك الصورة .. يتصرف معي كما لو كنت لعبة بين يديه أو كأنني قطعة حلوى يريد إلتهامها .. أغرق نفسي بالتساؤلات وأوهم أفكاري بالقوة وبالحقيقة ما أنا إلا فتاة خلقت لإمتاع الرجل ...

أنا الآن لعبته .. كيف لا وهو الذي يمطرني بوابل من قبلاته وأنا مازلت أقف كالبلهاء؟

خائفة من ضغطه الجسدي ومن الطريقة التي كان يتلذذها بوجهي وعنقي وكل منطقة يمكن أن تطالها شفتيه .. وبطريقة ما سمحت لجسدي من التخلص من ضغطه وملامسة ذراعيه كما لو كنت طفلة صغيرة ملت اللعب وأرهقها الجري خلف الفراشات الملونة .. مللت حتى افتراش البساط الأخضر الذي كان يدعوني إليه بينما شقائق النعمان كانت تزين المكان

مازالت أنفاسي تعلو وتهبط في صدري ومازالت لمساته وقبلاته تخدرني تماماً ....

ما هي إلا لحظات حتى وجدته يستلقي إلى جانبي وقلبه هو الأخر يخفق بقوة .. ووضعت يدي تحت رأسي وفجأة شعرت بأن قرص الشمس يلتهب في كبد السماء إلتهاباً ..

اعتدل بجلسته ليتقرب مني بينما ما أزال أتأمل روعة الطبيعة.

تأمل وجهي المتوهج للحظات ثم سمح لأصابعه بملامسته بأطرافها..

أحسست بحرارة أصابعه التي أخذ يمررها على وجهي وعنقي نزولاً إلى صدري بينما سرت القشعريرة جسدي.. فتلك الحرارة اللأهبة سرقتني من نفسي وعالمي.. جعلتني أنسى للحظة بأننا نجلس في العراء ويمكن لعيون المزارعين أن تلمحنا ولكن هيهات فأنوار لا يفكرإلا باللحظة التي يعيشها .. سرعان ما أحسست بجسده القوي يهبط فوق جسدي وشفتيه المرتعشتين تبحثان لنفسها عن طريق للمتعة .. ولكن ماذا بي؟ كيف أستسلم لرغبته المجنونة؟ .. كيف أجاريه هل أقول له كلمات أهمسها في أذنه تجعله يصل إلى قمة متعته؟ ...

مجنونة أنا .. ماذا أفعل؟ .هل أصنع من نفسي لعبة بين يديه؟

أين مبادئي .. قيمي التي نشأت عليها؟

حلمي .. دراستي والذهاب إلى المدينة ..

بالفعل كدت أنسى كل هذا وأتلاشى بين ذراعي الخطيئة وأستجيب لنداء رغباته الجامحة بأفتراسي.. ولكني وعيت إلى نفسي واستفيظت من غفلتي

وجدت نفسي أدفعه بقوة وأستيقظ من غفلتي .. ثم جلست ووقفت أنفض التراب عن ثوبي ..

تأملته مطولاً وهو الذي تغيرت ملامح وجهه .. تاه بيني وبين رغباته بين إمتلاكي وصراعاته .. إنه يفكر .. يا له من رجل .. فمنذ لحظات كان يملكني ويستمتع بي .. وأنا منذ لحظات كدت أمنحه نفسي واضعف أمام رغباتي وأحلامي وكل ما أملك .....؟

وجدته يقف أمامي يرفض الإستسلام وهو يقول:

- إلى متى؟ ...

فقلت له:

- إلى أن أنهي دراستي الجامعية ...

- لا أستطيع الانتظار إلى ذلك الحين .. لا أريد إضاعة الفرصة من بين يدي ...

أغضبني تعبيره وصرخت به:

- فرصة؟ .. وهل أصبحت بالنسبة لك فرصة !؟ ..

- لما لا .. منذ لحظات كنت تستكيني تحت ضغط ذراعي وأذابت فؤادك قبلاتي الجميلة؟

اقترب مني حاول من جديد غير إنني ابتعدت عنه وأنا أقول له:

- ألن تصبر؟

- أصبر على ماذا؟! على بعدك عني وخروجك كل يوم من البلدة إلى المدينة؟!

- لا .. بل سأقيم في المدينة

- وحدك؟ .

- لا .. أنسيت بأن أخي يقيم هناك ..

- لا أتخيل بعدك عني طوال العام .. سأشتاق إليك كل يوم ... جدي لنا حلا.. تعالي نتزوج وبعدها تتابعين الدراسة.

- لا.. الشهادة أولاً.. سأقضي عطلة منتصف العام هنا.. وستراني كل يوم.

- هذا لا يكفي ...

مازلت أنفض التراب عن ثوبي .. ثم مشيت بضع خطوات .. فسألني:

- ستذهبين؟

- أجل ..ألا ترى الشمس مالت إلى الغروب؟

- سأذهب قبلك لا أريد لأمي أن تعلم بأني قضيت الوقت برفقتك.

- أما زالت تعارض إرتباطنا؟

- ستلين مع الوقت .. انتظري وسترين ..

غادر أنور المكان وأنا ما أزال أنظر إليه وبقيت على تلك الحال حتى غيبته الأشجار تماماً.. يا له من رجل.. كل ما يفكر به المتعة فقط.

عدت إلى المنزل ولم أجد أحد فيه.

أخذت ذرع الصالون ذهاباً وإياباً فلم أجد إلا السكون، بالفعل أردت في تلك اللحظات البقاء وحدي.. أردت التفكير بما يمكن أن أصنعه بنفسي مستقبلاً إن أصبحت ملكاً لأنور.

ألقيت بجسدي المنهك فوق الأريكة كمن تخلت عنها إرادتها..

حياتي أصبحت مملة للغاية وتاريخي الأسري دائماً يعيد نفسه أمي منشغلة طوال النهار في المطبخ أو مع جاراتها الثرثارات وأخوتي أما في الحقل مع أبي أو في عملهم..

أبي مسكين يتعب كثيراً.. عندما يصل إلى المنزل في المساء يكون منهك القوى ما أن يتناول طعام العشاء حتى يجد لنفسه الفرصة كي يختفي عن الجميع بصحبة أمي.. شريكة سنواته الطويلة ورفيقة الدرب في حلو الحياة ومرها، حتى التلفزيون بات مملاً للغاية فالبرامج دائماً تكرر نفسها ها أنا وحيدة في المنزل أتأمل محتوياته وأثاثه القديم الذي تناثر في أنحاء الصالون بدون ترتيب.. أتأمل السقف وزواياه حتى العنكبوت أخذ من زوايا المنزل الجزء الأكبر فأمي على ما يبدو لم تجد لنفسها الوقت كي تنظف المنزل كما يجب وينبغي ..

وكأن تلك الخيوط تحكي لي قصص الجدات تلك القصص التي كانت مصدر متعة الجميع قبل وجود التلفاز بالطبع.

أمي محقة بأهمال المنزل بعض الشيء فهي وحدها في المنزل ملئه الذكور وأنا بسبب دراستي لم أكن أجد الوقت الكافي كي أساعدها وهي لا تحثني على عمل أي شيء إلا مساعدتها بأعداد طعام العشاء.

مازال مجتمعنا مجتمع ذكوري بحت.. كيف لا فأخوتي الذكور لا يدخلون المطبخ على الإطلاق كونهم ذكور وكل شيء يأتي إلى خدمتهم حيث يجلسون.. كل شيء ملقً على عاتق أمي عميدة الأسرة وكأنها تحولت إلى جسر متين يحمي أركان المنزل كي لا ينهار.

أحسست بدخولها إلى الصالون ووجهها شاحب منهك وجلست إلى جانبي في كسل ثم اقتربت مني وكنت شاردة الذهن تماماً على حين سألتني: ما بها زهرتي الجميلة؟؟.

تنبهت لسؤالها فأجبتها على الفور ...

- أفكر فحسب ..

- تفكرين؟ بماذا؟

- لا أدري بالضبط .. أحس بأني مشوشة تماماً وأسئلة كثيرة بدأت تتصارع في رأسي ..

- هذا طبيعي حبيبتي غداً تنتظرك حياة جديدة.. إنتقال إلى المدينة والدراسة الجامعية والعالم الجديد الذي ستعشين فيه..

- هذا صحيح وهذا ما لا يريده أنور.. يريدني أن أبق هنا..

- هل رأيته؟

- تعلمين بأني لا أخفي عنك أمراً كهذا... تجادلنا بعض الشيء بسبب ذهابي إلى المدينة والإبتعاد عنه..

- إلى متى تستمر لقائتكما ولا شيء رسمي بينكما؟ فأمه حتى الآن لم تفاتحني بموضوعكما وكأنها لا تعلم عن الأمر شيئاً وهذا لا يعجبني فنحن هنا لدينا عاداتنا وتقاليدنا وألسنة الناس لا ترحم..

- أنتِ محقة أمي لذلك أفكر... لن أخرج عن حدود طبيعتي ولا أريد أن يملكني لمجرد وعدني بالخطبة والزواج فالوعود وحدها لا تكفي ونحن أبناء بلدة واحدة والكل يعرفوننا ويعلمون بأننا نحب بعض

- إذاً حدثيه بالأمر وليكن الكلام رسمياً بيننا...

- لا يا أمي.. بدأت أكره كوني فتاة عادية وساذجة ككل الفتيات في هذه البلدة.. فتيات يفكرن بالحب والزواج وإنجاب الأطفال، أمي بدأت أكره البقاء في المنزل منتظرة قدوم أنور مع والدته كي

يطلبني ليجعلني زوجة يملكها.. إنه إحساس يشعرني بالإشمئزاز..وانا اعلم بأن أمه غيرراغبة بي .. ولكنها الحياة.. كلنا تربينا ونشأنا هكذا هذه عاداتنا وتقاليدنا..وامه لابدا لها ان تلين...

لا أريد ان تلين اشياء جديدة بدأت تغزوني من الاعماق

لا ادري ما الذي تغير بين ليلة وضحاها...

- لاتقولي بانك بدأت تنفرين منه؟؟

- ربما وهذا ما يصيبني بالجنون.. أسمع أحاديثكن وكل واحدة تتحدث عن كيفية إغراء زوجها وعن اللون الذي يفضله والطريقة التي تسعده وترضيه وعن تلك الرغبات المجنونة التي يعشقها الرجال.

أخجل يا أمي وأشعر بالإحراج كونك تتحدثين مع جاراتك بتلك المواضيع التافهة.. تمنيت لو تحدثت إحداكن عما تريد هي وبما تريد أن تحس.. عن رغباتها واشتياقها هي.. أمي جميعكن لا أهداف لكن .. مللت... مللت من تلك الأحاديث المملة ...

لا اريد ان اتحول إلى مجرد إمرأة تعيش حياتها كلها وهي تفكر بأغراء واستجلاب زوجها لاحضانها..

- تتحدثين بطريقة مقرفة وكأنك لن تتزوجي أبداً؟

- بل سأتزوج ولكن على طريقتي أنا لا على طريقة أهالي البلدة على أن أبق ملك نفسي لا ملكاً لرجل إسمه زوجي..

صمتت أمي... أعلم تماماً بأنها لم تفهم مما قلته شيئاً على حين لمحت (عامر) أخي الأوسط.. لقد اعتاد الإستماع لأحاديث النساء.

أردت الدخول إلى غرفتي على حين أستوقفني وسألني:

- عماذا كنتما تتحدثان؟

تأملته لبعض الوقت وأنا أعلم بأنه سمع كل كلمة دارت بيننا ومع ذلك أقتربت منه وهمست بأذنه: إنها أحاديث نسائية بحتة ..فهمت ؟؟

ابتسم ابتسامة ساخرة وتابعت أنا سيري نحو الغرفة على حين ألتفت إليَّ وقال: على فكرة (ماهر) يكاد ينتهي بشأن أوراقك الجامعية وهو في انتظار ذهابك إلى المدينة

- عظيم وماذا بشأن زاهر ألن يذهب معي لمتابعة دراسته هناك؟

ضحك عامر وقال: زاهر يتابع دراسته؟ حمدنا الله على أنه حصل على شهادته الثانوية أخيراً...

أقتربت أمي من كلينا وقبل دخولها إلى المطبخ قالت: مازلت لا أحبذ إقامتك في المدينة ....

- أمي أرجوك....

لم تتركني أتابع حديثي بل ضحكت واتجهت نحو المطبخ وقبل أن يغيبها باب المطبخ لمحت عامر يستوقفها ويهمس بأذنها كلمات لم أسمع منها شيئاً فدخلت إلى غرفتي ثم ما هي إلا لحظات حتى وجدت عامر يطرق عليَّ باب غرفتي..

دخل إلى الغرفة ووقف قبالي فعلمت أنه يريد محادثتي ومع ذلك تركته ولم أسئله ...!

اتجهت نحو سريري وجلست على طرفه ومازال عامر واقفاً والكلام مازال متوقفاً في حلقه.. ثم راح يفرك فروة رأسه

واقترب مني ولم يتحدث فقلت له: تكلم إني أسمعك؟

قال لي: ريم وبدون مقدمات.. رأيت أنور اليوم وحدثني بشأنك.. وعدته بأني سأحدثك...

يريدنا أن نتزوج أليس كذلك؟

أجل.. هذا ما قاله وبعد ذلك تتابعين دراستك ....

لا أستطيع.. طلبت منه الإنتظار إلى أن أنهي دراستي لا زواج قبل متابعة الدراسة...

ولكنه لا يستطيع الانتظار..

هذا شأنه... أنا لم أحصل على أعلى الدرجات في شهادتي الثانوية كي أتزوج وأجلس في المنزل منتظرة قدوم زوجي من عمله وأنا بكامل أناقتي وجمالي.. لن أكون مجرد إمرأة إفهمني...!؟

في داخلي مازالت أشياء وأشياء.. أحلام كثيرة مازالت مكبوتة بداخلي.. أريد تفجيرها وطموحات كثيرة لم أحقق منها شيئاً إن كان يحبني سينتظرني صدقني...

خرج من الغرفة وتركني أحدث نفسي... وحيدة في غرفتي وعالمي.. وحيدة في تفكيري.. شردت طويلاً عن عالمي والصمت يلفني تماماً.. فأنا حتى هذه اللحظة مازلت لا أعرف ماذا أريد من الحياة في

المدينة غير الدراسة.. كل ما أعرفه هو أنني ظمأة.. ظمأة تماماً لتحدي المستحيل.. ويا له من مستحيل فأنا أحب البلدة التي ولدت فيها سأظل كذلك فهي جزء مني..

يمر الوقت سريعاً والصراعات في رأسي مازالت تتزاحم..

أبدو عاجزة تماماً على مجاراة هذا الواقع الذي أعيش فيه

وتساءلت: ماذا سأفعل في المدينة؟

هل سيمنحني (ماهر) ما أطمح إليه من سعادة أم أنه سيمارس عليَّ سطوته وسلطته كأخ أكبر لي ويحاسبني على تحركاتي أينما ذهبت ويراقبني من بعيد ويفرض علي أراءه في كل صغيرة وكبيرة؟

بالفعل لا أدري .. كنت في ما مضى أشعر بحنان أخي وحبه الكبير لي ولا أظنه يمنعني من أبسط حقوقي ... الدراسة وحريتي التي أكره أن يقيدها أحد حتى إن كان أخي الأكبر أحن إلى وجوده معي.. كان يفهمني تماماً ويعرف ماذا أريد من الحياة ويسمعني في كل مرة أرت التحدث فيها عن أي موضوع حتى وإن كان تافهاً

بالنسبة له... كانت تدور بيننا نقاشات عديدة.. أحياناً أقنعه وفي أكثر الأحيان هو من كان يقنعني بوجهة نظره...

سأرحل إلى المدينة وأترك البلدة التي عشت فيها وترعرعت..

معقول؟..ولكن كيف أترك ذكرياتي الرائعة وطفولتي وأصدقائي وأهلي وكل شيء يربطني بهذا المكان!

ما أغباني؟.. وإلى أين سأرحل؟ سأكون في المدينة مع أخي ولست في بلد أجنبي... وإن رحلت سأحمل معي صورة الطبيعة الغناء والبيوت العتيقة وصور حقول البلدة الخضراء وظلال الأشجار الوارفة.. وماذا عن النهر؟

هناك تعلمت الحب والتأمل والتحليق عالياً في الأفق البعيد هناك رسمت أجمل أحلامي وهناك نظمت لي الطبيعة أجمل قصيدة تحكي قصة عشقي للحياة وحكاية مراهقتي الرائعة.

وأنور؟ .. ماذا عنه..؟ هل أحبه حقاً؟

أنور هو الرجل الأول الذي فتحت عيني ووجدته أمامي... الواقع والطبيعة والطبقة الوسطى التي ينتمي كلينا فرضته عليَّ .

رأيته أمامي شامخاً كقاسيون ومحباً لي إلى درجة جعلت بنات جنسي في البلدة تغارني..

هو من فتح عيني على الحب لأول مرة وهو من جعل أصابعي ترتعش كلما لمسها.. وهو من جعل قلبي يخفق بشدة داخل صدري كلما همس في أذني كلمة أحبك.. يا وردتي الجميلة....

أعشق تلك اللغة التي كان يحدثني بها... وردتي...!

تحدثنا بلغة العيون مراراً وتكراراً.. ياه... إنها قصة رائعة

سأحن إليها كلما شدني حنيني إليه..

سأحن إلى لمساته الدافئة وهمساتهُ الرائعة وقبلاته اللذيذة التي كانت تنقلني إلى عالم تملؤه المتعة.. سأحن إلى حبه المتدفق من أعماقه سأشتاق لنظراته حتى وإن كانت شهوانية.

أجل.. شهوانية.. في كل مرة كان ينظر إليَّ كنت أحس بأن نظراته تخترق جسدي حتى تكاد تعريني من ثيابي، كنت أخجل وأتوه.. وكم مرة وددت لو أهرب منه ومن نظراته الحارقة التي لم تكن تخلوا من الشهوة على الإطلاق.

الآن سأبدأ مرحلة جديدة من حياتي لذلك عليَّ نسيان كل ما يمكن أن يتعلق بالحب وما إلى ذلك حتى وإن كان أنور حب حياتي...

كان علي الخروج إلى الصالون إلى حيث يجلس الجميع لمَ لا؟... فأنا الطفلة المدللة في هذا المنزل من والدي.. لدي الحصة الأكبر من الحب والرعاية.. بالفعل في حضوره أتحول إلى طفلة صغيرة ونظرات أخوتي لا تنفك تتأملني وتغار مني.. أما أمي فقد كانت تميزني عن الجميع كوني الأنثى الوحيدة.. وكوني صديقتها ورفيقة دربها وبيت سرها.. ياه... سأشتاق لكل شيء في هذا المنزل حتى المشاجرات اليومية.

كان قرص الشمس يلتهب إلتهاباً في كبد السماء حين قررت الخروج من المنزل... لم أخرج للنزهة.. أو من أجل المطالعة كما في كل مرة كان خروجي متعمداً من أجل أنور..

أجل.. كان يجب أن أضع النقاط على الحروف كي أحسم أمري نهائياً هذه المرة...

عندما وصلت إلى هناك وجدته ينتظرني ولم تكن تلك عادته دائماً كنت أنا التي أنتظر قدومه.

تأملته لبعض الوقت وقد كان حائراً وأصابعه تبعث بالعشب أقتربت منه والقيت عليه التحية فلم يرد علي.. سألته: ماذا.. ألا ترد عليَّ تحيتي على الأقل؟

نظر إليَّ ومازال يضغط بقبضة يده على بعض الحشائش ثم قال:

تعالى وإجلسي هنا قربي يجب أن نتحدث...

غضبت من نظراته تلك ومن لهجته الآمرة فرمقته بنظرة ماكرة كأني أطلب منه النهوض كي نتحدث بينما نتنزه في المكان..

فقلت له: لِمَ لا تنهض ونسير معاً ألا ترى روعة المكان..

فقال متخاذلاً: لا.. لا رغبة لي في السير.. اجلسي..

لن أجلس على الأرض ستلتصق أعشاب القريص بثيابي وتخدشني دون شك...

رمقني بنظرة خاطفة ثم هبطت نظراته فأخترقت ساقاي.

خجلت من نظراته المليئة بالشهوة.. ومع ذلك أردت الهروب من كل ما أعتراني تلك اللحظة فقررت التنازل عن بعض كبريائي والنزول عند رغبته وجلست إلى جانبه... لكنه مسك ذراعي وساعدني على الوقوف من جديد وهو يقول مداعباً أنفي... لا بأس سنمشي كما تريدين....

أجل.. لقد تنازل هو الأخر عن كبريائه وانفرجت شفتاه عن إبتسامة خفيفة ثم أحاط كتفي بذراعه الطويلة وسرنا معاً ولاذ الصمت بيننا للحظات قبل أن أكسر الصمت فيما بيننا... تأملته لبعض الوقت وسألته:

والآن إلى أين تريد الوصول

أن نتفاهم؟

على ماذا؟... أخبرني ما الذي تغير بين الأمس واليوم؟

أشياء كثيرة.. جلست بيني وبين نفسي وفكرت بالأمر ملياً فوجدت بأن سفرك وغيابك عني ليس بصالحنا معاً...

ولكنه مستقبلي يا أنور...

ابتعد قليلاً وقال متبجحاً: أنا... أنا مستقبلك وسعادتك

لا... شهادتي طموحاتي.. أهدافي.. كل هذا مستقبلي..

وأنا ماذا؟.. أين أنا من كل ماذكرتي؟

أنت في قلبي لك الحصة الأكبر.. أنت حياتي...

لا.. أنا لا أجد نفسي في قلبك...

كل هذا لأنني سأذهب إلى المدينة وألتحق بالجامعة؟

وتتعرفين على شاب غيري؟

ما الذي يجعلك تظن بأنني ربما أتعرف على شاب غيرك ما هذا الهراء؟

درست في المدينة وأعرف كيف تعيش الفتاة هناك وكيف تسحرها المظاهر وتخدعها الأكاذيب.. هناك رأيت العجب من أبناء وبنات المدينة فأنت مازلتِ صغيرة وبريئة ولم ترِ ما رأيته وتظنني سأنحرف ويجرفني التيار؟ مخطئ.. أنت تريدني أن أكون تابعة لك لتحولني إلى لعبة بين يديك باسم الحب وأنا أرفض أن أخضع لرجولتك المغرورة أكره رغبتك المجنونة بأمتلاكي لتجذبني إليك وتجعلني أعيش تحت جبروت حبك.

ربم أنا أحبك ولا أتخيل الحياة دون وجودك إلى جانبي..

بل تحب كونك رجل.. رجل يحتاج إلى امرأة ... امرأة تصنع منها معبودتك.. لعبة تمنحك المتعة واللذة متى شئت..

ثم ما بك تصر على الزواج وأنت لا تملك منزلاً نأوي إليه إن تزوجنا.. اعرف بأنك بدأت لتوك بتأسيس حياتك والمشوار مازال طويلاً كي نتحدث بشأن الزواج وما شابه

سنعيش في منزل عائلتي ريثما تتحسن الظروف المادية

أحسنت ... رائع .. نتزوج ونعيش في منزل عائلتك وأظل حبيسة العادات والتقاليد ونبدأ حياة الحمى والكنة و... و.. إلى أخر ما هنالك.. إنها أسطوانة قديمة مللت سماعها أرجوك..

هذا كلام جديد عليَّ..

ليس جديداً غير أننا لم نناقش في هذه الأمور من قبل .. إن كنت تحبني بالفعل وبهمك مستقبلي عليك الرضوخ لرغباتي .. عليك مساعدتي ومساندتي كي أدرس وأحقق أحلامي..

أهذا أخر كلام؟

أجل... ماهر ينتظرني سأذهب إلى المدينة غداً..

أولاني وجهه والغضب بادٍ عليه ثم ألتفت إليَّ من جديد ورمقتني نظراته المشحونة بالغضب .. بل كادت تعريني من ثيابي ثم اقترب مني ومسك يدي وضغط علها وهو يقول .. أجل ولن تستطيعي هزيمتي..

ثم أحسست بذراعيه القويتين تحيطان بي .. ولكن أنا الآن لست كالأمس... ضغطه لا يضعفني ولمساته لا تذيبني .. كنت ما أزال أتخيل شعوري تحت ذلك الضغط حين شدني إليه وأنا أشعر بالضعف ولا أجد لخلاصي سبيلاً ..

أمسك رأسي بينما لمحت الشهوة تتراقص في عينيه ..

أصر .. لن ترحلي .. لن يأخذك رجل غيري ...

أصابني الغضب وارتعدت فرائصي وكاد قلبي يقفز من بين أضلعي غير أنني دافعت عن نفسي بكل قوتي وصرخت به:

أيها المجنون ما الذي يجعلك تفكر بأنني إن ذهبت إلى المدينة ودرست في الجامعة سأختار رجلاً غيرك .....

أعرف كل ما يمكن أن يحدث هناك وكأنني أراك أمامي ... ستنسين أنور وأيامه ...

إذاً أنت لا تثق بي .. مجنون؟

أنت محقة .. أنا مجنون ولا أثق بك لذلك يجب أن تبقي معي وإلى الأبد .. أنتِ لي فقط ...

خفت من يديه التي تصر على أذيتي ومن نظراته وأرعبني أسلوبه الهمجي بأمتلاكي ...

حاولت جاهدة التخلص منه على حين قربني إليه بعنف وضمني إلى صدره وأنفاسه الساخنة اللاهثة أصبحت تدب الرعب في قلبي وهو مازال يصر على أن لا يترك لي مجالاً للتنفس حتى أحسست بلهيب يسري في جسدي بينما شفتيه قريبة من وجهي كل هذا القرب .. بل كانت تغزو كل جزء من

وجهي وسرعان ما سمحت لنفسها بغزو عنقي فأمطرته بوابل من القبلات وأنا على ما يبدو تخلت عني إراتي تماماً .. بل أكاد أتلاشى ورأسي ما يزال بين راحتيه ثم انزلقت يده إلى ما وراء ظهري وجسده الفارع يلفني ويحيطني بقوة ولمساته العنيفة تصهر وجودي وتسحق كياني ..

ما الذي يحدث لي؟ أكاد أذوب كالشمعة بين ذراعيه ....

رغم خوفي من جبروته كان يشعرني بالنشوة والانتصار علي... وهو يشعر بضعفي أمام جبروت ذراعيه وسلطة لمساته ..

كل هذا يجعله يظن بأني سأرضخ لرغباته المجنونه وأسلمه كل أسلحتي ولكن سرعان ما تحول عنفه إلى نظرات حنونة ودافئة لم ألحظها به من قبل ..

ذلك التيار الراعش الذي سرى في جسدي يكهربني وينقلني إلى عالمه هو .. عالم يصبح كل شيء فيه مشروع حتى ممارسة الجنس في الخلاء.

عادت يده إلى وجهي لتعيد خصلات شعري الهاربة إلى الخلف بطريقة رومانسية ساحرة ناعمة ثم تأملني بصمت ...

ظننت بأني سأعيش أجمل لحظات حياتي كما لو كنت أبحث لنفسي عن المتعة التي سأفقدها في المدينة.. حينها استرخيت تماماً تحت ضغط لمساته وكادت ساقاي تفقد السيطرة على الوقوف لأجد نفسي أهوي كريشة في مهب الريح ثم سمعته يقولها:

أترين كم نحن متحابان..؟ أحبك وهذا ما يجعلني أخاف من المستقبل الذي تريدين الرحيل إليه... هل أستجيب لرغباته.. هل أشعره بالانتصار علي؟

ما بي فذلك الحمل الوديع من الممكن أن يتحول إلى وحش كاسر بلحظات.. كيف أسلمه أسلحتي بهذه البساطة وأنا أعرف ما هو مقدماً عليه ...!

يا لي من فتاة... أجعله يفترسني على طريقته.. يلتهمني كما يريد ويشتهي... إنه يهزمني ويكسر كبريائي... إنه يضع بصماته على كافة أنحاء جسدي.. ألبس العار لنفسي وبإرادتي..!

ما الذي يضعفني كي أستسلم لحمم قبلته البركانية ولهيب لمساته الحارقة وأزيز همساته التي كانت تشعرني بالارتعاش كلما لا مست شفتيه أذني.. إنه يملكني تماماً...

سرعان ما أحسست بيده التي كانت تحمل رأسي تنزلق ببطء من رأسي إلى ما تحت ثوبي بطريقة تجعله ينتصر علي إلى الأبد وتجعلني رهينة شئت هذا أم أبيت

تنبهت لذلك حين سرت القشعريرة أنحاء جسدي فحاولت جاهدة التخلص من ضغط أصابعه التي تريد بغفلة عني نزع طهارتي وتساءلت: طهارتي .. كل هذا ومازلت طاهرة أين الطهر في ذلك ويداه لمستا كل ركن من أركان جسدي.

طاهرة .. طاهرة .. أخذت تلك الكلمة تضج بداخلي تأنبني تضربني.. تسحقني.

خفت من ذلك الصراع الذي أصبح يضج بداخلي فجأة ثم لا أدري كيف انتابتني قوة إلهية تقمصتني فجأة فدفعته عني بركلة بقدمي وعندما شعر بالألم وجدت لنفسي طريقاً للنجاة.

انتفضت فجأة ووقفت محاولة ترتيب نفسي وتصفيف شعري الذي بعثرته أصابعه المجنونة وابتعدت عنه بضع خطوات وصحت به:

أنور ... لقد بدأت الحرب بيننا .. إعلم بأنك بتصرفك هذا قد صنعت بيني وبينك سداً منيعاً لن يهدمه إلا موتي.

تأملته للمرة الأخيرة وغادرت المكان .. انتصرت عليه .. حطمته هزمت كبرياءه .. سحقت رجولته .. ولكن هيهات... ألم يسحقني هو الأخر حين أخذ مني كل ما يريد وبرغبة مني . ياالله ...

أمضيت كل الوقت وحيدة في غرفتي وأمي لم تحاول حتى الدخول إلى غرفتي لتسألني عما حل بي.

وأنا لم أكن أملك إلا لوم نفسي واحتقارها ولوم ضعفي وإنكساري ماذا سأقول للجميع إن واجهتني نظراتهم؟

وماذا يمكن أن أقول؟ فأنا لا أملك القوة لقول أي شيء لأنني وحدي من خسرت .. صحيح مازلت أملك عذريتي غير إنني لم أعد احتفظ بطهر جسدي .. أجل فلمساته وقبلاته .. همساته الحارقة كل شيء فعله مازال ملتصقاً بي مدى الحياة وهو سيذكرني بالذي مضى على الدوام .. أي عار هذا؟....

لابأس .. رغم كل شيء خرجت من القصة دون خسائر أخرى وحسمت الأمر وأسدلت الستار على أول قصة حب عشتها في البلدة.

*****

فتحت عيني في الصباح الباكر وكانت خيوط الفجر تغزو غرفتي بخفة محببة مرت اللحظات ومازلت أحس بالكسل فبقيت راقدة في سريري لبعض الوقت ثم اعتدلت بالجلوس فوق السرير ونظرت إلى النافذة وإذا بوهج الشمس يلفح ستائرها.. نزلت من السرير متكاسلة وتريضت لبعض الوقت بحركات خفيفة عليَّ أستعيد نشاطي..

تأملت الحقيبة الكبيرة التي جمعت فيها ملابسي وكل ما يمكن أن أحتاجه في المدينة.. كتبي وخواطري وصور أخوتي وقصة صغيرة نسجتها من أحلامي وربما من ضعفي وخذلاني وقفلتها بمفتاح إنتصاري وربما إنكساري ....!

أنور بالنسبة لي على الأقل أصبح من الماضي...

في الصالون الجميع ينتظرون خروجي من الغرفة التي سجنت نفسي بها طوال الليل دون أن أخرج... الجميع يظنون بأني حبست نفسي لأنني حزينة على فراقهم فهم لا يعلمون بأني بالأمس كدت أجلب لهم العار والخزي.. كدت أتحول إلى فريسة سهلة لشخص كنت أظنه يخاف عليَّ ويهمه جسدي وسمعتي ومستقبلي أيضاً.

يا إلهي ماذا سيقول (ماهر) إن علم بأني انتشيت وذبت بين ذراعيه ماذا أقول له وأنا التي سمحت لأنور بأمتلاكي لبعض الوقت؟

توقفت طويلاً أمام المرآة والصمت أثار أسئلة كثيرة في

أعماقي ولكن.. هل سأجد حباً أخر في المدينة كما قال أنور؟.

لا أدري فأنا لا أعرف ماذا تخبئ لي الأقدار فأنا مازلت في بداية المشوار؟

سأشتاق لهذا المنزل حتى وإن كنت لن أغيب عنه طويلاً وأشتاق لأخوتي والمشاجرات اليومية التي ترافق سهراتنا وجلساتنا.. هنا قضيت أجمل السنوات وأحلاها...

وجدت نفسي أخرج من الغرفة وقد أعددت نفسي الإعداد الكامل من أجل السفر إلى المدينة... كنت مستغرقة تماماً في تخيلاتي وتائهة في أسئلة كثيرة لم أستطع إيجاد أجوبة لها...

فوجئت بأخي عامر يحمل حقيبتي ويسبقني إلى الخارج بينما مازال سامر واقفاً يتأملني وكأنه يودعني الوداع الأخير.. أما شاهر غادر مع أبيه إلى الحقل وكأنه لا يريد توديعي وكذلك والدي ... أعرفه تماماً فهو لا يريدني أن أبكي حين أقبله مودعة إياه ... يريدني أن أكون قوية كما أرادني دوماً.

عانقني زاهر عناقاً حاراً على حين قال لي: سأزورك هناك

فقلت له: وأنا سأنتظرك ..

ثم اتجهت نحو أمي ورميت رأسي فوق كتفها وبكيت .. أحاطتني بعطفها وحنانها وهمست بأذني:

ابنتي لن أوصيك على نفسك .. أنت في المدينة من أجل الدراسة فقط ولا شيء أخر تفهمين عليَّ؟

أجل أفهم تماماً ماترمين إليه..؟..

صاح عامر من الخارج يتعجلني فوجدت نفسي أخرج مسرعة دون أن أنظر إلى الخلف صافقة الباب خلفي .. أصبحت بلحظات خارج منزلي ... خارج عالمي الذي أحبه وغيبني الباب عن الجميع .. غيبني حتى عن طفولتي وألعابي وذكرياتي الحلوة ...

انطلقت السيارة بي وأنا ساهية تماماً عمن حولي أحسست بالتوهان والركود الذهني لوهلة والتفكير يجتاح دماغي ويغزو كياني إحساس غريب أصبح يغزوني ويزلزلني من الأعماق.

*****

## "في المدينة"

ماهر أخي الأكبر ومثلي الأعلى .. هناك جوانب خفية كثيرة لم أذكرها عن أخي ..

(ماهر) إنه الأكثر وسامة بين أخوتي والأكثر جاذبية والأكثر طموحاً.. درس ونال أعلى المراتب في المدرسة ثم في الجامعة وحصل على وظيفة محترمة ودخله المادي أكثر من رائع.

كنت أحس فيما مضى بأنه يختلف عن جميع أخوتي بعاطفته وكبرياءه وحنانه المبالغ فيه أحياناً.. يبكي كالأطفال إن قرأ قصة مؤثرة أو شاهد مشهداً تلفزيونياً درامياً.. كان وما يزال مرهف الحس رقيق القلب ولن يجاريه أحداً بعاطفته تلك...

هو الوحيد من كان يهتم لمستقبلي الدراسي من بين أخوتي وهو من كان يحثني على المضي قدماً نحو الأمام مهما فشلت ومهما عاندتني الظروف ... كنت أسمعها منه على الدوام ...

الشهادة سلاح المرأة تستطيع من خلالها محاربة الزمن إن جار عليها غير إنني أجده رجعياً ومتزمتاً في بعض الأمور.

لا نستطيع تغيير خريطة الكون كنا وسنبقى شرقيين مهما درسنا ومهما سافرنا...

ماهر مازال حراً فهو لم يجد حتى الآن من يمتلكها ويجعلها أداة لإمتاعه كما يفكر الأخرين... أجده يختلف عن رجال كثر...

خرجت إليه ومازال يجلس في الصالون يقلب صفحات كتابه دون أن يقرأمنها شيئاً ... كما لو كان منشغلاً بأمر ما.. سرت نحوه ببطء وجلست إلى جانبه خلسة فلم يشعر بوجودي مازال في عالم أخر.. بل إنه بعيد عني كل البعد. مازلت أراقبه وهو يعبث بالأوراق فتسللت يدي إلى الكتاب ولمست أصابع ماهر فتنبه لوجودي والتفت إليَّ وعلى وجهه إبتسامة رائعة... انفرجت أساريره على حين مدَّلي ذراعه معانقاً كتفي ثم قربني إليه فوجدت مكان على كتفه أرمي رأسي عليه... ثم تسللت كلماته الحنونة إلى مسامعي حين قال:

أسعدني وجودك إلى جانبي .. أنت لا تعرفين ماذا كانت تصنع بي الوحدة .. رائع سأعود كل يوم من عملي وأجدك تنورين المنزل.

ولماذا تبق وحيداً؟ لِمَ لم تتزوج حتى الآن وأنت تملك كل المؤهلات التي ترغبها كل فتاة في عصرنا ليس الآن .. مازال الوقت مبكراً على هذا الكلام

وما يمنعك ... أكنت تحب فتاة من البلدة؟ ألهذا تركت البلدة؟

صمت لبعض الوقت وعض شفته السفلى.. شعرت بأني طعنته في الصميم وقلبت عليه مواجع الماضي .. غير أنه تكلم وعيناه عادت تبصر صفحات الكتاب حين قال:

ريم أحب العيش في المدينة ثم أن عملي يحتم عليَّ البقاء هنا لهذا أنا تركت البلدة...

لكن أمي تقول غير هذا؟

وما الذي تقوله أمي؟...

تقول بأن امرأة شغلتك بها ولم تستطيع أن تتزوجها فهجرت البلدة وتخليت حتى عن أهلك بسببها..

أصبته في صميمه من جديد فتحرر مني ووضع الكتاب على الطاولة وحملق مطولاً في السقف وتنفس تنفس الصعداء .. ولكنه سألني:

أمك قالت هذا؟..

أجل .. بصراحة أستغربت كثيراً .. كيف تترك البلدة قبل أن تضع النقاط على الحروف .. يا لها من فتاة بلهاء تلك التي رفضت حبك لها وأنت الشاب الوسيم والمفعم بالحب والحيوية والنشاط .. من يرفض شاب يملك كل هذا السحر وهذه الجاذبية لا بد أنها مجنونة؟ .. تعلم لو لم تكن أخي.

ضحك وقال: ماذا كنت ستفعلين؟

سأخطبك من نفسك وأتزوجك رغماً عنك شئت ذلك أم أبيت

ضحك وقال: الحمد لله أني أخوك وإلا لا أعرف ما يمكن أن يحدث وقتها؟...

على فكرة الفتاة التي أحبها لم ترفضني هي لا تعلم بأني أحبها أصلا

لا تخبرني بأن إبن عمها يريدها وهربك سهل عليه الأمر؟

لا .. لا شيء من هذا .. بصراحة عجزت عن مصارحتها بما كان يعتلي فؤادي...خفت من مصارحتها بحبي لها.

كيف تعجز وأنت تحبها كل هذا الحب؟

للفتاة وضع خاص يمنعها من الموافقة على الزواج لذلك لم أصارحها بحبي

أهي من نفس البلدة؟ آه.. لا بدَّ أنها جميلة جداً؟

غاية في الجمال والروعة، كنت أخشى على عيني من سحر عينها ومن البريق الذي كان يزيدهما جمالاً وجاذبية..

واو.. هكذا إذاً .. هناك فتاة تفوقني جمالاً وجاذبية؟!

ضحك ماهر مرغماً وضمني إلى صدره وهو يقول.. ليس إلى هذه الدرجة كلاكما متعادلتان ...

تحبها كثيراً أليس كذلك؟

بل أعشق التراب الذي تحط عليه قدميها.. طالما هي لم تتزوج سأظل وفياً لحبها ولكن دعينا منها الآن وأخبريني كيف كنت تقضين وقتك؟

الحياة كانت مملة.. قراءة نوم.. خروج إلى الحقل ونزهات ولقاء الصديقات وهكذا...

وهل كنت تصادقين الفتيات فقط؟

آه... ماهر أرجوك لا تكن متزمتاً فنحن على أعتاب نهاية القرن

حتى لو صعدت إلى السماء ستبقى في نظري الفتاة فتاة والرجل رجل.. في النهاية نحن شرقيين وهذا ليس تزمتاً على الأطلاق ..هذا حرص

ماهر ألا تشعر بالجوع؟

كثيراً..

ثم قال: ريم لِمَ لا تدخلي إلى الغرفة وتغيري ملابسك كي نخرج ونتناول طعام العشاء خارج المنزل وبصحبة بعض الأصدقاء.

نهضت مسرعة فرحة ودخلت إلى غرفتي قبل أن يراجع عقله ويعدل عن دعوته لي.. وقبل أن يغيبني باب الغرفة أستوقفني وقال لي:

ريم كوني أنيقة فلا أحب أن ينتقدك أصدقائي

سترى...

أغلقت باب الغرفة وبدأت بأعداد نفسي من أجل الخروج

لا أدري ما الذي أصبح يجول في خاطري تلك اللحظات.. لم أكن أتوقع من ماهر رغم أنه يعيش في المدينة أن يأتي بي إلى مكان كهذا وأنا أخته فتلك الأجواء في بلدتنا غاية الفساد والفجور..

كل شيء بدا غريباً بالنسبة لي والعالم الذي جلبني إليه حدث ولا حرج..

عالم يسوده الضجيج والموسيقا الصاخبة والشباب.. أراهم تائهون.. غارقون تماماً في بحر الملذات والمجون.. . أمعقول هذا؟ .. أهكذا يعيش الشباب هنا.. رقص ولهو سهر وعربدة وكحول..

لأول مرة في حياتي أجد بأن أنور كان محقاً .. هذا ما كان يخشى أن أجر نفسي إليه.. ولكن ألم يكن مثلهم .. ألم يحلم بأمتلاكي.. ألم تكبلني يداه وتقبلني شفتاه؟.. ألم يصهر جسدي البريئ باسم الحب والرجولة أنور بغفلة مني كاد يصنع مني لعبة بين يديه

تمادى أنور كما تتمادى نظرات الحاضرين في هذا المكان..تراقصت الشهوة في عينيه مراراًكما أرى نظرات الحاضرين تفترسني الآن.

غريب هذا العالم الكل متشابهون حتي أخي يشبههم...؟

أجد نفسي في عالم لا يشبهني على الإطلاق ومع ذلك لا أملك إلا الجلوس هادئة مستكينة كي أراقب تحركات الجميع بما فيهم أخي رغم شعوري بالوحدة بينهم.. خائفة منكمشة.. خجلة من كل ما يحدث ونظرات ذلك الشاب تكاد تلتهمني قطعة.. قطعة....

يجلس على نفس الطاولة التي نجلس عليها.. يبدو وحيداً دون صديقته أو ربما مازال ينتظر قدومها.. عيناه طغى عليهما السواد إنهما تفيضان بالسحر والجاذبية وشفتاه فيهما بعض الحمرة.. كانت كلما انفرجتا تدعوني إليه ليسترق مني قبلة مطولة ربما...

بشرته الحنطية وجسمه الرياضي ووسامته وطول قامته..

سبحان الله أجده كاملاً يخلوا من أي عيب إلا وجوده في هذا المكان المشبوه

لا أنكر ضعف عاطفتي تجاه نظرات كتلك التي يرشقني بها.

نظراته تلك تشدني إليه.. تجذبني.. بل وتسحرني.. فذلك البريق الآخاذ الذي يقطر منهما رسم خطوط وجهي.. بل رسمني ومزجني بألوان متعددة وربما عراني من ثيابي هو الآخر.. ما أدراني؟...

خجلت وحرت أين أذهب من سحر ذلك البريق.. ماذا بي؟...

أنسيت بأني خرجت من البلدة لتوي؟ .. وأخي ماذا حدث له ... ينسى تماماً بأنه أتى بي من عالم لم يترك لي مجالاً لإبراز جرأتي ومفاتني أمام المقربين مني حتى؟.. كيف يجرني إلى مكان كهذا؟

حاولت مراراً الفرار من تلك النظرات وتمنيت لو تنبه ماهر لذلك فيمسك يدي ويعود بي إلى المنزل...

مازال لا يدري بأن صديقه أقتحم جسدي بنظراته تلك.

مازال يتأملني ويتأمل شعري المرسل على كتفي بعناية ويتأمل عيني الخضراوين وحركات شفتيه جعلتني أوقن بأني بدأت أثير جنونه.

أعرف تماماً بماذا يفكر؟ إنه يبحث عن الرغبة.. النشوة.. المتعة وربما الانتصار على جنس النساء.. لابدا إنه من خلال نظراته تلك وحركات شفتيه قد مارس معي الجنس على طريقته.. اشتهاني وقدمني لنفسه على طبق ترقص فيه رغباته الجامحة وربما أعلن عليَّ إنتصاره

كيف لا ونظراته تملكني الآن؟

وأخيراً سمعت صوته.. يا له من صوت لقد زلزلني من الأعماق حين اقترب مني وقال: إسمحي لي يا أنسه أن أقول لك بأني أغار أغار.. أغار من ثوبك هذا لأنه وحده يلمس جسدك ويستمتع بكل جزء فيه...

أشعرتني كلماته بالخجل الشديد.. لم يغازلني أنور من قبل بكلمات كهذه.. كانت ثقيلة على مسامعي ومع ذلك شعرت بالغرور.

تنبه أخي لكلمات صديقه الجالس قبالتي والتفت إليه يحذره

تعلَّم يا صديقي ألا تغازل أختي أمامي..

لمحت الغضب في عيني الشاب فجاش قلبي بالانفعال وتمنيت لو أهرب من كل ما كان يحدث هناك...

كان العشاء ثقيلاً على معدتي وكم تمنيت بيني وبين نفسي أن أنهض وأتجه نحو حلبة الرقص.. كي أرقص وأذوب وتسرقني الموسيقا الصاخبة من كل ما بدأ يجول في خاطري..

أطلقت لخيالي العنان ورحت أتخيل ما يمكن أن يتمناه ذلك الشاب في تلك اللحظات.

يفكر بأمتلاكي.. يتخلني بين ذراعيه.. تحيطني إحاطة السوار بالمعصم وعينيه تراقباني وتخترقا جسدي كلما اقتربنا من بعض.. أتخيله يقربني إليه عندما تسكرني نظراته وتذيبني همساته.. أتلاشى وأنسى نفسي أرمي برأسي فوق كتفه بينما رغباته تدعوني إليه فأتخيله قريباً مني كل ذلك القرب وشفتاه تبحثان عن طريق يوصلهما إلى قمة المتعة....

لم يترك لي ذلك الشاب مجالاً أوسع من أجل الإبحار في عالم المجون والشهوة لأنه قطع علي تخيلاتي وطلب من صديقه الأخر أن يدعوا صديقته إلى الرقص كي يفسح المجال له ويطلب مراقصتي ربما .

فلب صديقه النداء وطلب من صديقته مشاركته الرقص.. ثم لمحت ماهر ينظر إلى صديقته وجاذبيته تدعوها لرقص معه أيضاً وأنا انتظر.. كنت أعلم علم اليقين بأن هذا الشاب الجالس قبالتي سيدعوني إلى الرقص لا محالة..

نهض ماهر وتبعته صديقته مسلمة يدها له كي يسيران معاً إلى حيث يرقص الجميع وقبل أن يبتعدا عن الطاولة.

قال الشاب موجهاً كلامه إلي: وأنتِ ألا ترغبين بالرقص كحال الجميع؟

لا أدري كيف وصلت تلك الكلمات إلى مسامع أخي رأيته يعود نحو الطاولة مسرعاً تاركاً صديقته خلفه تجر أذيال خيبتها..نظر ماهر إلى صديقه نظرة غاضبة فأطرق رأسه وأدرك تماماً مقدار سلطة أخي عليَّ.

خجلت من كل ما حدث حولي وتمنيت للحظة ترك المكان والهروب إلى عالم لا يعرفني فيه أحد..

فوجئت حين رأيت يد أخي تتجه نحوي وتأخذ يدي لتضغط عليها بقوة فأشعرني ذلك الضغط بالضعف.. بالقشعريرة.. ثم خاطبني قائلاً :

لن يراقص أختي رجل غيري؟!

ظل الشاب جالساً على كرسيه كالمهزوم ولم تستطع تلك الفتاة منع غضبها وحجب غيرتها وأستيائها من حبيبها ماهر.. الذي هو أخي.

شعرت بغيظها من كل ما يحدث ولن أنسى تلك النظرات التي رشقتني بها.. تمنت لو تقترب مني وتنهال علي ضرباً ومع ذلك ظلت مسيطرة على هدوءها على حين اقتربت من ماهر وقالت له:

عزيزي ما الضير إذا رقص الرجل مع أخته؟ أمعقول أنك تغار علها من مازن؟.. صديقك...

هبط وقع اسمه على مسامعي كنغمة موسيقية رائعة..

طالما أحببت هذا الاسم في الماضي...

لم يعرها ماهر اهتمامه بل مسك يدي وأشياء كثيرة بدأت تغزو ذاكرتي فقال: ريم لا تعرف الرقص لذلك سأكون الليلة معلمها.

وجدت نفسي مجبرة على الوقوف منصاعة تماماً لرغبة أخي الأكبر وسرت معه إلى حيث يريد بينما ما تزال نظرات الغضب تتراقص في عيني مازن.. غير أنني فوجئت بتصرف تلك المرأة التي قررت على ما يبدو تحدي ماهر وإثارة غيرته.

همست في أذن الشاب بضع كلمات ثم بسطت ذراعيها تدعوه إلى الرقص وهذا ما أغاظ أخي فكاد يجن جنونه ومع ذلك ظل يسيطر على أعصابه ولم يبال لتصرفها المقزز بالنسبة له..

كنت أحس بذراعيه تقيداني تماماً بينما لمحت مازن وقد كان ينظر إلى أخي من عينين يكاد يخرج منهما الشرار وأخي مازال يحيطني.. بدا كما لو كان يريد أن يلوذ بي ويأخذني بعيداً عن ذلك العالم المشبوه الذي جرني إليه...

كنت سعيدة بخوفه عليَّ بينما نظراتي ما زالت تراقب مازن، وتلك المرأة الرخيصة التي تحيطها ذراعاه.. نفس الذراعين اللتان كانتا تتوقان لاحتضاني أنا..

ومع ذلك الشعور ألتفت إلى أخي أسأله:

أتريد أن تعلمني الرقص حقاً؟

لا... حتى أنني لا أجدك تحتاجين إلى من يعلمك؟

نظرت إلى صديقته ثم حاولت استفزازه وربما إثارة غيرته حين سألته: ماهر.. ألا تغار كون رفيقتك تراقص صديقك وأمام عينيك

أنت قلتها رفيقتي وليست حبيبتي..ثم قال موجها الكلام لي.. عزيزتي فهذه الفتاة التي ترينها أمامك الآن قبل أن تكون لي كانت فيما مضى ملكاً لغيري

وغداً ربما تصبح ملكاً لمازن.....!

ساءني قوله كثيراً وأثار غيرتي ... بل زعزعني من الأعماق .. ماذا بي؟ .. من هو بالنسبة لي؟ وكأنه بدأ يشغل تفكيري.. بل وكأني بدأت أعشق هذا الجو المشحون بالفجور والمجون ..

وكأني أردت أن أكون مكانها تلك المرأة الرخيصة .. بين أخضان الخطيئة؟

مع ذلك أردت الهروب من ذلك التفكير الشيطاني وتساءلت:

ما الذي حدث لأخي ماهر .. تغير تماماً لم يعد إبن البلدة المحافظة على ما يبدو وقد سمح لنفسه بالغرق في غمار الرغبات .. لا أدري كم امرأة أصبح يملك وأنا من كنت أظن بأنه مازال بريئاً كفتاة عذراء .. لم أكن أعلم بأن المدينة والوحدة وحرمانه من حبيبته قد صنعا منه إنسان أخر يختلف عن ماهر الذي أعرفه ومع ذلك قلتها له..

ماهر.. لم تعد أخي الذي أعرفه

ابتسم لي وداعب أرنبة أذني بسبابته وقال: كلنا نتغير حتى أنت أجدك قد أصبحت ربم أخرى..

تعبت من العيش في البلدة ومن نصائح أمي .. هذا عيب .. هذا حرام هذه الفتاة لا تناسبنا .. أنت تستحق الأفضل و.. و.. أشياء كثيرة... أردت التحرر من تلك النصائح ومن الكبت الهائل الذي كان يعتريني... المدينة فتحت لي أفاق رائعة كانت وما تزال محرومة في البلدة.

ماهر ما يحدث هنا؟المكان لا يعجبني مطلقاً..

ولا أنا ... تريدين الفرار من كل ما تشعرين به؟

ليتني أستطيع هذا ...

أدفني رأسك داخل صدري وقتها ستنسين كل ما يجري حولك.

جذبني إليه بقوة فأحسست بخفقان قلبه وارتعاش جسده .. ووجهه الذي كان يلتهب .. ربما من تأثير حرارة المكان

لا أدري ما نوع ذلك الشعور الذي اجتاحني فجأة رغم أخوتي له ورغم إنه إبن أبي وأمي أحسست بأنه يملكني .. بل شعرت به يريد شق صدره كي يخفيني داخل أعماقه ويبعدني عن أعين الجميع ..

خفت من ذلك الشعور الشيطاني وارتعدت فرائصي.. . أخافني ذلك العويل الذي أصبح يضج في نفسه.

كان ما يزال يبعدني عن أعين الجميع بينما وجدت لنفسي الفرصة كي أراقب أصدقاءه ... خفت من تلك النظرات الشهوانية التي كانت تتراقص في أعين الجميع وكأني الأنثى الوحيدة في ذلك المكان.

شعرت بتغير ملامح وجه ماهر حين أحاط كتفي ولفني بجناحيه وسار بي خلسة عن الجميع إلى خارج القاعة ومازالت ذراعيه تحيطان كتفي.. أوقف سيارة الإجرة وأنا أحس بأنه حائر حتى بلفتاته.

سرعان ما تلاشى شعوري بالخوف عندما انطلقت السيارة بنا إلى حيث لا يرانا أحد وأسئلة كثيرة مازالت تتصارع في رأسي بل إنها تتضارب كأمواج البحر

*****

ما يزال ماهر قابعاً في الصالون .. لا أدري ما الذي ألم به منذ عودتنا إلى المنزل؟

مرت الساعات مملة قاسية على كلينا وهو ما يزال بعيداً عني كل البعد وأنا مازلت لا أستطيع النوم .. أشياء كثيرة أصبحت تتصارع في رأسي مما جعلني أوقن تماماً بأني تغيرت وإن فتاة البلدة لم تعد تمت إليَّ بصلة .

القطة المغمضة العينين تغيرت وفتحتهما على مصراعيها... تحررت من خجلها القابع بداخلها ...

ذلك الجو الذي أخذني أخي إليه عراني من إنغلاقي وكبتي وعراني من أخلاقي ومبادئي التي عشت وترعرعت عليها..

تحولت إلى امرأة .. أحس بالنضج .. أستطيع أن أحب من النظرة الأولى ..أصبحت تتراقص في أعماقي مشاعر الأنوثة التي أشعرتني بالغرور لوهلة ...

حاولت مراراً التخلص من ذلك الشعور ولكن دون جدوى.

وتساءلت ... أين أصبح أنور من كل ما يعتريني؟

أنا نفسي لا أدري ... أنور أراد إقتحامي دون إستئذان وهذا ما جعله بالنسبة لي ماضي ليس إلا ... كان في الماضي يعني شيئاً بالنسبة لي أما الآن هو إبن بلدتي فقط ولا شيء أخر على الأطلاق

تعبت .. تعبت وضاقت بي غرفتي ومع ذلك رميت بجسدي فوق السرير واستسلمت لسلطان النوم وقد كان الليل يودع ساعاته الأخيرة...

*****

في الصباح خرجت من غرفتي وقد أعددت نفسي من أجل الذهاب إلى الجامعة .. فوجئت بماهر الذي استيقظ قبلي وأعد طعام الإفطار.

جلست على الكرسي وأخي يجلس على الكرسي المقابل لي.. لم ألقي عليه تحية الصباح وهو كذلك.. كنا نراقب الأطباق المصفوفة فوق الطاولة ولم يتناول أحدنا شيئاً..

نظر ماهر إليَّ ولاحظ شحوب وجهي والإرهاق البادي على ملامحه يعلم تماماً بأني لم أنم وهو كذلك ظل ساهراً .. ومع ذلك سألني:

ألا تأكلين؟ ...

دون أن أجيب حملت بيضة مسلوقة وأكلتها على جرعتين ثم حملت كوب الشاي وشربته دفعة واحدة لأنه كان بارداً... ثم أعدت الكوب ونهضت أتناول كتبي كي أستعد للخروج من المنزل.

سرت نحو الباب وقبل أن أضع يدي على المقبض كي أفتحه أستوقفني وقال: ريم انتظري سأوصلك.

عدت إلى حيث يجلس فلامست ذقنه وأحسست بخشونتها ثم صحت به .. ما هذا يا أخي ألم تحلق ذقنك بعد؟ .. لا لن ترافقني إلى الجامعة إلا وأنت بكامل أناقتك ووسامتك وإلا ماذا ستقول صديقاتي ؟

لا بأس سأحلقها حالاً؟

وأتأخر على الجامعة؟ عزيزي توصلني في وقت أخر

اتجهت نحو الباب مسرعة ثم ما هي إلا لحظات حتى غيبني الباب عن أخي وشعور غريب يغزو كياني

*****

خرجت من القاعة قبل نهاية المحاضرة وتسللت خلسه إلى البوفيه كي لا تراني صديقاتي .. أردت البقاء وحيدة لبعض الوقت.

أردت أن أشرب شيئاً كنت أحس بجفاف في حلقي وقبل أن أطلب شيئاً فوجئت بوجود أريج في البوفيه.. ماأن رأتني حتى اتجهت نحوي وقبل أن أدعوها للجلوس جلست قبلي وهي تقول

قلقت عليك ليس من عادتك الخروج من القاعة قبل نهاية المحاضرة ماذا بك؟

وكأني لم أسمع مما قالته شيئاً .. كنت شاردة الذهن تماماً

لوحت بيدها أمام عيني وهي تقول:

ما بك .. إلى أين رحلتِ

لا .. لا شيء كنت شاردة قليلاً ...

لا .. أنتِ لستِ بخير... ما بك؟..

لا أدري مشوشة الذهن قليلاً

أقتربت أريج مني وهمست في أذني... أقسم بأنك عاشقة ...

فاجئني تخمينها وأردت الهروب من الإجابة حين قلت لها:

وماذا تعرفين أنتِ عن العشق؟

أعرف الكثير.. أخبريني من هو؟

مجنونة .. إنه يعجبني فقط ولم تصل الأمور بيننا إلى مرحلة العشق بل إننا لا نعرف بعضنا حتى.. إنه صديق أخي رأيته صدفة ليلة البارحة وأراد مراقصتي وأخي رفض

وماذا أيضاً أخبريني هيا..؟..

أغضبني إلحاحها وأردت الهروب منها فحملت كتبي هممت بالمغادرة وماذا يمكن أن أخبرها عنه .. أنا نفسي لا أعرف ما الذي يجعلني أفكر فيه وأنا لم أره إلا مرة واحدة.

ثم فكرت ..انا في المدينة لهدف الدراسة ليس إلا.

كنت على وشك المغادرة عندما لمحت طيفه في البوفيه فقلت أضغاث أحلام ربما اتوهم.. ولكنه كزوبعة عنيفة غطت عيني فجأة ظهر أمامي .. أرعبني هذا الظهور المفاجئ .. توقفت بلا حراك واغمضت عيني لبرهة.

أردت بالفعل إزاحة تلك الغشاوة عنهما عليَّ أحلم .. أو أتخيل ولكن سرعان ما رأيته يتجه نحوي ويلقي التحية ..

أحسست بالقشعريرة تسري في جسدي حتى فقدت السيطرة على يدي مما جعلني أوقع كتبي على الأرض وأريج مازالت تنتظر مني قول المزيد هي لا تعلم بأنه يقف قبالتي ..

ظننته شبح ولكن ماذا أقول لها؟ ها هو يقف أمامي بشحمه ولحمه وقامته وعنفوانه وجاذبيته .. لا أدري ماذا حدث لي .. كل شيء أصبح يدور من حولي ..

وقفت أريج مستغربة شرودي وتطلعي المفاجئ إلى من يقف خلفها

اقتربت مني ولكزتني من كتفي وهي تقول .. هي .. ماذا جرى لك؟

شخصت فيها واتسعت عيناي وهمست بصوت مرتعش ونظرت إلى حيث يقف وقلت لها:

إنه هناك..

لم يخطر في بال أريج مطلقاً بأني أشير لها عن ضالتي ولكن ما الذي جاء به إلى الجامعة؟ كيف تجرأ؟

تنهت أريج أخيراً لوجوده وقالت فرحة: عزيزتي جاء كي يراكِ..

ثم صاحت ..واو يا له من وسيم!

ثم قالت ..هو أيضاً معجبٌ بك ولم يأت إلى هنا إلا لتلبية نداء قلبه ..

ما الذي جعلني أشغف به من النظرة الأولى .. ثم ما هذا الاهتمام الذي جعله يأتي لرؤيتي في الجامعة وعلى مرأى من الجميع..

كل تلك النظرات المتبادلة ما بيننا وأريج مازالت تقف بيننا مراقبة تحركات كلينا.

مدى يده لمصافحتي ولا أدري كيف وجدت كفي ترتاح داخل كفه والصمت يلف المكان .. كانت لحظات حلوة وممتعة تلك التي عشتها حينها ..

اقترب مني وهمس في أذني بصوته الرقيق ... أنذهب من هنا

وتساءلت...أين يمكن ان نذهب؟

وبدون إرادة مني وجدت نفسي أسير إلى جانبه ثم تنهت لوجود كتبي على الأرض فعدت كي التقطها...

وجدت نفسي أركع على الأرض كي أجمعها بينما رأيته يركع ليجمعها معي وشهقت بيني وبين نفسي...

رباه .. أين أهرب من سحر تلك النظرات .. من سحر ذلك البريق الذي جذبني إليه ..

ما هي إلا لحظات حتى خرجنا من البوفيه وأريج مازالت تتأمل مازن وكأنها لم تر رجلاً من قبل.

مازلنا نسير معاً ومازلت أريد الفرار من كل ما أعتراني ومع ذلك وجدت لنفسي حجة أسأله من خلالها ... كيف عرفت بأني هنا؟

فأجابني بطريقة شاعرية:

وهل ظننتي بأن قلبي يمكن أن يتوه عن مكان وجودك؟ إنه دليلي إليكِ..

ألم تخش غضب أخي؟

لا .. فما ساقني إليك إلا نيران الشوق التي تأججت بداخلي

منذ أن وقع بصري عليك ليلة أمس...

هكذا من النظرة الأولى؟

أجل ..من النظرة الأولى ..أين نذهب؟

صحت..بيني وبين نفسي امجنونة انا ..كيف اخرج معه ؟لا لست بتلك السذاجة ..ثم قلت..

لا .. ليس من اللقاء الأول فأنا لا أعرفك ثم أنني لا أستطيع التأخر عن المنزل ..

لن نتأخر يجب أن نتحدث إختاري المكان الذي يناسبك...

ثم نسيت امر مايمكن ان يحدث وتنازلت دون ممانعة.. وقلت..

لاأدري .. تعلم بأني لم أتجول في المدينة بعد لذلك أترك لك أمر الأختيار... كل هذا ومازال يرفض ترك يدي وذلك الضغط يجعل اللهيب يسري في أنحاء جسدي ..

ها أنا أعيش مشاعر حب جديدة كما توقع أنور بالضبط وكأنه كان يعلم مسبقاً بأني سأتعرف إلى رجل غيره

عالم غريب بالفعل .. ولكن كيف لقلبي الصغير أن يتسع حباً أخرا وجدار القصة الماضية لم ينهدم بعد؟

لا أدري .. فكل ما أعرفه هو أني معه دون أن أفكر بأية نتائج أخرى.

*****

أصبحت الساعة الرابعة بعد الظهر وكان يجب أن أعود إلى المنزل ولكن مازن أصر على السير معي حتى نصل إلى المنزل.

على بعد خطوات من المنزل أحسست بالحزن .. لقد حانت ساعة الرحيل فتلاقت النظرات لآخر مرة قبل أن ألتفت لفتح الباب.

كنت ما أزال أدخل المفتاح في شق الباب عندما شعرت به يشد ذراعي في الوقت الذي ظنته قد ابتعد عن المكان فسقط المفتاح من يدي مما أجبرني على النظر إليه فشد ذراعي الأخرى وقال:

لا أستطيع صبراً ... متى أرك من جديد؟

جمدت نظراتي لوهلة وخفت من ذلك الإصرار الذي حمله داخل أعماقه ومع ذلك أجبته .. لا أدري

بودي لو نبقى معاً وقتاً أطول ..

أرجوك أخي ينتظرني في الداخل.

فاجئني حين حمل وجهي بين راحتيه بعنف فدب الرعب في أوصالي ثم همس في أذني لا يهمني أمر أخيكِ ...

اغضبني أسلوبه وتجاهله لأمر ماهر... صديقه...

إنه لا يعلم ماذا يعني بالنسبة لي ومع ذلك أردت نسيان كل شيء في تلك اللحظات خفت من أن يرانا أحد وهو يصر على بقاءه معي ... أحسست بتيار راعش يعبر جسدي وقلبي أصبح يخفق خفقاناً عجيباً.

أخافني ذلك الإحساس ومع ذلك لم أستطع الاعتراض ولم أقو حتى على خفض رأسي.

ظلت نظراتي مرتعشة فزعة وهذا ما شجعه على التمادي أكثر حتى ظن نفسه يملكني وأني سأنسى الدنيا بينما وجهي بين راحتيه .. ياه .. ماذا به .. أيظنني سأكون لعبة بين يديه؟..

قال: ما رأيك لو نتناول طعام العشاء في نفس المكان.

فوجئت بطلبه .. ومن يظنني هذا الشاب .. أتعشى خارج المنزل مع شاب لا تربطني به صلة ينسى بأني عشت وترعرعت في بيئة محافظة يا له من أحمق!...

ولكنني للحظة فكرت وأطلقت العنان لخيالي .. وماذا لو فعلتها؟...مجنونة انا...بالفعل...واطلقت العنان لخيالي ..

بعد العشاء ماذا يمكن أن يحدث؟

سيطلب مراقصتي وثم سيجد حجة كي يغازلني وطالما أنا مقربة منه كل ذلك القرب سيسمح لنفسه بملامستي وربما يتجرأ ويهمس في أذني كلمة أحبك وكلمات أخرى تخجلني و

فكرت .. إنه ككل الرجال .. يرغب بي ... أنا أداة لمتعته فقط يريد الانتصار عليَّ وعلى أنوثتي ...

ووجدت الفرصة لتحرير نفسي منه ثم ركعت والتقت المفتاح ولم أجبه على طلبه مطلقاً ..

كدت أدخل المنزل عندما أستوقفني من جديد وكرر طلبه ...

خفت من بقاءي معه أكثر من ذلك فرمقته بنظرة مطولة قبل أن أدخل إلى المنزل ويغيبني الباب

أسندت الباب بظهري وتهت عن واقعي ثم سرت ببطء نحو غرفتي كدت أدخل إليها غير أن صوت ماهر الغاضب دب الرعب في قلبي فرجعت خطوة إلى الخلف والتفت لأجده جالساً في الصالون.

ألقى بجريدته على الطاولة واتجه نحوي يسألني؟

هلا أخبرتني أين كنت حتى هذه الساعة؟

نظرت إليه وقد احتقن الدم في وجهي ثم اقتربت منه ووضعت كتبي على الأريكة التي أخذت مكانها بيننا وأجبته بخوف:

في الجامعة طبعاً

صرخ بوجهي مزمجراً.. تكذبين عليَّ.. ذهبت إلى هناك كي نعود معاً إلى المنزل فأخبرتني صديقة لك بأنك لم تحضرِ محاضرتك الأخيرة.

ولم ذهبت إلى الجامعة .. تريد مراقبتي؟

لم يخطر في بالي مطلقاً مراقبتك أخبريني أين قضيت كل ذلك الوقت.

حاولت جاهدة إيجاد تبرير لغيابي ولكنني فشلت فلم أستطع على الإطلاق إيجاد حيلة تخرجني مما ورطت نفسي فيه ومع ذلك تذكرت أريج .. إنها صديقتي الوفية لن تخذلني إن طلبت وقوفها معي.

فقلت له: لقد ذهبت مع أريج صديقتي إلى منزلها وقضيت معها بعض الوقت يمكنك أن تخابرها عبر الهاتف وتسألها كي تتأكد ..

ولماذا لم تتصلِ بي؟

كنت ماتزال في عملك ثم إنني لا أعرف رقم هاتفك في العمل ..

أسفة ... أسفة جداً أخي لن أكررها ...

لا بأس ولكن إياكِ والكذب مرة أخرى

لن أكذب عليك مجدداً ... هل أعد لك طعام الغذاء؟

أجل .. لم أتناول طعامي حتى الآن

تركني ودخل إلى غرفته وانا مازلت واقفة لا أصدق بأن الكذبة أنطلت عليه .. لم أكن لأظن بأن سيغفر لي .. أخذت نفساً عميقاً واسترخيت لبعض الوقت .. وسرعان ما ركضت إلى غرفتي لأبدل ثيابي بعد أن كاد قلبي يقفز من بين أضلعي بسبب الخوف.

لم أكن مرتاحة حتى وإن صدقني .. ما الفائدة! إن كان صدقني وأنا أعلم علم اليقين بأني أخون الثقة التي منحني إياها .. خنت نفسي ومبادئي ولكني تساءلت: كيف يظهر مازن هكذا في حياتي... أي سلبية هذه التي أنا فيها..؟

كيف انجرف للسير خلف أهوائي..؟

حائرة .. تائهة غريبة في عالمي .. فتلك اللحظات التي عشتها نقلتني إلى عالم غريب تزاحمت فيه الأسئلة ..

أصبحت من ذلك اليوم أتجنب الجلوس مع ماهر خفت إن نظر إلى وجهي أن يشعر بما أقتحم حياتي منذ قدومي إلى المدينة .. خفت أن يلمح مازن في عيني فأنا أعرف تماماً بأن ماهر يعرفني حق المعرفة وهو بالذات دون الناس جميعاً.

ولكن ماذا به هو الأخر كان يبدو عليه الغضب .. كنت أراقبه من خلف الباب .. كان يأخذ فرع الصالون ذهاباً وإياباً ..

تركته لحيرته وعدت لأستلقي فوق سريري ومازلت أنظر إلى باب غرفتي فأمام ذلك الباب يمشي أخي ريحة وجيئة أخي الذي لا أعرف ما الذي يشغل باله ويقلقه.

نهضت من سريري وأقتربت من الباب من جديد وأذ بي أراه يرمي جسده متخاذلاً فوق الأريكة ويشعل سيجارته ..

أجل أعرف تماماً بما يفكر وكنت على يقين بأنه لم يصدقني حينها.

يخاف أن أضيع وسط زحام المدينة وأتوه في شوارعها الكبيرة .. وأغرق في سعار الرغبات وغمارها.. يخاف عليَّ من هذا العالم المليئ بالذئاب والمخاطر.

يفكر كيف يمكنه حمايتي من ضعفي وسذاجتي وطيبة قلبي وعواطفي التي يعلم تماماً بأنها تغرقني في شبر ماء إن حدث وعشت قصة حب ..وهو من ارادني أن أكون في المدينة فقط من أجل الدراسة وأن لا يكون هناك هدف أخرى.

يا لتلك العواطف التي ستجرني إلى التهلكة ..

أشياء كثيرة تضج في عقله وهو الشارد عن نفسه وعني تماماً.

حتى سيجارته تحولت إلى رماد بين أصبعيه قبل أن يحرقها لهيب أنفاسه ذابت ولم يشعر بأنها أحترقت ..

ليس وحده من يخاف عليَّ .. أنا أيضاً أخاف على نفسي من نفسي أخاف أن تحولني المدينة إلى ريم أخرى تبعدني عن معتقداتي ومبادئي وتنسيني أمر الطموح الذي حاربت أنور وتركته لأجله . لا أدري إن كنت تركت أنور بسبب الطموح ام لأسباب أخرى أنا نفسي أجهلها ...

بل ربما لأنه كان يشتهيني فقط. وأنا أردته أن يحب ريم لا جسدها فقط..

يجب أن توصلني أحلامي وطموحاتي إلى القمة المجد ونيل أعلى المراتب.

لم أكن أن أتوقع مطلقاً دخول مازن في حياتي وبهذه السرعة.

وهو لن يترك لي مجالاً لنسيانه يقصد ملاحقتي على الدوام.

وكل هذا الإصرار منه على رؤيتي والتكلم معي جعلني أكثر إصراراً منه على رؤيته وهو الذي استمال قلبي وجعله رهينة حبه.

من نظرة واحدة أذابت الثلج الذي تراكم بداخلي منذ تركت أنور .. أنا فتاة والفتاة تحتاج دائماً لإهتمام الرجل بها .. تحتاج للشعور بأنوثتها بعاطفتها بمشاعر لذيذة تسرقها من نفسها وعالمها ومحيطها بعيداً وتأخذها إلى حيث لا تعلم ..

هل يستطيع أخي منعي من الحب؟

لا يستطيع منعي لأنه لا يملكني ...

كيف لا..؟إنه اخي ويهمه امري وهو وحده من يعرف مصلحتي اكثر من الناس اجمعين

ولكن ماذا عن مازن؟ هل سأسمح له بأمتلاكي؟ .. لا .. لا أريد

من حبه أن يقيدني .. بل أريد أن أكون حرة بلا قيود . ..

بالفعل أصبحت أسيرة لقصة لم أحب مطلقاً عيشها في بداية وجودي في الجامعة .. فمشواري الدراسي مازال في بدايته وأنا أعلم بأن طموحي لا حدود له ...

أسرق سماعة الهاتف خلسة من الصالون عندما ينام أخي وأدخل إلى غرفتي بعد انتصاف الليل كي أتحدث مع مازن .

كان لا يمل الحديث مطلقاً وتستمر أحاديثه حتى يزغ الفجر في أكثر الأحيان ... فتلك الأحاديث المطولة كانت تضعني في مواقف حرجة دائماً ..أحسست بأنه على ما يبدو تدرب على انتقاء الأحاديث

التي تحبها الفتيات وتجعلها تذوب لمجرد أنها تسمع صوت من يحدثها ... أصمت طوال الوقت وهو وحده من يتحدث وأنا أسمع ولكن تلك الأحاديث لم تكن تتركني أنام من الليل إلا قليله وعندما أنهض في الصباح .. أستيقظ متكاسلة مرهقة منهكة القوى وأجر قدمي جراً مرغمتين إلى الجامعة.

ولكن ماهر .. هل مازال يثق بي؟

لِمَ لا .. أعود إلى المنزل في الوقت المحدد وأستيقظ في الصباح وحدي وأذهب إلى الجامعة كل يوم ورغم تعبي وإرهاقي أسهر معه أمام شاشة التلفزيون وأناقشه في بعض ما يقرأ من كتب.

مع إلتزامي وإطاعة أخي غير أنني كنت ألمح في عينه نظرات كانت تحمل بداخلها ألف سؤال؟ كما لو كان يشك بتصرفاتي .. أو ربما كان يسمع مكالماتي الهاتفية المطولة التي أجريها مع مازن؟

ثم أستبعد الأمر فلو كان كذلك لنهرني ومنع عني الهاتف.

صرخت في أعماقي .. لعنت نفسي واحتقرتها .. خائنة أنا أخون ثقة أخي وحبه لي أخون القيم والمبادئ التي وعدته بأني سأحافظ عليها مهما كلفني الأمر والدراسة فقط هي سبب وجودي في المدينة ولا شيء أخر.

تساءلت: ماذا يساوي مازن أمام خوف أخي وحرصه عليَّ .

إنه لا شيء .. حتى إنني بدأت أحس بأنه لا يختلف كثيراً عن أنور ..كلاهما تتراقص الشهوة في نظراتهما...كلاهما يريدان إمتلاك هذا الجسد لا غير...

أحاديثه .. حركاته .. نظراته .. كل شيء فيه يبحث عن المتعة.

فأحاديثه الليلية تشعرني بقربه مني لدرجة جعلتني أوقن تماماً بأنه يصل من خلالها إلى النشوة ويتذوق طعم المتعة .. أعرف بأنه يشتهي جسدي ويتمنى الانتصار على رغباته .. فإن كان محباً بحق أنتظر يوم الزواج وإن كان يبحث عن المتعة سيسرقها ويعيشها حتى وإن كان ذلك ليس من حقه.

أنا سأحبه على طريقتي دون أن يجرني إلى الخطيئة .. دون أن يصهرني حبه ... دون أن أمنحه طهارتي .. لن أتركه ينتصر عليَّ بل سأتركه يحبني كما أحب وأشتهي أنا.

*****

كنت وإياه نقف في الحديقة العامة تلمحنا فيها كل العيون .. كنا نتحدث عن نفسينا .. عن أحلامنا .. عن طموحاتنا ورغباتنا ومع ذلك فوجئت حين حدثني عن رغبته المجنونة وهو أنه يريد أن يرحل بي بعيد عن عيون البشر ليلوذ بي ويفوز وحده في حبي ..

طريقته بالحديث أخجلتني إلى حدٍ جعلني أتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعني ومع ذلك أدعيت عدم الإكتراث بما قاله ...

غير أن تلك النظرات التي كان يرمقني بها أثارت خوفي منه وربما اشمئزازي خاصة عندما قال بأنه يرغب في تقبيلي

ماذا يمكنني أن أقول له؟ وبماذا أرد؟....

ألا يكفي بأني منحت قبلاتي لأنور؟؟ماذا انا فاعلة بنفسي

تلك العبارات لا أقوى على صدها ... سمعتها منه خفق لها قلبي عشرات المرات .. ليس تعطشاً للقاء جسدينا ولا حباً فيها ... بل خوفاً من جرأته التي جعلته يتمادى أكثر من اللازم .

يحاول إضعافي أمام جبروته كي أنسى نفسي وأتلاشى بين ذراعيه طائعة مستسلمة .. أرعبني أسلوبه السينمائي وأشعرني بالوهن وقضَّ مضجعي وصفه العنيف لي حين لمس وجهي الناعم، أصبح يعرف نقطة ضعفي تماماً مما يجعلني عاجزة تماماً عن صدّه وأنا من اعتدت على صد النظرات أنور في بداية قصة حبنا.

ولكن ماذا بي؟ .. ما الذي أضعفني .. بدأت أستسلم للمساته وقبلاته، وأصبحت تسحرني همساته فتنقلني إلى عالم غريب عن واقعي وتغرقني في بحر النشوة ..

نشوة عذبة لذيذة تظلل عيني بغشاوة قاتمة السواد وتجرني قسراً إلى أحضان الخطيئة ...

أصبح ماهر يستغرب شرودي المستمر وعزلتي عنه .. حتى بتُ أظهر أمامه كأطياف ظلال غامقة السواد.

لم يكن يتجرأ على سؤالي وعما يمكن أن أخفيه بين طياتي هو يعلم بأني فتاة والفتاة لديها الحق بأن تخفي مشاعرها عن أقرب الناس إليها إن أرادت وكونه أخي الأكبر لا يمكنه اقتحام حياتي والتغلغل في أعماقي لمعرفة ما أخفيه عنه .. كنت أراقبه عن بعد وأعرف تماماً بأنه يفكر بي ويعلم علم اليقين بأني

أخجل من محادثته في أمور كثيرة الفتاة وحدها تستطيع حملها في داخلها ... تفكيره وخوفه عليَّ لم يأتي من فراغ فهو يلاحظ شرودي الدائم والتغيير المفاجئ التي اكتسح خيالي والنحول الذي أصاب جسدي فجأة.

أجده عاجزا تماماً عن سؤالي بأي أمر .. يريدني أن أذهب إليه من قرارة نفسي وأحدثه بما يعتلج صدري.

تركته غارقاً في تفكيره حين خرجت من المنزل إلى الجامعة دون أن أتناول طعام الأفطار حتى ولم يسألني مطلقاً عن أي شيء بل قرر أن يتركني على راحتي حتى أتي من نفسي وأصارحه بكل ما أخفيه.

أنهيت درسي الأول في الجامعة وانسحبت من القاعة قبل بدأ المحاضرة الثانية لأستنشق بعض الهواء لأنني شعرت لوهلة بالاختناق وأنا في الداخل ..

لمحته .. وربما شبه لي لبضع ثوان ولكن سرعان ما رأيته يظهر أمامي من بعيد ثم يختفي خلف الشجرة الكبيرة .. أراد لفت أنتباهي وحدي دون أن يلفت أنتباه الطلبة الذين كانوا يعجون في المكان ذهاباً وإيابا.

شعرت بالزهو وشردت لبعض الوقت ومع ذلك وجدتني أذهب إليه مسرعة رغم كل الخوف الذي يعتمر قلبي كلما ألتقينا، ولكن سرعان ما أراه أمامي أنسى كل خوفي وأذهب إليه طائعة ...

سرت بأتجاه الشجرة ببطء ومازال يخفي نفسه خلفها ..

اقتربت منه وقفت إلى جانبه وكم تمنيت في تلك اللحظات لو أرمي برأسي المثقل فوق كتفه وبأخذي إليه وتغمرني ذراعاه وتنفرج أساريري وأتنازل عن بعض كبريائي وغروري .. مع كل تلك المشاعر الدفينة التي أحملها في داخلي قررت الكتمان على حين أحسست به يمد يده ليحضن يدي الباردة ثم يضمها بيده الأخرة وأخذ يفركها كي يدفئها ثم رفعها إلى فمه وطبع قبله في كفي احمَّرت لها وجنتي ثم سألني بألحاح إن كنت أرغب بالذهاب معه إلى مكان أخر يبعد كلينا عن العيون؟

لم أجبه على سؤاله..وفكرت.. ولن أرضخ لرغبته المجنونة مع ذلك تابع حديثه

ما رأيك لو أختفينا عن هذا العالم ولذنا بالفرار؟ هناك لن يعكر صفونا أحد.

تساءلت: وإلى أين يمكن أن يأخذني؟ أعرف تماماً إلى ما يلمح إليه فتجاهلت رجائه وأرت الانسحاب بقولي:

عليَّ العودة إلى المنزل ماهر سيقلق عليَّ حتى أنه أصبح لا تعجبه حالي ويستاء كثيراً من تصرفاتي وعزلتي عنه وأنا لا أريد أغضابه مني فيحرمني من الجامعة ومنك إلى الأبد.

وإلى متى سيبقى ماهر بيننا؟

إلى الأبد .. إنه أخي الأكبر و لا يمحوه من حياتي إلا موتي

يخاف عليَّ وعلى مستقبلي وأنا أحب هذا الخوف فيه وأحترمه.

رمقني بنظرة غاضبة ثم بحركة مفاجئة ومرعبة وجدته يسند ظهري إلى جذع الشجرة مما جعلني بثواني قليلة أعيد إلى ذاكرتي المشهد الذي عشته مع أنور.

كان مشهداً مرعباً وقاسياً نم عن رغبة أنور الجامحة بأفتراسي والنيل مني فقط لأنني رفضت البقاء معه لأكون لعبة بين يديه.

سحقاً لهم كلهم على نفس الشاكلة..

خفت وتساءلت: أمعقول أن أرضخ له.. .. أنا أريد الحب وهم يريدون إفتراسي؟ أين احترام رغبتي إذاً؟

ضغط على كتفي بكتفيه القويتين وأزداد ضغطه عليهما بقسوة أكثر من ذي قبل ثم ألقى على مسامعي جملة كرهتها في السابق:

المعتوه ماهر يظن بأن دراستك وشهادتك أفضل من أن يكون لك شريكا.. حبيبتي أنا دراستك ومستقبلك .. أنا كل ما تريدين .. أصنعي مني هدفك إن أردتِ وسأكون لكِ عبداً.

أحسست بأنانيته .. بقسوة كلماته وأيقنت بأنه يملك نفس الأنانية التي يملكها الأخر .. شعرت بغروره حين ظن بأنه ملكني وأني سأكون مستعدة إلى ترك عالمي الذي أحب والتخلي عن أهدافي التي عشت سنوات وأنا أسعى إليها وطموحاتي التي أخرجتني من بلدتي كي أسع خلفها.

أصبح يزعجني غروره وإصراره على تملكي..

إنه واهم إن ظن هذا...

سرقني من تفكيري وهمس بأذني مما أشعرني بالقشعريرة والضعف حين لمست أذني شفتاه ...

ثم قال لي: هل تعرفين ما أود فعله الآن؟

أن تدعني وشأني .. أريد العودة إلى المحاضرة

إنسي أمر المحاضرة الآن وتعالي نذهب إلى مكان أخر .. سأخطفك من هنا وأذيب بلمسة مني هذا الصقيع الذي يملأ قلبك وجسدك.

أحسست بصدري ينكمش وأردت أن يمنحني فسحة بسيطة ويبتعد عن طريقي لأستنشق هواءً نقياً لأن قربه مني يكاد يشعرني بالاختناق.

تابع كلماته الحارقة وأنا مازلت أصغي إليه والخوف تملّكني تماماً.

أريد أن نكون معاً بعيدين عن كل العيون لكي أغزو قلبك وهذا الوجه المحتقن أحلم بألتهام هذه الشفاه المرتعشة على الدوام.

هو يريد هذا وأنا أريد الفرار منه.. من قبضته.. من إصراره.. من غروره.. من رغباته الجامحة بالحصول عليَّ.. وصرخت من أعماقي.

غبية وساذجة .. ما الذي يضعفني لأستكين تحت ضغط ذراعيه وجبروت أنانيته .. ماذا بي؟ .. ما هذا الضعف الذي يشل حركتي تماماً ويلجم لساني فلا أستطيع حتى الرد على كلماته.

ما هي إلا ثواني حتى وجدت نفسي أتلاشى تحت تأثير قبلة مطولة حين لامست شفتاه المتعطشة شفتي المرتعشة الخائفة .. لم استطيع منعه ثم ما هي إلا لحظات حتى رحلت إلى عالمه ونسيت وجهي داخل كفيه..اكره ضعفي..اكره أستسلامي أكره حتى وجودي معه ومع ذلك انصاع لرغباته المجنونة... حتى اكاد أتلاشى بين ذراعي الخطيئة.

ثم أحسست بيده فارغة الصبر تمتد إلى صدري فتلمسني بعنف فأشعلت ناراً في أنحاء جسدي ثم عاد وبحركة منه ليسند رأسي إلى الشجرة ليمطر عنقي وصدري بوابل من القبلات ..

ضعيفة كل هذا الضعف .. مستسلمة كل هذا الاستسلام؟ وتلك اللمسات الحارقة والقبلات الملتهبة والمتعطشة لإلتهامي تغزوني تماماً فلا اكاد اقوى على التحرر منه....

أردت الفرار من كل ما أنا فيه حاولت جاهدة التملص من بين يديه ولكن ذراعاه قويتان أكثر مما توقعت إنهما تقيداني فلا أستطيع مقاومتهما.

سمح لنفسه بتمرير يديه خلف ظهري نزولاً وصعودا مما أشعل حرباً بيني وبين التحرر منه.

دفعته بكل قوتي وأنا أرجوه كي يدعني أرحل ولكن هيهات لأن يستجيب لرجائي .. بل على العكس استمر بتمرير يده في كل منطقة توصله إلى المتعة بينما شفتاه عادت وأطبقت على شفتي لتمنعني حتى من رجائه في تركي وشأني.

مرعوبة من إصراره وخائفة من أن تصل يداه إلى التمادي أكثر فأكثر كيف يفعل كل هذا بي ونحن في حديقة الجامعة.

الأحمق وكأني لا أعنيه وكأنه لا يعرف حرمة الأماكن العامة... يا لي من حمقاء كيف سمحت له بأن يقتحم كل جزءٍ من جسدي .. كيف سمحت له بأن يحولني إلى وجبة عذاء دسمة.

حاول إضعافي بشتى السبل كي يفقدني السيطرة على نفسي فأجلس على الأرض واسمح له بأفتراشي والنيل مني ولكن هيهات وكم تمنيت لو يرانا أحد ويخلصني من ذلك الضغط العنيف الذي يحيطني فيه.

وتفاجئت به حين وجدته يصفعني على وجهي بكل قوته أكثر من مرة وهذا ما اثار حنقي لأنني كنت أمنعه من الوصول إلى ما يريد .. كاد يتحول إلى وحشٍ كاسرٍ على حين سمعت صوتاً غاضباً هبط على مسامعي كمطرقة وزعزعني بل واقتلعني من جذور كياني .. أيقظني من تخدير تلك اللمسات الحارقة وسرقني من تلك الشفاه المجنونة والمتلهفة لإلتهامي.

نظرت إليه مرعوبة ودموعي تملأ وجهي ومازن مازال ممسكاً بي على حين مسكه من كتفه بطريقة عنيفة وأنقذني من ضغطه المرعب الذي كاد يكتم على أنفاسي ويأخذني من الوجود.

أخذت نفساً عميقاً وأحسست بجفاف حلقي وفجأة تلاشيت ووقعت على الأرض بلا حول ولا قوة بينما أنهال أخي عليه ضرباً وهو يقول .. أيه السافل .. الخائن تطعنني في الظهر... ومع من؟ .. مع أختي!؟ سأقتلك أيه السافل.

إنهال عليه بالصفعات حتى أسقطه أرضاً ثم اقترب مني وبحركة خائفة حنونة بيده جعلني أقف ويده ما زالت تضغط على يدي ثم فوجئت بمازن ينهض ويشدني من يدي الأخرى وينتزعني من أخي وهو يقول: ماهر ليس من حقك الوقوف في طريق حبنا أحبها وأريدها.

نظرت إليه وتمنيت للحظة لو أنقض عليه وأنهال عليه ضرباً أنا الأخرى وكنت لا أملك إلا أن أصرخ وأنعته بالأحمق والحقير...

ثم تابعت تجريحه .. أنت كاذب كبير فكل ما أردته هو متعتك دون أن تفكر بي كإنسانة ولي حقوق حولتني إلى ألة صماء تريد صهرها بأية طريقة .. أنا لا أحبك لأنك لا تستحقني ..

ثم فوجئت بأخي ماهر يقترب من مازن وينتزعني منه بالقوة ثم سار بي مسرعاً فاراً من كل العيون التي كانت تراقب ما يجري والتي كادت تشهد على خطيئتي.. كتمت آهاتي وخوفي وربما خجلي من أخي الذي لم ينظر إليَّ بعد.. سوى أنه أوقف سيارة أجرة وفتح لي بابها الخلفي ودفعني إلى داخلها ثم التفت إلى الأمام وجلس إلى جانب السائق وانطلقت بنا مسرعة وقد تمنيت ألا تصل السيارة أبداً لأنني خفت منه ومن مواجهته .. خفت من تأنيبه لي وضربي ومعاقبتي .. ولكن هيهات فسرعان ما توقفت السيارة فنزلت منها مهرولة دون النظر إلى الخلف واتجهت نحو باب المنزل ثم فتحته ودخلت وقبل أن أصفق الباب خلفي سبقني إليه ودفعني غاضباً .. لم أستطع النظر إليه .. بل أردت الهروب من كل ما يمكن أن يحدث ..

انا استحق ان يضربني...ان يسحقني...ان يعاقبني أشد عقاب

تركته وجريت نحو الغرفة ولكنه صرخ غاضباً واستوقفني ..

وقفت جامدة تماماً ورأسي مطرقاً على الأرض خجلة تماماً من النظر إليه وفوجئت بكفه القوية تهوي على وجهي ويصفعني بكل ما أعطاه الله من قوة ومع ذلك لم أغضب منه أعرف بأني أستحق هذا بل وأكثر ..

علمت بأن تلك الكف التي كانت تحن علي وتربت على كتفي قادرة على سحقي وتحطيم وجهي أيضاً .. أول مرة يضربني .. أول مرة أشعر بقوته وغضبه .. أول مرة أراه يفقد السيطرة على نفسه .. إنه

كالمجنون .. خفت من جنونه ذاك وأحتقرت نفسي لأنني أغضبته كل هذا الغضب وهو أخي الأكبر وصديقي وأبي الأصغر.. آه .. ماذا أفعل كي أعيده إلى سابق عهده؟

اقترب مني من جديد وكنت أنتظر منه صفعة أخرى ترديني أرضاً ولكنه لم يفعل بل رفع ذقني بعنف وسألني:

ماذا حدث بينكما غير الذي رأيته؟

فاجأني سؤاله وفكرت ... وماذا يمكن أن يحدث؟

صرخ بي ... أجيبي .....

لا .. لم يحدث شيء صدقني ... أسفة أعلم بأني أخطأت ولكنني لم أتخط حدودي ...

صرخ غاضباً: كل هذا ولم تتخطي حدودك؟

أرعبني منظره حين رأيته يدور حول نفسه دورة كاملة ثم عاد لتجريحي وهو يقول: لماذا ... لماذا؟ .. ألم أحذركي من الخطأ

أقتربت منه وركعت أقبل قدميه وأنا أرجوه بأن يسامحني ..

أقسم بأني كنت ضعيفة وكان قوياً فلم استطع مقاومته حاولت مراراً التخلص منه والهرب ولكن قوته وتمسكه بي منعاني من الحراك تماماً

أنحنى أمامي ورفعني من ذراعي وهو يصرخ:

أيتها المجنونة كنتِ مستسلمة له كأي فتاة عرفها.

وهل عرف فتيات قبلي؟

وهل ظننتي نفسك الأولى؟مجنونة..انتي تعيشين في الريف وتخدعك المظاهر وتثقين بمن حولك لمجرد انهم بادلوكي مشاعر الحب.. عزيزتي هذا الشاب زير نساء من الدرجة الأولى ألم تلحظي كيف كان يتعامل معك؟ إنه كالوحش لا يأبه مطلقاً لمشاعر فريسته مهما كان مستوى رقتها ووضعها ثم إنه لا يثق بالنساء يستدرجهن باسم الحب والمشاعر الكاذبة ثم يتركهن وحدهن يلملمن أذيال خيبتهن.

خدعتني نظراته وأوقعني في شباكه .. كل شيء فيه كان يرغمني على حبه والأنجراف إليه حتى لمسه ليدي كان يأخذني إلى عالمه السحري ...

نظرت إلى ماهر وقد هدأ قليلاً ثم وجدت نفسي أرتمي بين أحضانه وشعرت فجأة بأنه بر أماني ومرساي .. ثم قلت له: أحمد الله أنك جئت في الوقت المناسب ..

لم يقل شيئاً بل أحاطني بذراعيه وضمني إليه بقوة ويده تربت على ظهري كما لو كان يهدأ من روعي ويعتذرلي عن الصفعة التي باغتني بها.

ها أنا أسدل الستار على مسرحية أخرى من مسرحيات حياتي وعلى قصة حب فاشلة لم يكتب لها النجاح كسابقتها.

أو كنت أظنها قصة حب.. هي تجربة قاسية..

(مازن) أصبح ماضي .. و(أنور) أصبح ماضي .. يا له من حب يريد إمتلاكي دون أن يأبه لمشاعري كإنسانة لها حقوق وواجبات.

مرت أيام ولم أذهب إلى الجامعة .. كان يجب علي البقاء بعيدة عن الناس لبعض الوقت كي أنسى ما حدث وكي أتعلم من تجربتي التي كادت تودي بي إلى الهاوية.

خرجت من غرفتي إلى الصالون بدأت أخذ ذرع الصالون ذهاباً وإياباً ثم لفتت إنتباهي المكتبة الصغيرة في زاوية من زوايا الصالون.

اتجهت نحوها وتأملت الكتب الموجودة بداخلها وبعد تأمل ليس بطويل لعناوين الكتب أخترت لنفسي كتاباً وعدت لأجلس على الأريكة بينما مازلت أتصفحه.

قرأت .. وقرأت حتى أصابني الملل .. أتعبتني القراءة رغم إنني حفظت أدوار أبطال الرواية فخلت نفسي أدخل قاعة امتحان وكل الأجوبة مزروعة في رأسي ولم يبق إلا أن أطبعها على الورق لأنال أعلى الدرجات .. كنت مستمتعة تماماً بالخيال الذي نقلت نفسي إليه ولم ألحظ وقوف ماهر إلى جانبي .. كان يراقبني بصمت وإبتسامة عريضة ارتسمت على وجهه .. مرَّ الوقت ومازالت الشخصيات تداعب مخيلتي فتنهت لوجوده حين لم يستطع كتم ضحكته.

نظرت إليه سألته: ما بك .. تسخر مني؟

اقترب مني وأحاط كتفي بذراعه وجلس إلى جانبي وهو يقول:

أخبريني ماذا تقرأين؟

إنها رواية رائعة وشيقة للغاية .. ماهر هل أخبرك بسر؟

كلي آذان صاغية ..

تعدني بأن يبقى بيننا؟

إن كان يستحق الكتمان لا ضير إن ظل بيننا؟

أنت تفهمني أليس كذلك؟

تعلمين هذا.. لا أحد في هذه الدنيا يفهمك مثلي ..

أفكر بدراسة التمثيل ...

اتسعت عيناه واخترقتني نظراته الساخرة ثم طلب مني إعادة ما قلت فقلت له متقطعة .. أريد .... أن .... أدرس ..... التمثيل ....؟!

نسيت من أنتِ ومن أين؟ عزيزتي أنت أبنة بلدة محافظة

وأناسها أيضاً محافظين .. أين سترحلين من كل هذا؟

هذا يعني بأنك لا تمانع الأمر من حيث المبدئ ...؟

بل أمانع وتفكيرك لا يعجبني خاصة وأنكِ تدرسين في الجامعة وطموحك الصيدلة أو الطب.

ولكني لا أدرس الصيدلة ولا الطب أنا أدرس إقتصاد وهذا طموحي أرجوك ماهر ساعدني .. أنا موهوبة جداً وأعشق هذا الفن.

ومن قال لك بأنكِ موهوبة؟

أنا أعرف نفسي ...

ضحك وقال...مغرورة ...عزيزتي انهي دراستك الجامعية وبعدها لكل حدث حديث ..

ثم قال وانا اعرف بأنه لم يفي بوعوده اخي واعرفه لن بتخلى عن شرقيته وكونه ولد ونشأ في البلدة مع الفلاحين...

لا بأس لماذا لا تدعيني أفكر بالأمر؟

بالطبع فكر وخذ ما يكفيك من الوقت ولكن في النهاية مواقفتك تهمني..

أخذ الكتاب مني وقال: حسناً ما هو الدور الذي كنتِ تمثلينه؟

شجعني هدوؤه فأقتربت منه أكثر وسألته: هل تساعدني بأداء المشهد

تقصدين أن أشاركك البطولة؟

هذا أكيد وأنت بطلٍ رائعٍ فلو عملت في مجال السينما

لأصبحت نجماً وخطفت الأضواء وتربعت على عرش الشاشة الكبيرة والصغيرة وستكون حولك العشرات بل المئات من المعجبات .. ما رأيك؟

داعب ذقني مازحاً ثم قال: تبالغين.. ثم كيف أعمل في مجال التمثيل.. أنا شاب عادي وأجد حولي العشرات من المعجبات لذلك لا أريد المزيد...اخاف ان اصاب بمرض الغرور وتطالني الشهرة وقتها حتى انتي لن تجدي وقتا لمخاطبتي..

جعلني اضحك بيني وبين نفسي ثم صرت اراقبه

فتح ماهر الكتاب وقرأ بعض الكلمات ثم قال:

لا .. لن أشاركك الدور فالبطل هنا يأخذ دوراً ...

منعه خجله من المتابعة فقلت له:

ما بك .. تخجل لأن البطل سيقبل البطلة؟

لم يرد عليَّ بل مازال يتأمل الكتاب .. ثم عدت لأقول له:

انظر يا ماهر فلو استخدم هذا المشهد سينمائياً سيكون رائعاً

حقاً؟.. إسمعي.. لن أسمح لكي دخول هذا المجال على الأطلاق.. كيف يمكن لفتاة مثلك أن تؤدي أدواراً كهذه؟سأقتلك إن فعلتها.

عزيزي أرجوك إنه مجرد تمثيل لا تستبق الأحداث فأنا لم أخض هذا المجال بعد فربما مع الأيام أغير رأي وأبقي على دراستي الجامعية.

والآن ما المطلوب مني؟

أن تقوم بدور البطولة أمامي

أخشى أنك أصبت بالغرور وظننت نفسكِ "فاتن حمامة"

سأصبح مثلها يوماً...وسترى

لا بأس دعينا ندرس الدور ونحفظه .. ثم قال:

انظري البطل هنا يدعو البطلة لشرب فنجان الشاي..

نعم .. ولأنها تحبه لبت الدعوة ..

هذا خروج عن الطبيعة.. ليست محترمة مطلقاً كونها لبت دعوته دون إعتراض وفي منزله ...

عزيزي لا تكن متزمتاً هي مجرد لعبة صنعها الكاتب وربما لا تمت لمجتمعنا بصلة

قال...بل بات لها كل الصلة في عصر كهذا للأسف

هل نبدأ الآن؟

عاد لينظر في الكتاب ثم نظر إلى وخاطبني ..

إنهما يشربان الشاي الآن..

تقصد القهوة ...؟

ولكنه دعاها لشرب الشاي...؟

ليس هناك فرق هيا... تابع..

ألقت البطلة نظرة مطولة على المنزل ومحتوياته ثم دخلت إلى المطبخ وساعدته بأعداد القهوة.. كانت تريد أن تشربها في المطبخ غير أنه أعدها وحمل الفنجانين إلى الصالون وطلب منها أن تتبعه..

سارت خلفه كظله وجلست قبالته على الأريكة.

اقترب من الطاولة وسكب القهوة في الفنجانين ثم وضع ركوة القهوة على الطاولة وحمل الفنجان وقدمه لها بكل إحترام ثم دار حول الطاولة وجلس إلى جانبها وتناول فنجانه هو الأخر واخذ يرشف قهوته بصمت..

جالت البطلة ببصرها المكان وصالت..

تقمصت دورها ببراعة إلى حدٍ جعلني أظنني هي بالفعل فألتفت إلى ماهر أقول له:

على فكرة منزلك جميل للغاية؟

قال: أعرف وإلا ما كنت دعوتك إليه ..

عادت البطلة لتشرب القهوة ثم التفتت إليه تطري على قهوته وهي تقول: قهوتك أيضاً لذيذة ..

قال بغرور: أعرف وإن تركتك تساعديني بصنعها..

قالت بسرها: مغرور ولكنها سألته: أتقيم وحدك هنا؟

في الوقت الحالي نعم.. والدي يزوران اختي في مدينة أخرى

كان بودي التعرف إليهما..

وضع فنجانه على الطاولة فوجدت نفسها مجبرة على وضع فنجانها هي الأخرى دون أن تنظر إليه ثم تسربت على مسامعها كلماته الجديد.

لماذا هذا السرد الممل لأسئلة لا أجد أجوبتها مهمة لكلينا ... أنسي كل شيء ودعينا نفكر بما نحن فيه؟.. وما نحن فيه الآن؟

عزيزتي لستِ ساذجة فنحن الآن ملك نفسينا ولا شيء أخر..

نظرت إليه وقد لبس وجهها حلة جديدة كما لو أنها بدأت تشعر بالخوف من كلماته المستهترة.. أحست بأنها تعيش معه خلوة هيأها الشيطان لهما إنها تعرف بأنه ليس الملام لأنها لبت نداء قلبها وجاءت إليه بقدميها أرادت الهروب مما اعتراها حين قالت:

إننا نعيش في هذا الواقع لك عائلتك ولي عائلتي...

وما دخل العائلة بموضوعنا؟ تناسى أمر حديثها الذي بدا مملاً بالنسبة له وسألها ... هل ترقصين؟

أجابت: لا أعرف الرقص..

قال: أعلمك إن أردتِ؟

قالت: ليس الآن...

استمر في استهتاره وقال: أنتِ محقة فالوقت يجري مسرعاً.

أقترب منها وحمل يدها المطروحة إلى جانبه على الأريكة وضمها بيده الأخرى وقال لها بينما ينظر إليها: أنتِ ترتعشين؟

وضع ماهر الكتاب على الأريكة وتقمص الدور تماماً فحمل يدي كما لو أنه يريد أن يصنع حواراً ابتدعه خياله..

حق أنا نسيت نفسي ونظرت إليه وتلاقت نظراتنا فحضن يدي الباردة وأخذ يضمها بكفيه ثم رفعها إلى فمه وقبلها.

خرجت أنا الأخرى عن النص وتساءلت:

أين عشت هذه اللحظات.. مع من قمت بأداء هذا الدور..؟ أجل عشته مع مازن على أرض الواقع حين التقينا أخر مرة.. وفكرت.. معقول.. المشاهد تكرر نفسها حتى في الروايات؟

قال ماهر متقمصاً دور البطل:

حبيبتي أتشعرين بالدفء الآن؟

عدت لإداء دوري أنا الأخرى وقلت:

طالما أنت معي سأشعر بالدفء حتى لو كنا في شهر الصقيع؟

إذاً لماذا لازلتِ ترتعشين؟

كيف لا أرتعش وهذه المرة الأولى التي أجلس فيها بصحبة رجل وفي منزله

حدث نفسه بمكر كاذبة.. ومع ذلك سألها:مدعيا البراءة..

تقصدين بأني الأول في حياتك؟

أنت لا تصدقني أعرف هذا تماماً ولكنها الحقيقة؟

ما عدت أصدق أحداً من حولي.. كل شيء مزيف وخصوصاً أنتن يا نساء كل إمرأة عرفتها وأحببتها وباسم الحب الذي نتعاهد عليه أجدها تسلمني نفسها بدون أي مقاومة.. ومع ذلك دعيني أخبرك بأني لم يصدف لي أن قابلت امرأة ترتعش لمجرد لمسي ليدها.. كنا جميعهن المبادرات لذلك كنت أعلم على الفور بأني لم أكن الأول في حياتهن.

سحقاً جمعهن مجربات وهذا ما كان يشعرني بالاشمئزاز من النساء ككل فقدت الثقة بنفسي وبهن جميعاً.. الجنس الأخر لم يكن يهمني مطلقاً فكل ما أعرفه هو أن النساء من حولي يحققن لي المتعة والسعادة في وقت أكون فيه بحاجة إلى الأنس والانبساط..

مازالت يدها داخل يده حين سألته: أهذا ما تأخذه من النساء؟ المتعة فقط؟ أصدقني القول ألم تحب إحداهن فتعلقت بها بعد إقامة علاقة معها وأحببت إعادة الكرة أكثر من مرة؟ ألم تشتهي إحداهن فقررت إبقاءها لنفسك؟..

لا.. هي مرة واحدة أكون فيها مع المرأة ثم يذهب كل منا في حاله

أنا لست من ذلك النوع ...هذه إهانة..

كلنا نبحث عن الجديد..

أزعجها قوله وقالت: المتعة فقط.. أهذا ما يهمك في جسد المرأة لا مشاعر لا أحاسيس.. لا حياة؟... المرأة في النهاية بشر وأنتم تنسون هذا تماماً وتصنعون منها سلعة ...

ألم تقل لك إحداهن بأنها تحبك؟

جمعهن قلن هذا لي ومع ذلك بعد إنقضاء الليلة ينتهي كل شيء.

هل تصدقني إن قلت لك أحبك من كل جوارحي وسأبقى أحبك

رفع ماهر ذقني ولا مس خدي ثم قال:

أجل.. هذه السمرة المتوهجة.. هذا الخجل الذي يعبر في اوصالك.. هذا البريق الذي تحملينه داخل عينيك وهذه اليد المستسلمة تماماً لضغط أصابعي عليها وهذه الشفاه المرتعشة والظمأة لقبلة هانئة من شفتي.. كل هذا يجعلني أصدق كم تحبيني وأني حبك الأول.

خفت من نظرات ماهر لي وارتعدت فرائضي من ذلك الضغط الذي يحاصر يدي، تحول ماهر بلحظات إلى ممثل بارع حتى أنه نسي الحوار تماماً وخرج عن نص الرواية وسرد على مسامعي حواراً جديداً نسجه من مخيلته ومع ذلك أردت متابعة دوري أنا الأخرى فأجبته:

ستكون حبي الأخير إن اعتبرتني من إياهن..

لم يعرِ ماهر إهتمامه بل حمل وجهي بين كفيه وقال:

كيف لم ألحظ هذا الجمال في وجهك؟

عزيزي تأخر الوقت وعليَّ الرحيل والعودة إلى المنزل ... أو تتذكرين بأن بأن لديك منزلاً ووجهك بين راحتيَّ..

أوتستطيع أن تنسى الأخريات إن بقيت على حبك؟

من أجل هذه العيون أنس العالم بأسره..

أتمنى لو أصدقك!

فوجئت حين وجدت وجه ماهر قريباً من وجهي كل ذلك القرب.. ثم قبل جبيني.. لا أدري وبلا شعور وجدت نفسي متقمصة الدور حتى النهاية

ثم ما هي إلا لحظات حتى ذبنا معاً في سحر قبلة مطولة باغتني بها ماهر

ماهر نسي نفسه تماماً ولم يدرك تلك اللحظات بأن البطلة التي بين ذراعيه ما هي إلا أخته.. حتى أنا كدت أنسى نفسي واستسلمت تماماً لضغط ذراعيه وحلاوة قبلته.

كنت مندهشة تماماً مسحورة من كل ما أصبح يحدث ولكن سرعان ما استيقظ ماهر من نشوته المجنونة ونظر إلي ومازال ممسكاً وجهي بين كفيه متمنياً لو قبلته لم تنتهِ!

أما أنا مازلت أرتعش ووجهي أصابته حمَّى مفاجئة.. ثم سرعان ما أدركت الأمر وحررت نفسي منه فأحس ماهر بالخجل من نفسه

فصحت به غاضبة: ماهر.. ما هذا الذي فعلته؟

لم أفعل شيئاً.

كيف لم تفعل شيئاً.. لقد قبلتني..

عزيزتي مجرد تمثيل...

ولكنني أختك...

أنتِ من طلبت مني أن أقوم بأداء الدور رغم أنك تعلمين بأني لست بارعاً في التمثيل.. كدت أنسى نفسي وأنسى أنك أختي...

ألهذا خرجت عن النص وارتجلت حواراً مطولاً لا يمت للرواية بصلة وتقول بأنك لست بارعاً؟

نهض ماهر وهو خجلا من نفسه.. فوقع الكتاب على الأرض وهرول مسرعاً إلى غرفته وقبل أن يصفق الباب خلفه إلتفت إليَّ وقال:

عزيزتي دعي هذا بيننا وأنصحك بالاهتمام في دراستك فأمر التمثيل لا يناسبك بتاتاً...

قال جملته تلك وصفق الباب خلفه..

أحسست به ينهار ويشعر بالعجز والخجل من نفسه.. أحس بأن رأسه يكاد ينفجر.. أتخيله يحمله بين راحيته ويضغط عليه كي يمنع نفسه من الإنفجار..

كنت اسمعه وهو يضرب رأسه بالحائط كما لو كان يريد تحطيمه.

لا بد أنه يلعن كبرياءه ويتساءل: ما الذي فعله.. أين شعوره بالقوة ...كيف يفعل ذلك وهو أخي..

مازلت اتساؤل كيف حدث هذا؟ كيف ينسى أخوته لي ويقبلني وتلك القبلة لم تكن قبلة تمثيل على الإطلاق.. وكأنه يقبل حبيبته قبلة كلها عذوبة وشاعرية ورقة... ؟

لمحته يقترب من الباب ليتأكد بأني دخلت إلى غرفتي أم مازلت في الصالون.. لمحته ينظر من باب الغرفة ليجدني مازلت جالسة في الصالون منكبة على نفسي واضعة رأسي بين ركبتي شارده تماماً عما أنا فيه والرواية مازالت ملقاة على الأرض لا حول لها ولا قوة.

اعتدلت بجلستي تأملت المكان لبعض الوقت ثم وقفت متثاقلة واتجهت نحو غرفتي ورحلت بلحظات إلى عالم غريب كل الغرابة.

ضعت تماماً وحرت ماذا أفعل حتى خلتني سأفتح باب خزانتي وانزل حقيبة ملابسي الفارغة من فوق الخزانة وأجمع فيها ملابسي وأعود الى البلدة.. ولكن ماذا يحدث؟

كل ما فعلته هو الجلوس على طرف السرير وانا أشعر بأحباط شديد ثم عدت واتجهت نحو الباب الذي ما زال مفتوحاً لألمحه يدخل إلى الصالون كما لو كان ينتظر دخولي الى غرفتي.

أحس به.. يريد الاعتذار مني ولا يجد لنفسه سبيلاً.. كيف يخرج مما ورط نفسه فيه؟ رايته يقترب من الأريكة ويهبط فوقها كمن تخلت عنه إرادته ورحل بلحظات الى حيث لا أعلم.

هل تذكره بمن يحبها؟ هو نفسه يكاد ينسى ذلك الحب الذي حرمه عليه الناس والمجتمع.. ولكن الى أين اراد الهروب عندما قبلني قبلته غير الشرعية..

خفت عليه من ذلك الشعور المؤلم الذي يشعر به.. خفت من حيرته وخوفه.. من مواجهتي.. من اعتذاره مني حتى ....؟..

المواجهة الصباحية ستكون صعبة ومخجلة لكلينا.. يعلم بأنه كان قدوتي وإنه خذلني لمجرد إنه قبلني حتى وان كان بمثل.. يعلم بأن تلك القبلة نمت عن شهوة وإصرار.. لذلك خرجت من المنزل قبل أن يراني كي أجنبه الإحراج.

لم أكن أريده أن يعتذرلي.. أريده أن يبقى قوياً وراضياً كما عرفته في السابق.

أشياء وأشياء جلست أناقشها مع أريج في الحديقة.. وسألني عن مازن وانا كنت في عالم أخر بعيد تماماً عن مازن ..

كنت ما أزال أفكر بماهر وبم فعله ولا أدري فلم أكن أحب أن أخفي عن أريج شيئاً لأنها صديقتي المقربة وبيت سري لا أدرى كيف انسحبت من لساني وقلت لها:

قبلني يا اريج!.. فعلها وقد كنت في غفلة عن ذلك بينما كنا نؤدي مشهداً تمثيلياً من رواية..

رائع .... وكيف شعرتِ حين قبلك؟ لا بد أنه شعور لذيذ .. على فكره جاء يسأل عنك البارحة فأخبرته انك لم تأتِ.

ونظرت إليها مستدركة...

من جاء وسأل عني؟

مازن ومن غيره.. مازن الذي يقبلك في غفلة عنك..

مجنونة.. لا أتحدث عن مازن.. بل أتحدث عن ماهر.. أخي

شهقت أريج وقالت مستهجنة الأمر: واو... ماهر... اخوك !.

أجل.. ماهر أخي.. لقد قبلني ولم تكن قبلته قبلة أخ لأخته..

قبلني من شفتي.. قبلة سحرتني.. شعرت بحلاوتها وعذوبتها ورقتها وجدته يخرج عن نص الرواية فجأة ويرسم لنفسه دوراً أخر.. لم تكن قبلته كقبلة أنور ولا قبلة مازن... إنه يختلف عنهما كل الاختلاف أحسست بأن قبلته كانت قبلة حب.. صدقيني لا أستطيع إيصال حقيقة شعوري... شيء مختلف تماماً؟...

عزيزتي كان يؤدي معك دوراً تمثيلياً فحسب لا تعظمي الأمور...

لن تفهميني أبداً.... قبلته لم تكن تمثيلاً على الاطلاق...

يبدو أنك لا تفهمين الأمر.. هيا قومي وتعالي نشرب شيئاً قبل بدء المحاضرة الثانية.

مشيت ورأيتها تهرول خلفي وكأني لم أقل لها ما يستحق التفكير حتى لا ألومها على الإطلاق فأنا أعرفها تماماً طيبة القلب ساذجة.. تأخذ الأمور بكل بساطه مهما كانت ضخامتها..

لذلك عدت الى المنزل وقررت الاحتفاظ ذلك الشعور لنفسي أعرف لم يفهمنِ أحد لأن الشيء الذي أحسه في أعماقي فوق الوصف بالفعل.

*****

عدت إلى المنزل عند الساعة الرابعة ودخلت ببطء كي لا اراه إن كان موجوداً في المنزل.. لم أكن أحب مواجهته غيرأني دهشت...

أجل لقد قرر ماهر الاعتذار لي على طريقته فأعد لي مائدة غذاءٍ تعد لأميرة... مائدة امتلأت بما لذ وطاب.

تحول الى فنان بالفعل فأتقن ترتيب المائدة إلى حد السحر حتى انه لم ينسى مزهرية الوردة الملونة التي اخذت مكانها في منتصف الطاولة كما لو انه يريد إعادة دوره في التمثيل ليتخيلني أجلس معه جلسة رومانسية في أحد المطاعم والرجال من حولنا ارتدوا ملابس أنيقة سوداء اللون يعزفون لنا سيمفونية موسيقية تطرب لها اسماعنا.

فوجئت به حين أقترب مني وأخذ الكتب ووضعها على طاولة مجاورة مسك يدي وسار بي الى حيث يريدني أن أجلس وسحب كرسياً ودعاني بطريقة كلاسيكية للجلوس على الكرسي وهو يقول:

ما رايك بهذه المفاجأة؟

رائعة ولكن لماذا كل هذا؟

من الآن فصاعداً لن تدخلي إلى المطبخ فإمتحاناتك أصبحت على الأبواب أريدك أن تحصلي على أعلى الدرجات كي تنالي شهادة بالاقتصاد وعن جدارة...

بالفعل أمتحاناتي أصبحت قريبة.. تعلم لقد فاض بي الشوق... أريد العودة الى البلدة اشتقت للجميع...

فاجئني عندما قال: وتشتاقين لأنوار؟

ومع ذلك أجبته: لا... انور أصبح من الماضي.. لم تعد تربطني به أية صلة وهذا قبل مجيئي الى المدينة...

لم يقل المزيد... فعدت أنظر الى الطاولة نظرات خاطفة وقلت

بصراحة لا اعرف من أين أبدأ...

فأجاب مازحاً: من الالف الي الياء...

جلست على كرسي وبدون ان يتحدث أحدنا الآخر فكرت... هو محق سأبدأ من الألف الى الياء... يجب أن أكون ريم أخرى.. قوية.. طيبة.. لا تضعفها الهمسات لا تستكين أمام جبروت اللمسات... ريم تفكر بالمستقبل فقط وبالشهادة التي حلمت كثيراً في الحصول عليها.. يجب أن أتحول إلى ريم جديدة تتغلب على ضعفها ولا تغرق في بحر عواطفها ولا تستهويها النظرات البراقة ولا يغرنها أي شاب مهما كان وضعه ومستواه.

يجب أن أتخلص من إحساسي بالنقص كوني عشت في بيئة محافظة لها عاداتها وتقاليدها، فوجودي في المدينة لا يعطيني الحق بأن أتصرف على هواي والحب الحقيقي سيطرق بابي شاء هذا المجتمع أم أبى ولكن علي الانتظار فقط.. مازلت صغيرة والمستقبل مازال أمامي.

*****

## "العودة إلى البلدة"

كان عليَّ العودة إلى البلدة بعد مرور(٤) أشهر على غيابي عنها.

تسارعت الأحداث بسرعة وكأن الأيام والأشهر تسابقني.. كل ما أعرفه هو إنني أبليت بلاءً حسناً في الإمتحان فلا أدري إن كان الحظ سيقف بيني وبين النتيجة.

تساءلت بيني وبين نفسي إن كنت سأبقى في قائمة المتفوقات أم أنني سأحمل بعض المواد وأعيد كرة دراستها من جديد وتقديما في نهاية العام وأنا فتاة ملولة لا أحب التكرار.

الوداع كان قاسياً بالنسبة لأخي ماهر الذي اعتاد على وجودي معه وأنا من كنت أؤنس وحدته في المدينة بعد أن كان يعيش وحيداً بعيداً عن أهله وذويه.. يعز عليَّ تركه بعد أن أعتد أنا الأخرى على السهر معه والمناقشة في أمور كثيرة كانت تجمعنا.

الوداع كان قاسياً لكينا ولكن كان علي العودة إلى أهلي وعالمي الذي أحب.. أشتاق حتى لزقزقة العصافير وتراب الأرض فالعيش في المدينة جعلني أحن إلى كل شيء تركته في عالمي الصغير.

جعلني أوقن روعة جمال الطبيعة التي أعيش فيها.

أشتاق للبساتين الخضراء وللأشجار الوارفة الظلال.. أشتاق للبيوت العتيقة .. البيوت التي زعردت في حناياها أهازيج الفرح وأحلام الطفولة..

أشتاق لكل ما هو جميل .. غرفتي .. نافذتي .. كتبي .. خزانتي.

كنت فيما مضى أحس بأن في داخلي قلب شاعرة صغيرة.. حلمت وتخيلت وتمنيت ورسمت لنفسي أفاقاً عالية تقتلعني من جذور الواقع وتأخذني في عالمها الرحب كل هذا ولم أستطع كتابة الشعر.. كلنا في قلوبنا نحس الشعر.. نتذوقه .. نعيشه .. نعشقه غير أن كلَّ منا يعبر على طريقته.

كل ما تمنيته حين عودتي إلى البلدة نسيان تجربتين فاشلتين قد عشتهما .. أردت النسيان كي أبدأ من جديد وأسير خلف طموحي الذي طالما سعيت إليه.

ذلك الطموح الذي بدأ يغزو كياني منذ خروجي من ثاني تجربة عشتها في المدينة .. مازلت أحلم كما لو كنت أريد اعتناق الأفق البعيد.

كانت الليلة التي قضيتها مع عائلتي بعد عودتي إلى البلدة ولا كل الليالي.

تكلمت .. وتكلمت .. وتكلمت ولم أمل الكلام ولم يمل أخوتي ووالدي.

كنت أراقب أبي الذي غفى فوق الأريكة وأمي التي أغمضت عينها وهي ماتزال جالسة إلى جانبي أما أخوتي مازالوا متحمسين لسماع المزيد غير أنني شعرت بالنعاس والإرهاق أصبح بادياً على وجهي تماماً فأستأذنت الجميع ودخلت إلى غرفتي.

لا أدري ما الذي حصل لي حينها فما أن رأيت سريري حتى أغراني للنوم فيه فجذبني ذلك الإغراء ووجدت نفسي طائعة مستسلمة له ورميت بجسدي المتعب وما هي إلا دقائق حتى رحت أغط في سبات نومٍ عميقٍ.

كان صباحي لا يشبه كل الصباحات التي عشتها في المدينة فالجو هنا يختلف تماماً عن ذلك الجو المشحون بالصخب والضجيج والأبنية المرتفعة والأضواء الباهرة والتحرر المبالغ فيه لبعض الفئات.

أعشق بلدتي وأعشق علو اسقفها ونوافذ منازلها التي أجدها مغلقة على الدوام كي لا يكشف المارة حرمتها.

رشفت قهوتي على عجل وخرجت من المنزل وبداخلي تضج مشاعر غريبة من نوعها لم أحسها من قبل ومع ذلك كنت بشوقٍ لرؤية النهر والعودة إلى ذكرياتي الحلوة هناك.

خرجت مسرعة فتركت شعري مهملاً بلا عناية يتبعثر فوق كتفي وذكرياتي التي أعادني إليها الحنين أبت إلا أن تجعلني حرة طليقة.

وصلت إلى المكان الجميل .. أردت تذكر كل شيء عشته في الماضي في هذا المكان إلا قصتي الملعونة مع أنور..

نظرت إلى الشجرة الكبيرة وتذكرت .. هنا على جزع هذه الشجرة كاد يصهر جسدي ليجعلني لعبة بين يديه.

لم يتغير شيء .. مازال الماضي يعبق في هذا المكان وكأن الأمس وقف عند حدود قصتي معه فأبى إلا أن يذكرني بكل ما حدث.

بقيت دقائق أتأمل المكان وكنت غارقة تماماً بأستعراض شريط الذكريات .. ضحكت ساخرة من كل ما أصبح يجول في مخيلتي .

كم كنت ساذجة ككل الفتيات في البلدة وكأن الزواج أخر همهن.

الأشهر القليلة التي عشتها في المدينة قلبتني رأساً على عقب.

أنا لم أعد أنا .. ولدت من جديد .. اكتشفت نفسي من جديد والماضي أصبح ماضي ولم يعد أبداً

كنت ما أزال أسترجع الذكريات عندما سمعت صوتاً من خلفي زلزلني وزعزع كياني وحول تخيلاتي وتأملاتي إلى حطام.

قال دون أن ألتفت إليه: علمت بأنك عدتِ إلى البلدة يوم أمس؟

لم أقل شيئاً بل انتظرته كي ينهي حديثه ثم تابع:

كل هذا الغياب؟

التفت إليه ودون أي كلمة ترحيب قلت له: الدراسة شغلتني كثيراً وأخذت كل وقتي...

أوسرقتك دراستك من الاتصال بي؟

ولماذا أتصل بك وأنت تعلم بأنني أنهيت علاقتنا قبل سفري إلى المدينة .. ألم تفهم؟ علاقتنا انتهت...!

كيف هذا؟ أنسيتِ أنور .. حبيبك .. أنسيتِ بأنك حبيبتي؟

لست حبيبتك ولست حبيبي .. الماضي انتهى أفهم؟

اقترب مني وتأملني بعمق ثم قال: أوتظنينني أنسى الحب

الذي بيننا؟

بالنسبة لي نسيت كل شيء ...

أما أنا فلا ... مازلت أشعر بالنشوة والسعادة كلما تذكرت لمساتي لكِ وقبلاتي.. إنني أنتظر عودتك بفارغ الصبر فبعدك عني جعلني أوقن كم أحبك وأني لا استطيع نسيانك...

أنور أرجوك تلك كانت مرحلة مضت من عمري ولا أريد تذكرها.. كنت صغيرة ولا أعي ماذا أفعل؟

-ضحك ساخرا وقال..وهل كبرتي خلال هذه الاشهر القليلة؟

أرى بأن المدينة غيرتكِ تماماً فزادتك تعنتاً وعنفواناً!

صدقني لا أريد أن أكون امرأة عادية

ولكنك امرأة ككل النساء هنا.. وستبقين مهما وصلتِ إلى أعلى المراتب تابعة للرجل شئتِ هذا أم أبيتِ.

لن تحذر.. لن أكون تابعة لأحد ... أنا كنت وسأبقى حرة نفسي.

أنور أنا تغيرت وتحولت إلى ريم أخرى غير التي تعرفها .. فتلك اللمسات التي كانت تجعلني أذوب وأتلاشى لم تعد تعنيني على الإطلاق ..

صدقيني .. لن أكون لعبة بين يديك..

لا .. من الجبن أن تتخلي عني؟

بل تخليت وانتهى الأمر عش حياتك ودعني أعش حياتي.

صرخ في وجهي: تعلمي ألا تتجاهليني يا ريم وإلا ستندمين...

أندم على ماذا.. أنت لا تفهم ما أقوله لك .. الذي كان بيننا قد انتهى.. انتهى.. أفهمني؟

ما تقولينه سيضرم النار في صدري...

وأنا لستُ مسؤولة عن إخمادها ..

فجأة وجدته يقترب مني ويمسكني من كتفي ويصرخ: أنتِ خائنة لا بدءَ أن رجلاً آخر قد أحتل قلبك وأقتحم حياتك..

حتى وإن كان .. هذا ليس من شأنك أنور...

ليست حياتك وحدك.. أنتِ ملك ليَّ...

قربني إليه بعنف وقال: والآن أخبريني بماذا تشعرين؟

صدقني لا أشعر بشيء.. لم تعد قوتك ترعبني .. ولم تعد نظراتك تضعفني وتهزني وتشل حركتي .. أنا الآن ريم أخرى ..

كنت أشعر برغبة قوية بينما هو يمسكني بأن أدفعه عني وأصفعه عشرات الصفعات كي يستيقظ ويفيق من غفلته وأوهامه إلا إنه كان أسرع مني إليه حين طوقني بذراعيه ومع ذلك أستطعت التغلب على ضغطه ودفعته عني بقوة وأنا أقول:

أيها الأحمق ماذا تنوي أن تفعل؟

عاد ليمسكني من جديد إلا أني تراجعت بضع خطوات فعاكسني الحظ وتعثرت فوقعت على الأرض وقبل أن أساعد نفسي على النهوض وجدته يهوي بجسده إلى جانبي ويده تضغط على ذراعي فمرت بلحظات أمام عيني مشاهد مخيفة ومرعبة على حين لمحت الشهوة تتراقص في عينه.

كنت ما أزال أفكر بطريقة نجاتي حين باغتني بكلمات خدشت حيائي.

ثم قال ووجهه يقترب من وجهي .. سأكون مجنوناً إن تركتك لرجل غيري أنتِ لي شئتِ ذلك أم أبيتِ..

حاولت جاهدة تحرير نفسي من ضغط جسده ولكن دون جدوى وكم تمنيت لو أن أحد أخوتي يمر وينقذني مما أنا فيه قبل فوات الآوان.

نظرت من حولي كما لو كنت أبحث عن الخلاص .. خفت من ضغطه من ذلك اللهيب الذي أصبح يسري في جسدي .. أيقنت لحظها بأنه أصبح جلادي وأني سأشهد نهاتي على يديه وأن أحلامي وطموحاتي .. كل شيء بداخلي قد تبدد وذهب أدراج الرياح.

ولكن هيهات إلى أن ينتصر علي.. كان يقول لي أن أمه مازلت ترفضني وقد أصبح يعرف السبب.

لمحت أخي زاهر يتجه نحونا .. بل كان يركض كالبرق كي ينقذني.. كما حدث في المدينة تماماً حين أراد مازن إفتراسي فجاء ماهر وأنقذني من براثنه.

كنت أحس بالإختناق من ذلك الضغط المرعب الذي يلفني به وحركاته جعلتني عاجزة تماماً عن الحراك .. كان يطبق شفتيه على شفتي وهو يظن بأني كما في الماضي .. قبلاته ستجرني إلى عالمه كي أذوب كما في كل مرة في أحضان الخطيئة.

أحس أنور بأتجاه أخي نحونا فأعتدل بجلسته وحررتني قبضته وتوقف فجأة عن التهديد والوعيد وراح ينفض الغبار عن ثيابه.

وصل زاهر فأخذ يدي يساعدني على النهوض ثم ما كان منه إلا أن يضرب أنور بقبضته القوية حتى أوقعه أرضاً وهو يقول:

ما أن علمت بأنك هنا حتى سارعت إليك كنت أعلم تماماً بأن هذا سيحدث وأظنني وصلت بالوقت المناسب .. أشكر الله...

ثم اقترب أخي من أنور وقال له: لقد تماديت كثيراً يا أنور...

نظر أنور إلى كلينا ثم أشار إلي بسباته وقال:

جئت تنقذ من أيها الجاهل؟

لم أفهم معنى كلامه ولكنه أستمر بالتجريح .. أنا وأنت والجميع يعلمون بأنها إبنة إمرأة زانيه؟..؟..

*****

## "الصدمة الأولى"

لم يستوعب أحدنا وقع تلك الكلمة على مسامعه بل توقفنا عن الحديث والجدال ولاذا الصمت بيننا لبعض الوقت وكل منا ينظر إلى الأخر وكأن تلك الكلمة خدرتنا تماماً...

تهت عن واقعي فهبطت تلك الكلمة على مسامعي كصاعقة فجرت مجرى السمع فهما... أردت للحظة تكذيب ما سمعته أذني غير إنني أحسست بجسدي قد اجتاحته قشعريرة باردة مخيفة ثم اقتربت منه طالبة إعادة الكلمة على مسامعي علَّه يكذبها .. علَّه يقول بأنه أراد استفزازي ليشعرني بالغيظ ويقلل من قيمتي كوني رفضته ولكنه أعادها وقرب فمه من أذني وقال بكلمات قريبة إلى الهمس..

ريم .. أنتِ إبنة زانية .. لستِ شرعية وأمي من أخبرتني هذا

لا .. غير معقول .. أمك تكذب ..

لا.. مطلقاً لا تكذب وهل صدقتِ بأني ربما أتزوج من ابنة زنى واهمة .. أردتك ليَّ .. أردت إذلالك أيها الحقير وماذا قالت أمك أيضاً؟

أنك رخيصة وتدعين البراءة وأنتِ من ولدت في جنح الليل كي تخفي أمك خطيئتها...

أقتربت منه وأمسكت ثيابه وأنا أرجو بأن يوضح لي ما قاله ولكنه أبعد يدي عنه ونفض ثيابه بأشمئزاز وهو يقول: لا تدنسي ثيابي أرجوك..

ثم رأيته يهرول كالأطفال وهو يلتفت إليَّ ويضحك ساخراً وعلى فمه كلمة لن يغيرها ... إبنة زانية .. إبنة زانية...

صرخت .. لا.. ليته طعنني بسكين قبل أن يقولها لي .. ثم التفت إلى أخي كي يوضح لي صحة ما قاله أنور ولكنني رأيته مصدوماً تماماً من وقع الكلمة .. صحت.. أرجوك أخبرني الحقيقة؟

صدقيني لا أعلم مما قاله شيئاً .. أنا مثلك تماماً لا أصدق الأمر لابدَّ أنه يكذب وما قاله ليس إلا حكاية نسجها عقله المريض لأنك رفضت الزواج به.

أقتربت منه ومسكت كتفه وأنا أقول له: لماذا نعتني أنا بالذات بأبنة الزانية وأنت أخي وتكبرني بعام واحد.

صرخ زاهر وحمل رأسه بين راحتيه وأصبح يدور حول نفسه وهو يقول: لا أدري ... لا أدري....

تركته تائهاً هو الأخر وأمواج الحيرة تتخبط في رأسه .. وصرت أجري دون توقف وقد فقدت السيطرة على أعصابي تماماً.

كل ما كنت أفكر به هو الوصول إلى المنزل كي أرى أمي .. أريد أن أقول لها ما سمعته .. علَّها تضربني.. تهزني وتكذِّب أنور وتبرأ نفسها كل هذا وزاهر مازال يركض خلفي مسرعاً كي يمسك بي ويمنعني من الأنفجار غير أني وصلت إلى المنزل قبل أن يصل إليَّ.

دخلت ووقفت خلف الباب محاولة إسترداد أنفاسي التي كادت تتوقف لشدة ما ركضت..

رأيتها .. رأيت أمي وقد أستقبلتني بأبتسامة حنونة كما هي عادتها لم أعر لأستقبالها إهتماماً كل ما فعلته هو أني وقفت أتأملها وأتساءل: كيف لإمرأة كهذه أن تكون امرأة خائنة.. لا.. هذا الوجه الملائكي وهذه الإبتسامة العذبة وذلك القلب المفعم بالعواطف الجياشة والمليء بالحب .. لا يمكن أن تكون خائنة ..

لأول مرة أحس بأني سراب.. وأي مستقبل ذاك الذي سأسعى إليه وأنا لا قيمة لي ولا هوية .. كل هذا وأمي مازالت تتأملني بصمت ولا تعلم عن النار المندلعة في صدري شيئاً..

خانت نفسها ومبادئها وتخلت عن أخلاقها كي تحصل على المتعة مؤقتة مع رجل لا يقل حقارة عنها؟

هذا مافكرت به وانا انظر إليها..

كل هذا وأبي لا يعلم.. أي رجل هو من يسعى نفسه أبي؟

أمعقول أنها تخفي وراء وجهها الملائكي وجه امرأة خائنة؟

رخيصة تبيع نفسها من أجل متعة .. من أجل رغبة مجنونة .. من أجل لحظة تعيشها توصلها إلى الذروة ..

وضعت رأسي بين يدي وأنا أشعر بالإنفجار.. صرخت من داخلي:

كيف صنعت من نفسها رهينة لحظة عاشتها مع رجل حقير مثلها تماماً ..

لا..لا...لا يمكن ان تكون كما وصفتها ..لا يمكن.

ياه.. هي لا تعلم بأنها ظلمت أبي وقبل ذلك ظلمت نفسها وأنوثتها وطهارة الأم التي تعيش بداخلها.. حطمت صورة المبادئ والأخلاق وخلعت عنها ثياب العفة وأرتدت ثياباً أخرجتها عن نص حياتها لترمي نفسها طائعة في أحضان الخطايا.

ولكن ماذا عن ابي.. ربما خانها هو الأخر وأنجب أطفالاً من نساء أخريات.. وما أدراني ما الذي كان يحدث في علب الليل الموحشة.. تلك العلب التي تجعلنا نخلع مبادئنا ونتعرى أمام قيمنا ونستسلم لرغباتنا الجامحة التي تأخذنا بعيداً.. بعيداً حتى عن أنفسنا..

أكرهها.. أكرهها.. سحقاً لها من أم كانت تدعي الأمومة والمثالية.

بل سحقاً لي من غبية.. كيف لم ألحظ بأني لا أشبه أحداً من أخوتي.. حتى أمي لا أشبهها على الإطلاق..

تركتها دون أن أحدثها وهرولت نحو غرفتي آخذة محتويات الصالون بقدمي ومع ذلك لم تسألنِ عن هذا التجهم الذي أصابني في الوقت نفسه وصل زاهر إلى المنزل وأنفاسه تكاد تفقده السيطرة على الوقوف فأقترب من أمي فور دخوله وسألها عني؟

فقالت: ما بكما؟ .. هل تشاجرتما في الخارج؟

قال وهو ينظر إلى باب غرفتي الذي مازال مفتوحاً: بل تشاجرت مع أنور...

وما سبب شجارهما؟

لا أدري سوى أنها رفضت الزواج به فصرخ بها ونعتها بأبنة الزانية وهي لم تصدق ما سمعته منه صعقت.. جنت.. صارت تجري بلا وعي كالمجنونة ..

صرخت أمي وقالت: الأحمق ماذا قال لها؟

أمي لماذا نعتها بأبنة الزانية.. بدا وكأنه متأكداً مما قاله وإلا ما تجرأ وأتهمها وهو يحمل لها كل هذا الحب.

شعرت أمي بالاختناق وإنتابتها نوبة ربو مفاجئة وكأن ناراً قد اندلعت في أوصالها هي الأخرى.. ثم صاحت به: إغرب عن وجهي ولا تخبر أحداً بما سمعته فلتبقي الأمر في طي الكتمان إلى أن أتكلم أنا.. السافل.. إبن السافلة أنور الكلب...

أغلقت باب غرفتي وغيبت نفسي عن الجميع.. وبكيت.. بكيت إلى أن جفت دموعي..

وحيدة أصبحت في عالمي وأصبحت الأيام بالنسبة لي كلها سواسية لا أجرؤ على الخروج من الغرفة.. بل لا أجرؤ على مواجهة أحد من أفراد عائلتي.

عاجزة.. عاجزة تماماً عن مواجهة الجميع حتى أمي.

كنت أتمنى لو كان ما عرفته مجرد كابوس كي أعود إلى سابق عهدي وأحقق جميع أحلامي في ظل عائلتي المحبة لي..

مع كل الصرعات المتضاربة في رأسي وجدت نفسي أخرج من الغرفة متجهة إلى غرفة أمي التي حبست نفسها أيضاً..

كنت أعلم بأنها وحدها من كانت تملك الإجابة على أسئلتي؟

أعلم بأن المتهم يبقى بريئاً حتى تثبت إدانته فكيف لي أن أحكم عليها وأنفذ فيها حكمي وأنتزعها من قاموسي قبل أن أسمعها وتدافع عن نفسها.

كانت أمي ماتزال مستلقية فوق سريرها حين فتحت باب غرفتها برفق ودخلت الغرفة خلسة.. نظرت إليها فشعرت بأنها لم تعد أمي التي أعرفها.. كان وجهها شاحباً شحوب الموتى وجسمها أصبح هزيلاً.. حتى أنها أهملت نفسها وواجباتها تجاه المنزل وأخوتي واطفأ بريق عينها.

حتى هي على ما يبدو باتت تضيق ذرعاً بالحياة التي تحياها..

ربما هي محقة.. خلقت لتتزوج فقط ولتصبح ملكاً لرجل.. رجلاً يصنع منها لعبته وأداة لمتعته ووعاءً لإنجاب أطفاله..

أجدها تعبت.. وهذا الجسد النحيل مل العيش بلا إرادة ومل الانصهار الذي يمارس عليه كل ليلة وكأنها العمل المتراكم في المنزل لا يكفيها..

غير معقول أن تكون أمي خائنة.. غير معقول.. لا أصدق.. فهذه الأم التي تنهض من فراشها في الليلة عشرات المرات لتسهر على راحتنا وتقبلنا قبلات ما قبل النوم والتي تغطينا خوفاً علينا من البرد.. هذه الأم لا يمكن أن تخون.. بل ليس لها متسع من الوقت كي تفعلها لأننا أخذنا كل وقتها في السابق والآن.. كيف صدقته؟

كنت ما أزال أقف أمامها متأملة إياها دون أن أنبس بنبت شفةٍ إلا أن أمي تنهت لوجودي وربما مازالت تحس بالنار التي أشعلها أنور بداخلي ثم سمعت صوتها الضعيف وهي تسألني:

ماذا تريدين الآن ؟

أن تنهضي وتخبريني بالحقيقة دون زيادة أو نقصان..

ليس هناك حقيقة سوى أنكِ إبنتي..

ثم نزلت من السرير متثاقلة وقالت بعد تردد: لا أعرف والدك...!

صرخت بها.. كيف لا تعرفينه.. أو كنتِ حين حملتِ بي وخنتِ والدي مغمضة؟ .. أم أنك خنته في علبة من علب الليل المغلقة..؟..

رأيت أمي تفقد السيطرة على نفسها وأعصابها حين أقتربت مني وهوت بكفها على وجهي لتصفعني صفعة كادت ترميني على الأرض ولم أكن أتوقعها منها على الإطلاق.

ولم أتصور قربها مني يخيفني إلى تلك الدرجة بحيث مسكت كتفي بعنف وهي تصرخ: مجنونة إن كنتِ ظننتِ هذا بي؟

أردت التخلص منها غير أني عجزت فسألتها وأنا أبكي:

أمي أخبريني ما هي الحقيقة أرجوكِ...

تأملتني لبعض الوقت ولا أدري كيف تحولت قسوتها إلى رقة حين جذبتني إليها وعانقتني بقوة وبكت ومازلت تضغط عليَّ.

بكت بحرقة وقالت: أخاف.. أخاف يا إبنتي إن عرفتِ الحقيقة أن أخسرك إلى الأبد وهذا ما لا أريده..

ولماذا تخسرينني وأنتِ أمي؟

ابتعدت عني وكفكفت دموعها ثم اتجهت نحو النافذة لتخفي وجعها حين أولتني ظهرها وبكت ثم قالت لي: أخاف من قولها..

قولها يا أمي وأعدك أن يبقى سراً بيننا..

إن عرفتهِ أنتِ لن يبقى سراً على الإطلاق..

هل يعرف أبي الحقيقة؟

أجل وثلاثة من أخوتك.

إذاً أنا أخر من يعلم؟

كان هذا من أجلك حبيبتي..

اقتربت مني من جديد وأحاطت كتفي بذراعها وقالت لي:

تعالي كي نجلس...

وبعد أن نجلس؟

سأقول لك كل شيء.. إعلمي بأني ما أخفيت عنك الأمر إلا من أجل مستقبلك وكي تبقي إبنتي المحبة.

جلست ولم أكن أعلم كيف ستبدأ أمي.. كنت متشوقة تماماً لمعرفة ما تريد أمي قوله..

ظلت أمي صامتة لبعض الوقت.. خائفة منكمشة والكلمات تتوقف في حلقها وأنا مازلت أنتظر إلى أن تنحل عقده لسانها وتخبرني ما تخفيه عني..

أنظر إليها.. حائرة وكأنها تحاول إحاكة قصة من نسج خيالها كي لا تخبرني الحقيقة.. حتى في أحرج اللحظات ترفض الإستسلام لرغبتي الجامحة تحاول مراوغتي وأنا مازلت أصر وفي رأسي تتصارع الأسئلة ولا جواب على أي منها.. عشرون عاماً قد عشتها بصحبة العائلة.. قضيتها بالحب اللهو واللعب والجري في الحقول والفرح.. والترح.. والمرض والعافية ككل البشر وحياتي كانت تسير على أحلى ما يكون.. وأمي مازالت تبتلع في داخلها الحقيقة.. حقيقة مجيئ إلى الدنيا بطريقة غير شرعية.

طفح كيل إنتظاري وذلك السيناريو الممل الذي تسرده يزعزع كياني ويفجر الصمت بداخلي.. اقتربت منها والدم يغلي في عروقي وأنا أقول أمي لا داعي لسرد أشياء أعرافها حق المعرفة.. أريد زبدة الحديث لا فائدة من صمتك فهذا يزيد غضبي.

فاجأني ردها.. نظرت إليَّ نظرة يائسة وربما ساخرة وقالت بصوت خنقته مشاعر الحزن:

متحمسة كثيراً لتركي أليس كذلك؟

وفكرت...لماذا تظن باني ربما اتركها؟ ثم صحت:

أمي.. لا تثيري غضبي أرجوك.. ثم لماذا أتركك؟ ما عدت أطيق صبراً على الانتظار..

ظننت لوهلة بأنها ستستمر بأضاعة الوقت غير أنها بدأت بسرد حكاية أخفتها عني لسنوات طويلة وأنا كنت على عجلة من أمري.. أريد استباق الأحداث وتخطي المقدمة فالنهاية وحدها هي ما كانت تهمني

بدأت الكلام وأنا أصغي إليها.. قالت:

"كنت ووالدك نعيش في بلدة صغيرة في أحدى المدن.. هناك كنا نملك بيتاً صغيراً عشنا فيه لسنوات.. في ذلك المنزل بدأت القصة التي تريدين معرفتها.. كان لوالدك صديقاً ذو شأن كبير.. أو هذا ما كنا نظنه في البداية.. أناقته المبالغ بها ولباسه الغالي الثمن واختياره للاشياء الأغلى ثمناً وحديثه المرتب والمنمق واسلوبه.. كل هذا جعلنا نظن بأنه إبن عائلة بازخة الثراء ولها وزنها في المجتمع.

ذات يوم جاء ذلك الرجل إلى المنزل وكان برفقته امرأة شابة جميلة جدا، أيقنت منذ رأيتها بأنها ليست من بيئتنا.. كان يريد البقاء لأيام ريثما يجد لنفسه منزلاً فعلمت بأن تلك الشابة كانت زوجته ولم يمر على زواجهما سوى أيام قليلة، وافق والدك على استضافتهما كون الرجل صديق والدك الحميم والأخ الذي لم تلده أمه..

أما زوجته والحق يقال.. كانت آية الله على الأرض.. صدقاً لا أستطيع وصف جمالها وروعتها وعذوبة حديثها.. كانت تدعى (ميراي).

أصبحت ميراي صديقتي المقربة فحدثتني عن زوجها وقصة زواجهما وكيف أنها تحدت أهلها والمجتمع والظروف وتخلت عن كل ما يربطها بعائلتها وتخلت عن ديانتها كي تتبع نداء قلبها وتتزوج من ذلك الرجل الذي أحبته حتى الجنون.

كنا نظن أنا ووالدك بأنه سيبحث عن منزل كي ينتقلا إليه ويستقرا هناك غير أن هذا لم يحدث.. فوجئت بها ذات صباح تدخل إلى غرفتي كي تودعني لأنها قررت وزوجها الرحيل.. لم أحاول الضغط عليها من أجل أن تبقى في منزلي حتى يجدا المنزل تركتها على راحتها رغم اني احببت رفقتها وقد كانت الاخت التي لم تنجبها أمي ..

قبل أن ترحل أعطيتها عنوان المنزل هنا لأن والدك لم يكن يحب البقاء هناك بسبب المشاكل العائلية التي حدثت بينه وبين أخوته من أجل الإرث وما شابه لذلك قرر أن يبني منزلاً هنا فوق الأرض التي ورثها عن أبيه.

هما رحلا من البلدة ونحن انتقلنا إلى هذا المنزل بعد أشهر قليلة وكدنا ننسى تلك الحكاية.. حكاية صديقه وزوجته الحسناء.

لم أكن أدري مطلقاً بأن والدك كان على اتصال بزوجها أنذاك..

مرت فترة طويلة وفي ذات ليلة حالكة السواد.. ليلة شديدة البرودة والوحشة والهدوء يلف المكان وأخوتك ينام وأنا كنت وقتها ساهرة أمام المدفئة أحيك كنزة صوفيه لأخوك ماهر..

حينها قرع الباب وأفزع صوت طرقاته المتسارعة أخوتك النيام ووالدك..

الصمت.. الصمت في كل مكان ووحده زعيق الباب ثقب مجر أسماعنا.

خفت وقتها ولم يكن يخيفني شيء..

خفت وعجزت عن الحراك وتلك الطرقات ترفض الإستسلام يومها راودني شعور غريب وخفت أن يكون الطارق لصاً أو قاطع طريق.. أو أحد الهاربين من وجه القانون.. ومع ذلك قررت فتح الباب وتركت كل الأسئلة التي تزاحمت في رأسي وأقتربت منه وأنا بأشد حالات خوفي.. يومها فوجئت بماهر يسبقني إلى الباب كي يفتحه ولكنني خفت عليه فركضت خلفه ملهوفة ودفعت به إلى الداخل.. ثم لا أدري ما الذي زلزل حركتي المتجمدة فوجدت نفسي أقترب من الباب وأقف خلفه أسأل عن الطارق..

سمعت صوت امرأة خائفة ضعيفة.. ترتجف من البرد والرعب أخمد صوتها ومع ذلك عدت وسألت: من الطارق؟

فأجابتني بكلمات متقطعة خائفة.. أرجوكِ افتحي لي أنا (ميراي).

جمدت لوهلة وفكرت بيني وبين نفسي من تكون ميراي؟ ثم استرجعت ذاكرتي وعرفتها.. فتحت لها الباب بسرعة وإذا بي أراها تقف أمامي شاحبة شحوب الموتى وما أن رأتني حتى سقطت على الأرض مغشياً عليها.. سارع والدك نحو الباب وحملها إلى الداخل ووضعها على الأريكة.

حاولت تدفئتها وأنا أمسح وجهها وأقرأ ما تيسر لي من سور القرآن الكريم حتى تسترجع عافيتها.

ميراي امرأة لبنانية الجنسية زوجها كان سوري الجنسية.. أخبرتني بأنها تعرفت عليه في إحدى مطاعم بيروت التي كانت تعمل فيه نادلة وهي من عائلة محافظة.. متعصبة نوعاً ما.. إلا أن عقلية أمها المنفتحة غيرت كثيراً من حياة أبيها فجعلته يؤمن بحقيقة تعلم الفتاة وضرورة خروجها إلى ميادين العمل ولكن ضمن الحدود الشرعية لها كعاملة شريفة.

هناك التقت بزوجها وكان حينها صيفاً على أحد معارفه في بيروت من أجل العمل.. كان وسيماً وخفيف الظل ولكنه كان ضعيفاً أمام الجنس الأخر تسحره الكلمات الحلوة والنظرات البراقة وتسكره إطراءات الفتيات وهو بالطبع لم يترك فرص كهذه تضيع منه..

كان والحق يقال يستطيع الاستحواذ على قلوب الفتيات بلباقة حديثة وحلاوة كلامة واسلوبه الهلواني وحسن مظهره وأناقته المفرطة.

كل شيء كان يسحر الفتيات.

ميراي كانت تختلف عنه كثيراً.. برهافة حسها وهدوءها وسكينتها.. فتاة بسيطة لم تكن تغريها تلك المظاهر مطلقاً.. متواضعة وإن كانت قد أحبته ليس لثرائه ولا لوسامته.. أحبته لأنه جذبها من النظرة الأولى، لم تكن من أولئك الفتيات الثرثارات وكل ما كانت تطمح إليه هو العيش بهدوء في كنف الرجل الذي تحبه.

كانت تخاف من شيء كلنا كنا نجهل ما هو.. خائفة.. مضطربة على الدوام ومع ذلك لم أحب إزعاجها بأي سؤال ربما قد يحرجها".

بينما كانت أمي تسرد حكاياتها التي بدأت مملة بالنسبة لي رسمت صورة مكبرة لإمرأة ربما تكون أمي لرجل ربما يكون أبي..

مر الفصل الأول من الرواية وأنا مازلت أصغي إلى أمي إلى ما يمكن أن توصلني إلى حقيقة وجودي في الحياة..

واستمرت أمي بسرد الحكاية ومازلت أصغي:

"وقفوا أهلها في طريق زواجهما لاختلاف الدين ومع ذلك أصرت في ميراي على التمسك به حتى هو رفض الإنسحاب من حياتها.. كيف ولا تلك أول فتاة يعرفها ولا يحصل على جسدها بمكره وخديعته.. كان يرفض أن تهزمه امرأة وهو الرجل المعروف بتأثير سحره وجاذبيته على الفتيات..

حرضها على الهرب معه وراح يرسم لها خطة محكمة تستطيع إخراجها من بلدها دون أن يجدها أحدً من أهلها..

وهي بالفعل أنصاعت لرغبته وتركت بيروت وتزوجا في البلدة وهناك قضينا بصحبتهما أمتع الأوقات وأجملها.

لم تحدثني عن أهلها مطلقاً كانت كتومة إلى أبعد حد غير أنها كانت تكثر الجلوس وحدها وتشرد في أكثر الأحيان وماهر.. حبيبي كان لها بالمرصاد فلم يكن يدعها تجلس وحدها لقد أحبها كثيراً.. أصبح يحثها على اللعب معه ومجاراته وهي لم تكن لترفض له طلب لأنه أستطاع بخفة ظله وحنانه وذكائه الإستحواذ على حبها.

أحبته كثيراً لدرجة أنها قالت لي: إن قدروأنجبت طفلاً ستطلق عليه اسم ماهر ولكن هذا لم يقدر لها للأسف.

عزيزتي هذا فقط جزء من قصة مطولة وقصة حب مزيفة أوهمها بها ذلك الرجل.. بقيا معاً عاماً كاملاً...

كنت أشفق عليها كثيراً.. طالما تركها وحيدة بالفندق في أكثر الليالي وحشة وظلمة.. كل هذا وقد كانت تظن بأن يعمل ويجهد نفسه كي يبني لها منزلاً كي يريحها من عناء العيش في الفنادق وكي تشعر بالأمان والإستقرار.

لم تكن تعلم بأنه حولها إلى دمية يلجأ إليها عندما يكون وحيداً بلا رفيقة وهي كانت بلهاء إلى حد جعلها تعشق دورها كدمية يلهو بها ويشبع رغباته المجنونة.. امرأة طيبة.. سادجة وحمها له أعمى بصيرتها تماماً مما جعلها تتغاضى على أساليبه الملتوية إلى أن حدث ما لم يكن في الحسبان.

ذات يوم طرق عليها عامل الفندق كي يخبرها بأن زوجها دفع كامل حسابه وغادر الفندق إلى غير رجعة، لم تصدقه.. غضبت وثارت عليه ومزقت الورقة التي تركها لها زوجها وخارت قواها حتى كادت تسقط بين ذراعي ذلك الرجل الواقف أمامها.

هدأ الرجل من روعها وقدم لها كوب من العصير مشفقاً على حالها وعندما هدأت جلس معها لبعض الوقت وحدثها عن حقيقة زوجها..

أخبرها بأن زوجها الذي يدعي حبها متزوج من أمرأة هي أبنة أحد الأثرياء وهو من يدير أعمالها وتجارتها وله منها أولاد يقيم في بيروت.

عندما استيقظت من صدمتها وجدت نفسها وحيدة في عالم لا يعرفها فيه أحد وهي لا تستطيع العودة إلى بيروت.. كيف ستواجه أهلها بعد أن تخلت عنهم بسب رجل أدعى حبها.

لم يترك لها إلا القليل من المال فلم تعرف ماذا عليها ان تفعل لذلك لجأت إلينا وقد كانت حاملاً في أشهرها الأولى وهذا ما جعله يتخلى عنها ويتركها عندما رفضت النزول أمام رغبته وتسقط الجنين وخيرها بينه وبين الجنين ولم تكن تعلم بأنه سينفذ وعيده ويتركها.

تركها في عالم تحيطه الذئاب وفي أحشاؤها طفل ينمو.

مرت أشهر الحمل ببطء شديد وعاشت معنا كفردٍ من أفراد العائلة، تساعدني في المطبخ وبرعاية أخوتك.. أحببتها كما لو كانت أختي بالفعل غير أن الشيطان سيطر على عقلي تماماً غريزة المرأة قد تحركت في داخلي وهي امرأة رائعة الجمال.

كلما رأيتها تتحدث مع والدك كانت تصيبني غيرة عمياء وبعضي يمزق بعضي.. أنا أمرأة أحل زوجي وأغار عليه وكيف إن كانت من تجلس معه وتحادثه امرأة تحمل كل ذلك الوصف.. مع ذلك لم أكن لأضايقها او اشعرها بذلك وهي مكسورة الخاطر والمخدوعة من اقرب الناس إليها.. وهي المرأة الوحيدة في عالمنا وذلك الرجل كسر قلبها وهجرها والبعيدة عن أهلها وذويها..

كانت والحق يقال أمرأة بكل ما في الكلمة من معنى.

صادقة.. حنونة تحب الجميع وكنا بالنسبة لها أخوة لا أصدقاء وأنا أتخذت منها صديقة رغم غيرتي منها وصرت أئتمنها على أسراري وأولادي.. كانت تعرف حدودها تماماً وتقف عندها.. كانت أكثر وفاءً من صديقاتي المقربات لي وهي امرأة مسيحية لم يكن أختلاف ديانتنا يضع حاجزاً بيننا بل كانت تتطبع بطباعنا نحن وتمشي على حسب عادات أهل البلدة والمجتمع فلم يكن أحد يشك بأنها من دين أخرى.. أحببتها لا أنكر هذا مطلقاً.

أنتهت أشهر الحمل وجاءها المخاض.. تأملت كثيراً ووالدك كان بعيداً عن المنزل والقابلة تأخرت بالقدوم إلينا فلم تستطع ميراي صبراً.. كادت تموت وكاد ألمها يمزقني وأنا وحيدة في المنزل لا حول لي ولا قوة.. فما كان مني إلا أن أتجرأ واساعدها واخفف عنها بعض آلامها وبالفعل نجحت العملية وأنجبت ميراي بعد عذابها الطويل.. أنجبت فتاة غاية في الروعة والجمال.. أنتِ كنت مولودتها.. ولدتِ على يداي أنا.

أنا أول من رأتيك تبصرين النور فهل تستكثرين عليَّ أن أكون أمك؟

أنتِ ابنتي أيضاً".

أطلقت العنان لمخيلتي كما هي العادة وأخذت أرسم مشهداً قرأته في روايات عديدة وشاهدته على شاشة التلفاز.. وفكرت:

أمعقول أن تكون أمي قد ماتت بعد أن أنجبتني؟ أم أنها هجرتني وخرجت لتبحث لنفسها عن حب أخر؟

أشياء كثيرة داعبت مخيلتي على حين تابعت أمي حديثها:

"مر الوقت وبدأت ميراي تتأقلم بوضعها الجديد وقضينا معاً أوقاتاً ممتعة.

أسمتك ريم.. قالت يومها بأنه اسم إحدى صديقاتها وهي الأقرب إلى نفسها في بيروت... ملأتِ علينا المنزل بالمحبة والسرور فذبتِ في قلبي كحبة سكر وكأنك قطعة مني..

لا أدري ما الذي حدث فجأة فبعد شهرين من ولداتك قررت أن تتركك في عهدتي كي تبحث عن عمل والمسكينة أضناها البحث ولم تجد ما يناسبها.. يئست وأصبحت تكره نفسها لأنها كانت تظن بأنها وابنتها عالة علينا لذلك قررت أن تبحث عن والدك كي تخبره بأمر وجودك وكي يمنحك أسمه ولكي تقوم بتربيتك بكرامة دون حاجتها للناس.

وماذا كان موقف أبي عندما علم بأمر وجودي؟

لا أدري فالقصة انتهت عند خروج أمك من المنزل؟

ماذا حدث بعد ذلك؟

يؤسفني أن أقول بأنها لم تعد إلى المنزل حاولنا جاهدين البحث عنها حتى والدك ذهب إلى البلدة التي نشأ فيها والدك عله يعرف أحد معارفه أو أقاربه ليستدل على مكانه ويتأكد إن كانت قد وجدته أم مازالت تبحث عنه فلم يجد أحداً هناك ولكن قيل له بأن والدك شوهد مع أمك في أحدى المقاصف هناك. صدقيني عشت سنوات ولم أقطع الأمل بشأن عودتها مطلقاً ولكنها لم تعد.

كيف تركتني وهي التي رفضت التخلي عني رغم رفض أبي وارادت الاحتفاظ بي؟

لم تتركِ عمداً.. ذهبت كي تجد والدك كي يمنحك أسمه لا نعرف ما هي الظروف التي منعتها من العودة. من يومها أخذت أقاويل الناس تكثر.. قالوا بأنها قضت في حادث سير واخرون قالوا هربت مع والدك من جديد وهذا ما أستبعده تماماً وأخرون قالوا بأنها عادت إلى إهلها فمنعت من العودة إلى هنا فأنتِ كنتِ بالنسبة لهم وصمة عار خاصة وانك إبنة لرجل مسلم..

وأنتِ ماذ تظنين؟

عزيزتي أنا أعرف أمك جيداً وعشت معها وتقاسمنا معنا سبل العيش

ورغيف الخبز ورعاية الأولاد.. لا أظن بان امرأة مثلها تملك بداخلها كل تلك العواطف والرقة والعذوبة.. امرأة تحارب العالم وتتخلى عمن تحب من أجلك.. لا أظنها تتركك وترحل لأي سبب من الأسباب أما أن أهلها ضغطوا عليها ومنعوها من العودة أم أنها ماتت

إنها أم.. لا تعلمين كم أحبتك وتعلقت بك؟ تخاف عليك من النسيم وعلى الدوام تخطط لمستقبلك وكم مرة قالتها على مسامعي بأنها تتمنى أن تغمض عين وتفتح الأخرى لتجدكِ غدوت شابة.. أتعتقدين بأن امرأة كهذه قادرة على الابتعاد عنك وهي التي وعدتني بالعودة مهما كلفها الأمر

مرت اللحظات ثقيلة مؤلمة لي.. أيقنت تماماً بأن أمي ربما تكون قد ماتت وإلا لما تركتني وأنا ابنتها.. أنا ثمرة خداعها.

أشياء وأشياء قد دارت في رأسي الصغير وهمست في أذني:

لا تبكِ حبيبتي.. أنت ابنتي وإبنة هذا البيت.. حتى أنا نسيت بأن إمراة اخرى أنجبتك.. أنتِ ابنتي تفهمين ذلك؟

هل كانت تشبهني؟

مطلقاً.. لا تشبهك أنتِ تشبهين والدك كثيراً..

سحقاً.. هذا ما كنت لا أحبه ولكن أخبريني كيف علم أنور بالأمر؟

كانت أمه فيما مضى جارتي الوفيةَ تخرج وتدخل إلى المنزل متى شاءت وطالما تحدثنا بشأنك وبشأن غياب أمك.. إنها تعلم القصة كاملة..

ريم حبيبتي أنتِ إبنة شرعية لوالدين قد تزوجا أمام الله والناس لا أنور.. ولا سواه يمكنه إذلالك.. إرفعي رأسك عالياً فأمك كانت أشرف من أن يتحدث عنها شاب كأنور أو كأمه الغبية.

رفعت وجهي إلى أمي وحدقت في وجهها ثم مسحت دموعي وقد فغر ثغري عن ابتسامه خفيفة وما لبثت أن عدت إليها لأرمي رأسي من جديد فوق صدرها وبعدها أطلقت العنان لدموعي من جديد فقالت وهي تمسح شعري: أنتي إبنتي ولا يهمني مهما قال الناس.

أجل يا أمي ولكن هذا لا يمنع بأن أبحث عن جذوري.. لن أقف مستسلمة للأمر الواقع وأنا أعرف بأن في عالم أخر ربما مازالت تعيش أمي وكذلك أبي..

حبيبتي إنسي كل شيء الآن وفكري بمستقبلكِ وطموحك الذي تسعين إليه لا تنسي بأننا نحبك جميعاً.

أحسست بالخمول فجأة بعد أن أفقت من صدمتي وتركت أمي ونهضت ثم سرت ببطء نحو الباب وقبل أن أفتحه أحسست بأن أمي مازالت تخفي في أعماقها شيئاً أخر لذلك بقيت واقفة خلف الباب.. أعرف بأنها لا تريدني أن أخلد إلى غرفتي وأتخبط في ظلمة وحدتي والماضي والخوف وأعرق في زحام أسئلة لا أجد أجوبة عليها.

كنت ما أزال واقفة خلف الباب متلهفة لسماع المزيد أو للوصول إلى خيط يجمعني بعائلتي هذا إن كانت لدي عائلة غير أن أمي لم تتحدث.

فتحت الباب لأهم بالخروج على حين ألتفتُ إليها مستدركة كأنما أردت أن أحثها على قول المزيد ومع ذلك سألتها:

أمي أنتِ متأكدة بأن هذا كل شيء... ؟

لم تستطع أمي النكران فالصورة أصبحت شبه واضحة والماضي يدعوني إليه..

ليس على الماضي البقاء دفيناً في غياهب النسيان.

رأيت أمي تنهض وتقترب نحوي.. أحسست تجاهها بحنين جارف يدعوني للبقاء بين ذراعيها كي أشعر بالأمان.. كانت حزينة حزينة ومع ذلك جذبتني إليها وعانقتني بقسوة حتى كادت تكسر ضلوعي وهذه المرة الأولى التي اشعر بها بذلك الإحساس المخيف.. مرعوبة من قسوتها التي أحاطتني بها.

إنهارت أمي كأن بركان صبرها قد أنفجر غير أنها ظلت قوية ومتماسكة ثم صاحت بي: أخشى إن عرفتي المزيد أن أخسرك.. أريد أن أضمك إلى صدري مدى الحياة.. لا أتخيل حياتي بدونك

أمي أرجوكِ لا تخافي أنا أيضاً أريدكِ أن تبقي أمي مدى الحياة غير أني متشوقة لمعرفة من أكون.. لن أغفر لكِ إن أخفيتِ الحقيقة عني.. تركتني أمي واتجهت نحو خزانتها وفتحت بابها الذي طالما حاولتُ معرفة ما بداخله لكثرة حرص أمي عليه فهو مقفل على الدوام.

فتحت الباب وأنا أنظر إليها بلهفة، أغلقت أمي خزانتها وهي تضم إلى صدرها ما أخرجته منها واقتربت مني ويدها ترتعشان وأنا كمن أصيبت بصدمة كهربائية.. ثم رأيتها تقترب أكثر فأكثر وهي تقدم لي ما تحمله بين كفيها وقالت:

هذا ما تركته لك أمك قبل رحيلها كما لو كانت تعلم بأنها لن تعود؟

رسالة وبعض الصور.. يوجد صورة لكما معاً وصورة جمعتها بوالدك وهذه صورة والدك وحده

تناولت منها الصور والرسالة.. أردت فتح الرسالة بشوق غير إني خفت فأطبقت عليها بيدي كما لو أني أخاف معرفة ما فيها

قالت أمي: لن تشاهدي الصور هنا ولن تقرأي الرسالة عليك الخلوة في غرفتك لتفهمي ما أرادت أمك قوله لك..

شردت لبعض الوقت ولكني ما لبثت أن عدت إلى واقعي ورمقت أمي بنظرات حنونة وخرجة من الغرفة وأنا أجر ساقيّ إلى غرفتي.

تركت أمي خلف باب غرفتها وحيدة حزينة..وهي لا تستحق مني كل ما قلته لها وكيف لي ان افكر بتركها حق وأرحل.

لا تستحق أن أجحد بحقها وهي من كانت تفضلني على أخوتي كوني الوحيدة بينهم.

*****

## "وكأنه مشهد مكسيكي"

رميت بالصور والرسالة فوق السرير وأسرعت لأقفال النافذة وأستدال الستائر كما لو كنت أخشى أن يراني أحد.. أو ربما خفت من الماضي الذي تحويه الرسالة..

ثم عدت إلى السرير ألقيت بجسدي فوقه كي أتوه في للحظات عن واقعي وأبحر في أعماق الماضي.

لم أكن أتخيل أو أتصور بأن تلك المشاهد المكسيكية المسلسلة التي تعرض على الشاشة والتي كنت أعدها من أتفه المشاهد على الأطلاق لأنني كنت أجدها بعيدة عن واقعنا كل البعد.. لم أكن لأتصور بأني سأعيش في حياتي الواقعية نفس المشاهد..

وقفت من جديد ودرت حول نفسي وحملت رأسي بين كفي كما لو أني أخشى عليه من الإنفجار.. تائهة وسط زحام الأسئلة.. وسط قضية كانت منسية وقد ظن الجميع بأنها ستبقى هكذا في طي النسيان إلى الأبد.

في أعماقي احتشدت أحاسيس متناقضة وكم تمنيت لو أن ما حدث معي مجرد قصة عصفت بها أوهام أنور.

ولكن كيف سأهرب وتلك القصة عشنا تفاصيلها في الماضي وعلينا متابعتها الآن؟..

اقتربت من سريري من جديد وجلست فوقه ونظرت إلى الصور وتأملت الرسالة..

حملت الصورة التي جمعت والداي وتأملتها لبعض الوقت.. ياه.. أمي كانت أمرأة رائعة بجمالها وحسنها الفتان!.

كيف أمكن أبي أن يتركها فريسة الجوع والذئاب الجائرة وهي تحمل كل هذا الجمال.. تحمل في عينها زرقة البحر وفي شعرها لون الشمس وفي شفتها حمرة الشفق وفي وجهها بياض الثلج.. يا لها من إبتسامة تلك التي أظهرت أسنانها اللؤلؤية والمتراصة جنباً إلى جنب.. يا لذلك الوجه كما لو أنه نسج من السحر!

تركت شعرها الذهبي مرسلاً على كتفها وزينت عنقها العاجي سلسلة ذهبية تدلى منها صليب فوق صدرها البلوري..

ثم نظرت إلى الرجل الجالس إلى جانبها.. لا أدري إن كان عليَّ احتقاره أم لا؟

مازلت لا أعرف عن الظروف التي جعلته يتركها شيئاً.. إنه وسيم جداً كما وصفته أمي تماماً.. رشقت عيناه بنظرة فاحصة ثم وجدت نفسي أتجه إلى المرآه والصورة مازالت في يدي..

أنظر إلى الصورة ثم إلى نفسي في المرآة.. بالفعل يشبهني.. ولكن لماذا أشبه أبي.. لا أمي؟ أهي مشيئة الله أم أنها لعبة من آلا عيب القدر؟

عدت إلى سريري وحملت صورة أخرى لوالدي وحده.. تأملتها لبعض الوقت ثم قلبت الصورة وإذا به دون إهداءً لأمي مع توقيعه بأسمه الكامل.. دققت في الأسم وضعت الصورة على السرير ثم وقع نظري على الرسالة فتسارعت نبضات قلبي فجأة وخفت مما يمكن أن تحويه.. حملتها وارتعشت أصابعي إلا إني فتحتها أخيراً فكتبت أمي في رأسها بخطٍ واضحٍ وجميل.

ابنتي الحبيبة ريم إليك أكتب هذه الكلمات:

حبيبتي سأخرج بعد قليل للبحث عن أبيك ولا أدري ماذا ستكتب ليَّ الأقدار غير أنني سأتحمل كل المصاعب في سبيل الحصول عن هوية لك.

الحياة صعبة في عالم نحن فيه وحدنا.. لا أدري ربما تموتين قبلي لا قدر الله وربما أخرج أنا ولا أعود أبداً لذلك أترك لك هذه الرسالة.

ربما أختفي عن الوجود بسبب زحام السيارات والشوارع المكتظة وربما أتوه في زحام الشوارع هناك.. كل شيء من صنع القدر وهذا ما لا يمكننا الوقوف في وجهه مطلقاً.

أحببت هذه البلدة كثيراً وأحببت أهلها الطيبين وأردت البقاء معهم غير أن للضرورة أحكام.. فصاحبة هذا المنزل أكرمتني كما لو كانت أختي أنقذتني من التشرد والضياع أوتني في منزلها المتواضع وأغدقت عليَّ من حبها وعطفها حتى كدت أنسى مصيبتي لو لا وجودك في حياتي.

غير أني بدأت أحس مؤخراً بأنها أصبحت تغار من وجودي على زوجها.. هي لم تقلها علناً غير أن نظراتها الغاضبة أشعرتني بهذا.. أنا امرأة وأحس بما كانت تحسه وتحمله بداخلها.. هي محقة لا ألومها.

بدأت ترشقني بنظرات غريبة كلما تحدث زوجها إليَّ ومع ذلك لم تغير أسلوبها معي ظلت طيبة إلى أبعد الحدود.

وتساءلت أين أذهب ولا مكان ألجأ إليه.. أين أذهب وقد أحببت الجميع وتعلقت بهم وخاصة ماهر.. ماهر رغم صغر سنه كان صديقي المقرب إليه أشكي همومي وحدتي.. لذلك أتخذي منه الأخ الأكبر والصديق الوفي وإن لم أعد أتخذي من هذه العائلة الكريمة عائلة لكِ.

يجب أن أجد كمال كي يمنحك اسمه.. عليه الاعتراف بك شاء ذلك أم أبى سأتحمل النتائج وأعود بك إلى بيروت إلى حيث يقيم أهلي وأقاربي سأطلب منهم الصفح ولا أظن والدي يبخل علي به وأنا إبنته المدللة.

ثقي يا حبيبتي إن منحك والدك اسمه بأننا سنحيا حياة رائعة هناك، فإن لم أعد ستعرفين الحقيقة من أم ماهر هذه المرأة الرائعة وهي وحدها سترشدك إلى الطريق الصحيح وربما تساعدك بالوصول إلى منزل جدك في بيروت.

يعز عليَّ تركك الآن وأنتِ ما تزالين في أمس الحاجة إليَّ ولكن أن تحصلي على أسم وهوية هذا أهم بالنسبة لي، عزيزتي أنا مجبرة على الرحيل لأنني لا أملك نسخة عن عقد زواجي ولا أعرف إن كان قد طلقني أم لا.

جردني من كل شيء قبل هروبه.. أنتِ تستحقين العيش كغيرك من الفتيات في كنف والد ومنزل وعائلة.. سأتأخر على الحافلة التي ستقلني إلى البلدة لذلك سأترك في رعاية الله وأمنه وفي ظل هذه العائلة الفاضلة التي منحتني الدفء والرعاية والحب وأشعرتني بأني جزء من العائلة لا ضيفة عليهم..

فإن عدت لن تحتاجي لهذه الرسالة وان لم أعد فهي زادك، وذوادك وجواز سفرك الى أن يشتد عودك.. ابحثي عن منزل جدك في بيروت وسأدون لك العنوان.. إبحثي عن والدك إن لم أعد لا تستلمي مطلقاً تستحقين أن تحملي اسمه وأنتِ إبنته شرعاً وأنا سأبق أحبك حتى الموت.

(( أمك التي تحبك بجنون ميراي))

ألقيت نظرة أخيرة على الرسالة وطويتها وأنا أبكي بحرقة ثم ضممتها إلى صدري وأحسست بالقشعريرة تسري في أنحاء جسدي وتساءلت:

ياه.. امعقول أن تكوني قد رحلتِ وهذا كل ما تبقى منك؟ رسالة وبعض صور.

نهضت متثاقلة واتجهت نحو النافذة وأنا أحس بالإختناق.. رفعت الستائر وبقيت تائهة عن واقعي لبضع لحظات.. مخنوقة لا أنا قادرة على الصراخ ولا على البكاء..

أحس بأنها ميتة لا محالة ولكن كيف؟

أصبح الصمت يضج في أعماقي وبداخلي أصبحت تتفجر براكين وتتحرك زلازل صحت من أعماقي وأنا أصك على أسناني.. اللعنة.. اللعنة على أنور فكل ما حدث بسببك دمرت مستقبلي وشوشتني.

كنت ما أزال مستغرقة في شرودي مغرقة نفسي في دوامة من الأسئلة وسرعان ما سمعت طرقات خفيفة على باب غرفتي فأيقظتني من شرودي وأعادتني من رحلتي التي أبحرت إليها بلحظات.

التفت لأجد أمي تقف قبالة الباب وهي تبكي.. أحسست بأني بحاجة إليها وإلى دفئها وحنانها.. أحتاج إلى أن أدفن رأسي في صدرها الحنون كي أبكي أنا الأخرى فأسرعت إليها أرتمي في أحضانها كي أرتاح من الحمل الثقيل الذي حملته على كاهلي ثم صرخت وفي حنجرتي كادت تختنق الكلمات وأنا أقول أمي ساعديني أرجوك..

فردت علي بصوتها الدافئ.. حبيبتي ليس بمقدوري فعل المزيد.. هذا كل ما لديَّ.. ماذا قررتِ؟

أمي لا أستطيع تركك ولكنني أحتاج الوصول إلى الحقيقة..

وأية حقيقة يا حبيبتي.. انسي كل ما حدث وعودي إلى طبيعتك..

لا.. لا أستطيع يجب أن أبحث عن أمي وأبي وعائلة أمي في بيروت

لا.. لن تغادري كما غادرت (ميراي)

افهميني.. لا أستطيع البقاء وأبي يعيش في مكان أخر

وماذا لو كان ميتاً هو الآخر

يكون هذا أفضل على الأقل لا أجد نفسي مضطرة إلى محاسبته ولومه على مافعله بأمي حين هجرها..

لاذ الصمت بيننا للحظات ثم استدركت فجأة أمر الرسالة فتركت أمي واتجهت نحو الرسالة أحملها وأخبرت أمي وأنا أقول:

انظري أمي تطلب من في حال عدم عودتها البحث عن أبي كي يمنحني اسمه وعن عائلتها.. هذه وصيتها.

حبيبتي إنسي أمر والدك لأنه كان سافلاً.

أعرف ولكن هذا لا يمنعني من التوقف عما أريد فعله.. أحتاج للوضوح أكثر هناك حقيقة يجب أن أعرفها واسأل أبي عنها إن وجدته..

أريد أن اسأل إن كان قد التقى أمي أو لا من يدري فربما كانت على قيد الحياة وربما أعود إلى هنا برفقتها من يدري.. تخيلي كيف يكون لقاؤكما بعد مرور تلك السنين!

كل هذا وأمي مازالت واقفة وكأنها أحست بأنها خسرتني من تلك اللحظة التي كنا نقف بها معاً

أنقضت الأيام الثلاثة الأولى دون أن أرسي على بر يقلني إلى شاطئ الآمان حتى ظنت أمي بأني نسيت القصة واستسلمت للأمر الواقع وهذا جل ما تمنيته ولكنني لا أستطيع.. صعب..

كان الصباح التالي النقلة الأولى ليَّ نحو حياة أخرى تنتظرني في عالم أخر.. كنت قد قضيت الليل وأنا أفكر بطريقة تجعلني أترك المنزل دون إغضاب أمي والعائلة.

حزمتُ حقيبتي قبل نومي وبعد بزوغ الفجر جلست خلف طاولتي وفتحت دفتري الكبير ونزعت منه ورقة.. تأملت الورقة ثم استقر القلم بين أصابعي ورحت أخط كلماتي الأولى:

أمي الحبيبة لا تحزني لرحيلي فأنا لا أنوي أن أحذو حذوى أمي فأخرج من المنزل دون العودة إليه.. فمهما طال بي الأمر سأعود إلى البيت الذي فيه نشأت.. يجب أن أخرج كي ابحث لنفسي عن هوية كما أرادت (ميراي) أمي التي انجبتني..

سأعود إليك وإلى أحضان هذه الطبيعة الغناء التي عشت وترعرعت بين حناياها وإلى هذا المنزل الذي فيه درجت أولى خطواتي.

سامحيني لأنني سأخرج دون وداعك فانا لا أملك الصبر والجلد سأضعف أمام دموعكِ وتوسلاتكِ وربما انهار فلا أستطيع الخروج من المنزل.

سأعود يا أمي.. سأعود.

ملاحظة.. سأكون في الوقت الحالي في منزل أخي ماهر.. لا تقلقي عليَّ سأكون بخير وربما أستطاع ماهر مساعدتي.. امنحيني بركة دعواتك مع كل مرة تتوجهين فيها إلى القبلة لتأدية صلاتكِ.

تأملت ما كتبته ثم جعلت القلم يتدحرج فوق الورقة.. ثم تذكرت بأني لم أدون إسمي فحملت القلم ورحت أخط أسمي في أخر الصفحة

(( ابنتك المحبة دوماً.. ريم))

نهضت متثاقلة وحملت حقيبتي.. تأملت الغرفة والخزانة والسرير والنافذة تأملت كل شيء يربطني بالماضي الجميل الذي عشته في هذه الغرفة وهذا المنزل وتساءلت: أتراني أعود إلى المنزل أم أنني سأنسى العودة والقدر سيقف حائلاً بيني وبين طريق العودة؟

من يدري فربما أتوه في زحام المدينة وفي مدن أخرى أجهل عنها الكثير وربما سأغسل دماغي لأمحو الماضي وبعض الذكريات من ذاكراتي.

بلحظات قررت نسيان كل شيء يربطني بهذا المكان وإلا لن أستطيع البحث عن أبي وأمي.

فتحت باب الغرفة برفق وكانت أمي قد قضت صلاة الفجر وأبي معها وعادا إلى النوم.

السكون يعم المكان والجميع نيام.. تأملت المنزل وكل ركن فيه حتى الأثاث ثم ما هي إلا لحظات حتى وجدت نفسي أخرج والباب يغيبني عن الجميع تاركة خلفي الماضي الجميل وحكايا الطفولة.. بقيت أدون في المكان ومشاعر غريبة باتت تسيل في أوصالي.

*****

## "العودة إلى المدينة"

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحاً عندما فتحت باب المنزل الذي مازلت احتفظ بمفتاحه ودخلت بهدوء...

وضعت الحقيبة خلف الباب وقبل أن أرفع رأسي فوجئت بوجود ماهر في الصالون.. ما أن رأني حتى أصيب بالدهشة واللقمة مازالت داخل فمه لم تستطع اضراسه قضمها بعد.

نظرت إليه وقد علت وجهي ابتسامة خفيفة وقلت له:

أسفة إن كنت قد أفزعتك.. كان عليَّ قرع الجرس أولاً...

اقترب مني وقد ابتلع لقمته وهو يقول ليس هذا مهماً.. تعالي ادخلي واخبريني ما الذي عاد بك إلى هنا بهذه السرعة؟

تابع طعامك سأضع الحقيبة في الغرفة واعود إليك.

قبل أن أدخل الغرفة استوقفني وقال:

هكذا بدون أن تعانقيني.. أين تحيتك التي أعتدتها منك.. بدون تحية أو قبلة.. أو عناق وأنا أخوك الأكبر؟

فكرت.. ما الذي جعلني أعجز عن القرب منه وعناقه وتقبيله وهو كان أخي.. أجل.. كان أخي.. ماهر ليس بأخي ولكن لماذا.. أي واقع هذا الذي تغير أنا عشت معه وترعرعت ولعبت.. ما الذي حدث؟

نظرت إليه وقد برقت عيناي ولمعت فيهما دمعة لم يفهم ماهر سببها.

كدت أنسى كل ما عرفته منذ أيام واركض إليه لأرمي نفسي بين أحضانه.

والآن ما الذي يمنعني.. لماذا أحس بهذا الثقل في قدمي؟

ماذا سيتغير لو ألقيت برأسي فوق كتفه لأنسى خوفي وأخفف عن نفسي وارمي خلفي كل ما حدث ولو للحظات؟.. ما الذي يمنعني من الانفجار والتعبير عما أصبح يختلج صدري؟..

لا شيء سوى حقيقة مرة قد عرفتها منذ أيام وقبل أن أضعف وأبكي وجدت أرمي بحقيبتي على الأرض وأقترب منه معانقة إياه بقوة كما لو أنني أره للمرة الأولى فأحاطني بذراعيه بحنان وران الصمت

ما بيننا للحظات بينما أخذا نفسه يتحسس شعري كما لو أنه يبحث بين خصلاته عن ضالته المنشودة ومع ذلك لم أستطع منع نفسي من البقاء بين ذراعيه فأنا لم أرد أن يشهد إنفجاري إن تلاقى وجهينا..

همس في أذني وشفتيه كادتا تلتصقا بأذني تماماً مما جعل القشعريرة تسري في أنحاء جسدي.. قال: عزيزتي ألا تخبرينني ما بك؟

هل تشعر بأني لست بخير؟

بالتأكيد دخولك المفاجئ إلى المنزل دب الرعب في قلبي ووجهك الشاحب جعلني أظن بأن مكروهاً ما حصل في البلدة لأحد أفراد العائلة.. تبدين خائفة وقلقة.. لست ريم التي أعرفها على الأطلاق..

أردت البقاء بين ذراعيه.. أردت الشعور بقربه أكثر.. بدفئه.. وحنانه وخوفه علي.. كان ومازال أخي الأكبر ولكن هذه المرة تختلف فأنا لم أنسى قبلته تلك ولم أنسى طعمها ولذتها وحلاوتها.. كان يعرف بأني لست أخته لذلك فعلها وكان صادقاً أكثر من أي وقت مضى.

الآن لم أجد لنفسي عذراً كي أهرب من مواجهته لأنه قبلني فقبلته لا تعني بالنسبة لي بأنه تخطى حدوده لأنه يعلم تماماً حقيقة ضعفه ونسيانه الأمر كوني أخته.. أجل.. سعيدة لأن لا رابط دم بيننا..

ولكنني قلتها له: أنت محق.. لستُ ريم التي تعرفها.. أو التي كنت تعرفها بالأمس.. أنا عرفت حقيقة نفسي؟

مسكني بعنف وهز كتفي وصاح وهو يبعدني عنه..

أية حقيقة؟

أنت تعرفها جيداً وهذا ما أفزعك..

لا أعرف عما تتحدثين؟

بل تعرف تماماً.. عرفت من أكون وعرفت حقيقة أمي (ميراي) التي تركتني في منزلكم وغادرت كي تبحث عن أبي ولم تعد..

فوجئ ماهر بما قلته وأراد تكذيب ما سمعه فأولاني ظهره مستنكراً الامر فأقتربت منه ومسكت كتفه من الخلف وصحت به..

لا تبعد وجهك عني.. كنت تعرف الحقيقة ولم تخبرني وأنت اقرب الناس إليَّ.. لماذا يا ماهر؟.. لماذا توليني وجهك؟.. واجهني أرجوك وحدثني عن الماضي..

أحدثك عن ماذا أيتها المجنونة.. أحدثك عن أمك التي لجأت إلينا ذات ليلة وكانت تحملك في أحشاؤها.. ثم ولدتك وتركتك وغادرت ولم تعد؟ أنت أختنا عشتِ وترعرعت بيننا إياك نسيان هذا.

أنت محق.. ماهر تعال وأخبرني ماذا تعرف عن أمي.. كيف كانت تعاملك.. مازلت تذكرها أليس كذلك؟

ألتفت إليَّ فلمحت في عينيه بريق لم أعهد فيها قبلاً ثم اتجه نحو الأريكة وهبط فوقها متثاقلاً كمن تخلت عنه إرادته وقال:

ولكن من أخبرك بالحقيقة؟

أنور.. تخيل أراد اغتصابي ونعتني بأبنة الزانية لأنني رفضت الزواج منه.. وأمك أكملت الباقي...

السافل.. لم أكن أريد لعلاقتكما الاستمرار.. لا يناسبك..

مازن لا يناسبني.. وأنور لا يناسبني.. من يناسبني إذاً؟

لم يجب على سؤالي بل أطرق رأسه وقال: مع ذلك لم أكن أريدك أن تعلمي بالأمر والآن بالتحديد من أجل دراستك..

أو كنت تريدني أن أعيش عمري كله بينكم دون أن أعرف حقيقة نسبي.

ماهر أريد أن أبحث عن أهلي.. أريد أن أصنع لنفسي هوية؟

نحن أهلك وهويتك.. نحن عالمك الذي تنتمين إليه..

ومع ذلك أريد معرفة مكان أهلي أرجوك فربما أمي مازلت على قيد الحياة

وأين ستبحثين عنها؟.. تبحثين عن إبرة في كومة قش؟

لدي مكانان يمكنني اللجوء إليها.. حلب.. وبيروت..

مجنونة ماذا عن دراستك والطموح الذي كنت تسعين إلى الوصول إليه؟

لا تقل المزيد يمكنني المتابعة بعد العودة.. ولكن كيف أدرس وأحصل على النجاح وعقلي وتفكيري وكل شيء فيَّ يسير عكس التيار..

ماذا ستفعلين؟

أريدك أن تمد لي يد العون.

وكيف أمدها لكِ؟

سأذهب إلى حلب.. إلى البلدة التي ألتقى بها والدي بوالدك فربما مازال هناك أحداً يذكر أبي وأمي ومن يدري فربما يقيمان هناك؟

المطلوب مني؟

لا أملك مالاً..

وهل أزودك بالمال كي تتركيني؟.. اقصد تتركينا ونحن عائلتك؟

زل لسان ماهر ولمعت عيناه فران الصمت بيننا للحظات.. غير أنني تناسيت وقع تلك الكلمة على مسامعي وأمرتلك الزلة وقلت له:

إن لم تفعل يمكنني بيع سواري الذهبي؟

نهض ماهر واقترب مني ومسكني من كتفي بعنف وصرخ بي:

أو تظنين بأن ثمن سوارِكِ سيكفيكِ برحلتك تلك ويسد كل المصاريف؟ مجنونة إن كنت تظنين باني سأتخلى عنك!.. أنا وحياتي ومالي.. كلنا ملكك وإياك أن تفكري ببيع سوارك.. إنه الدليل الوحيد الذي سيوصلك إلى أبيك أيتها البلهاء وإن كان ما يزال حياً أهداه لأمك يوم تزوجا

تخليت عن هدوءي ووقفت أقهقه ساخرة وأنا أفرد ذراعيَّ..

تحولت إلى ريم أخرى لا يعرفها ماهر مطلقاً وهو لا يملك إلا

أن يقف ويراقبني ويستغرب حركاتي وعلى وجهه ارتسمت اكثر من إشارة استفهام؟ ثم قلت ساخرة:

أبي.. وأين هو أبي؟ يا له من رجل أفتخر به...! أبي لا يريدني رفضني قبل أن أبصر النور.. كنت عاراً عليه..

فقال ماهر: ريم حبيبتي تعلمي أن لا تسخري من أناس ربما أصبحوا في ذمة الله ومهما حصل فذلك الرجل هو والدك ولا يمكنك نكرانه.

لا يهمني.. لا يهمني.. دعني أصرخ انفجر ففي هذا القلب تهيج براكين وتتحرك زلازل.. يحق لي أن أسخر لأن حياتي أصبحت سخرية

عشت طوال عمري وأنا أكره المسلسلات المكسيكية لتفاهة مواضيعها وركاكة قصصها التي تخرج عن الواقع والمنطق وعندما أكبر اكتشف نفسي أعيش في نفس الدائرة..

عزيزتي إن كنت ستفكرين بتلك الطريقة ستصبح حلقات حياتك مطولة ومبتذلة ومملة وسيبوء مشروعك بالفشل..

أطمئن فربما سيختصر مخرج القدر الكثير من مشاهد تلك الحلقات وسيكتب الواقع نهايته لأنهما يعرفان باني متسرعة وأكره الإطالة.. هل تسافر معي إلى حلب؟

لن تسافري إلى حلب..

وما يمنعني من ذلك؟

أنا.. أسمعي لقد قرأت الرسالة التي تركتها أمك واستدرجت والدي بالحديث عن الفترة التي عاشها في حلب في تلك البلدة

التي كنا نسكن فيها وحدثني عن أمور كثيرة وبدون علم الجميع ذهبت إلى هناك كي أبحث بنفسي عن أمك ومع فشلت ولكنني عرفت بأنها ذهبت إلى هناك وألتقيت بوالدك.. ثم ما هي إلا أيام حتى سافر والدك إلى بيروت ومن يومها لم يره أحد في تلك البلدة..

وقلت له فرحة...ماهر..اذهبت حقا كي تبحث عن أهلي؟؟

اجل ...كنت اريد ان ابحث عم امك واعيدها إليك ..

وهل علمت شيئا عنها اخبرني..

أمي.. ماذا فعلت.. ألم تعد.. ألم تسافر.. ألم يكونا معاً هناك

أجل.. ولكنه لقاء عابر وبعدها أختفى الأثر

ربما عادت إلى هناك

أمك ليست في حلب.. ربما كانت في بيروت في مكان ما..

ربما عادت إلى أهلها..

لا أدري.. ذهبت إلى بيروت وأخذت العنوان المدون في الرسالة عليَّ أجد أهلها وعلي أجدها عندهم ولكنني فشلت فأهلها..

من تركتهم ميراي وتزوجت برجل مسلم شعروا بالخزي والعار لذلك تركوا بيروت ولا أحد يعرف إين يقيمون الأن.. حاولت مساعدتك دون أن تطلبي مني منذ زمن ومع ذلك فشلت ولكنني أعلم بأن والدك من يومها لم يأتِ إلى هنا.. إنه في بيروت.. العاصمة حصراً ستسافرين وأسافر معك إلى هناك..

أفضل أن أخوض المعركة وحدي..

ولكنني أخوك ومعركتك هي معركتي أيضاً..

لا.. لست أخي..! !

فوجئت به يقترب مني ويصفعني بقوة على وجهي.. فاجأته وقاحتي وتمنى لو لم يسمع مني تلك الكلمة وهو يقول:

لا يمكنك أن تكوني جاحدة إلى هذا الحد.. لقد تربينا على نفس الحجر ورضعنا من نفس الصدر ولعبنا معاً وعشنا في نفس المنزل أنت أختي شئتِ ذلك أم أبيتِ.

نظرت في عينيه وأنا ألمح دمعة تكاد تنزل من عينيه على حين قلت له:

أتعرف ما أتمناه؟

وانتظر الجواب الذي كان يتمنى سماعه بالفعل

فسألني: وما الذي تتمنيه؟

أتمنى ألا تكون هذه الرابطة بيننا..

صعقه قولي مما جعل الدم يغلي في عروقه..

أتعلم ماذا؟.. أنظر إليَّ.. تأملني جيداً مازال طعم قبلتك هنا فوق شفتي وأنا أعرف الفرق بين التمثيل والحقيقة..

قلت له جملتي تلك على مسامعه وأخذت أجري إلى الغرفة وتركته بلحظات يتوه في عالم غريب.. أحس بأني طعنته في صميم قلبه.. أصبح يعلم بأني أرفض أخوته وأستهين بعشرين عام مضت فقط لغرضٍ في نفسي أنا..

ربما يفكر بأني ظلمته.. أو أحرجته.. أو أنني قلت ما يؤذي مشاعره

لا أنا ولا هو يمكننا محو ذاكرة تلك الليلة التي جعلتني أفكر

مراراً وتكراراً بما فعله ولم أجد تفسيراً.. أنا وحدي من أصبحت أعلم بأن ما حدث كان حقيقة وكل الحقيقة ولكنه لم يعترف بتلك الحقيقة مطلقاً.

مرت الليلة ثقيلة.. ثقيلة مما أشعرني بالضجر والقلق رافقني طوال الليل فالنوم لم يجد لعيني سبيلاً ومع ذلك لم أحاول الخروج من الغرفة خفية مواجهته وهو الذي ظل جالساً في الصالون إلى ما بعد منتصف الليل.

وأنا سهرت وحدي في الغرفة مطلقة العنان لتفكيري دون أن أضع في بالي ما قلته لماهر.. ربما سببت له الألم حين فكرت التخلي عن أخوته.

لم أكن أضع في بالي الخروج من المنزل في ذلك الصباح كنت أنوي التريث قليلاً قبل البدء بأية خطوة جديدة غير أن ما حدث في الصباح قلب الموازين.

خرجت من الغرفة لأرى أخي قد غادر المنزل دون أن يتناول طعام إفطاره.

لم أحاول أن أسأل نفسي أي شيء لأنني أعرف السبب.. فما حدث ترك في قلبه جرح لم يدمله إلا رحيلي والابتعاد عنه.

كنت أهم بالدخول إلى المطبخ كي أصنع لنفسي فنجاناً من القهوة حين لفتت إنتباهي ورقة بيضاء وفوقها مغلف أحمر اللون وكأن ماهر تعمد وضعها على الطاولة الصغيرة كي أراها.. أيقنت على الفور بأنها رسالة منه.

سرت نحو الطاولة وجلست على الأريكة وتناولت المغلف وتأملته ثم وضعته على كفي أرفعه وأخفضه وكأني أريد وزنه ومعرفة ما بداخله؟

أعدت المغلف إلى الطاولة وتناولت الورقة.. رشقت أسطرها المكتوبة بنظرة خاطفة ثم عدت إلى بدايتها

عزيزتي ريم..

أكتب لك هذه الأسطر وأنا بأشد حالات حزني وغضبي..

لا تستغربي فأنا من واجبي كأخ أكبر لك أن أذكرك على الدوام بتلك الرابطة التي تجمعنا مهما كانت الظروف.. المجتمع والناس والواقع وأهل البلدة كلهم يعلمون بأننا أخوة وهذا واقع لا يمكننا نكرانه ونحن وحدنا لا نستطيع صنع المستحيل.. تفهمين علي أليس كذلك؟

انا معك فتلك القبلة لم تكن تمثيل وكنت اعيها تماما ولي أسبابي.

أسف إن كنت قد خرجت دون وداعك.. لم أستطع رؤيتك كي لا أضعف أمامك وأترجاك كي تبقي في المنزل.

تركت لك مبلغاً لا بأس به من المال كي تستعيني به في غربتك وعندما تشعرين بأنك في حاجة إليَّ بأي شأن من شؤونك تذكري بأني موجود وأنني لا استطيع محوك من حياتي كأخ لك تفهمين...؟

سامحيني عزيزتي أريد العودة إلى المنزل ولا أريد أن أجدك فيه لأنني إن عدت ورأيتك ما تزالين هناك سأضطر لمنعك من السفر بالقوة وأعيدك قسراً إلى البلدة وهذا لن يرضيك.. وأنا لا أريد تعميق الفجوة ما بيننا.. غادري وأتمنى لك السعادة وأن تعثري على والديك في أقرب وقت ممكن كي تعودي إلينا بسرعة

وسنكون بأنتظار عودتك أبلغيني بكل جديد يطرأ في حياتك.

(( المحب دوماً ماهر))

ضغطت على الورقة حتى كدت أتلفها.. أحسست بالغيظ لأنني لم أكن أعلم بأني سببت له ذلك الأذى.. ولكن لماذا لم يقل أخوك المحب لماذا قال المحب دوماً؟؟...

نظرت إلى الورقة من جديد ومازلت أنظر فيها وأنا أعض على شفتي السفلى ثم نهضت مسرعة حتى كدت أتعثر بالأشياء التي أمامي ثم التفت إلى الطاولة التي حوت المغلف الأحمر وعدت إليه أحمله وأنا أقول: أحمق كان عليه أن يفهمني؟.. من يساعدني في غربتي ومن سيطفئ النار التي اندلعت بداخلي منذ أن علمت بحقيقة أمري لا أحد.. لا أحد.. كل الماضي أصبح سراباً بالنسبة لي سراب.

كل شيء انتهى والماضي تحول إلى ذكريات.. فكل ما كان يهمني الآن هو السفر كي أرسم لحياتي مستقبلاً جديداً.

كل ما أستطعت فعله هو الدخول إلى غرفتي وحزم أمتعتي من جديد وبلحظة أحسست بأني لا أنتمي إلى أخي ولا إلى البلدة الجميلة التي عشت وترعرعت فيها.. وكأنه طردني من منزله وحياته.. طردني بطريقته المهذبة وأنا أعرف السبب تماماً ربما يخاف على نفسه من وجودي بعد أن ظهرت الحقيقة.

ربما أصبح يشعر بأني أقيد حريته في منزل وأنا من علمت عن مغامراته الكثير.

خرجت من الغرفة ومعي حقيبة ملابسي وحقيبة كتفي أضع فيها أوراقي الخاصة وبطاقتي الشخصية وما أحمله من نقود.

اتجهت نحو الباب الخارجي وكنت أود إلقاء نظرة أخيرة على منزل ماهر كي أغادره إلى غير رجعة غير أن قدميَّ تجمدتا خلف الباب.

فبقيت شاردة للحظات وحائرة ما بين الخروج والبقاء.. ثم ألقيت نظرة على غرفته قبل رحيلي فأنزلت حقيبتي على الأرض وسرت ببطء نحو غرفته تأملت بابها للحظة ثم فتحته ودلفت إليها بهدوء

تأملت محتوياتها وابتسمت.. إنها غرفة مميزة.. سرير واسع تغطيه شراشف حريرية مطرزة.. ألوانها زاهية تتناسب كثيراً مع ألوان الستائر.

غرفة أنيقة ومرتبة للغاية.. لقد تفنن أخي بترتيبها كما لو كان قد أعدها لليلة زفافه.. وفكرت..

كيف يستطيع ماهر ترتيب منزله بتلك الطريقة وهو الرجل الأعزب؟

بالفعل أحسد من ستكون زوجته مستقبلاً على الأقل لا يقلب لها المنزل رأساً على عقب كلما أراد تغير ملابسه.

اقتربت من الخزانة وتلمستها قبل أن أفتح درفتها الأولى وما أن فتحتها حتى فاحت رائحة عطره التي تغطي ملابسه الأنيقة والمرتبة سحرتني ألوانها المتناسقة وذوق أخي الرفيع بأختيارها.

مسكت ملابسه ثم دفنت رأسي بينها وأحسست بأني سأصاب بالإغماء لثقل روائح العطر فيها والتي تسلك أنفي وأشعرتني للحظة بالإغراء...

أردت أن أنهي كل ما جاش في نفسي وأمنع نفسي من البكاء حين أغلقت الدرفة وانتقلت إلى الأخرى فتحتها ونظرت في رفوفها الفارغة وكدت أغلقها غير أنني تنبهت لشيء بداخلها.. جلست القرفصاء وحملت ما وجدته بأشمئزاز.. إنه ملابس نسائية داخلية.. ألقيت بها على الأرض وصفقت

باب الخزانة بغضب وكنت سأهم بالخروج من غرفته بل ومنزله ومن حياته إلى الأبد وقبل أن أخرج ووقعت نظراتي على صورته التي ووضعها في إطار جميل إلى جانب سريره على الطاولة.. حملت الصورة واستلقيت فوق سريره لبعض الوقت وأنا أضم صورته إلى صدري ثم تنهت لنفسي فربما يأتي ويجدني على ذلك الحال فحملت صورته معي وخرجت من الغرفة مسرعة بعد أن جلت في بصري للحظة أخيرة ثم اتجهت نحو الباب الخارجي وحملت حقيبتي وأنا أعرف تماماً بأني لن أعود إلى هذا المنزل.

أشياء كثيرة أخذت تدور في رأسي ومع ذلك وجدت نفسي خارج المنزل.. مر الوقت بطيئاً جداً وانتظرت طويلاً في الشارع وحقيبتي على الأرض أجلس فوقها بينما قرص الشمس فوق رأسي يلتهب إلتهاباً..

مللت.. مللت الانتظار وأخيراً توقفت سيارة أخرة وخفت من أن يرفض هو الأخر أن يقلني كما فعل أخرون من قبله.

ألقيت التحية وأنا أنظر إليه من خلف النافذة فسألته:

أريد أن تقلني إلى الكراجات إلى حيث تقف سيارات الأجرة التي تذهب إلى بيروت إذا سمحت..

وافق الرجل دون تردد وهو يقول: عداداً ونصف..

لا عليك سأدفع المهم أن تقلني ..

وترجل الرجل من سيارته وسار نحو حقيبتي وحملها وعاد كي يضعها في صندوق السيارة الخلفي وثم دار حول السيارة وفتح لي بابها الخلفي ودعاني للجلوس في الخلف..

دلفت إلى داخل السيارة واستقريت بالجلوس فأقفل الرجل باب السيارة وعاد كي يجلس خلف المقود وهو يقول: إتكلنا على الله...

فقلت له ونعم الإتكال...

انطلقت بنا السيارة متجهة إلى حيث أريد.. شعرت بالملل من كل الأصوات المحيطة بي والشارع وزعيق السيارات وصوت المذياع في السيارة.. وأشياء كثيرة كادت تشعرني بالنعاس.

*****

عندما وصلنا إلى الكراج ترجلت من السيارة والسائق كان مهذباً أكثر مما تصورت، ترجل من سيارته وساعدني على إيقاف سيارة أجرة تقلني إلى بيروت وعندما أيقن بأني أصبحت داخل السيارة عادت إلى سيارته وأخرج من صندوقها حقيبة ملابسي ليضعها في صندوق السيارة الأخرى التي ستنطلق بي بعد دقائق إلى بيروت.

ما أن انطلقت السيارة حتى أطلقت العنان لذكرياتي التي تركتها خلفي في البلدة.. فجأة بدأت أحن إلى أمي وإلى تلك الجلسات التي كانت تجمعنا معاً ولكنني أغمضت عيني وأردت الهروب من كل ما يدور في خلدي.

أحسست بأن رحلتي ستكون طويلة وشاقة.. أيقنت تماماً بأني أبتعد أكثر فأكثر عن بلدي وكلما أبتعدت يرجع إليَّ الحنين.. إلى بلدتي وأهلي وأحلام الطفولة.

في ذاكرتي أحمل معي صورة مكبرة للحقول الواسعة والأشجار المثمرة والظلال الوارفة.. حنين إلى الماضي سيبقى في قلبي حتى عودتي إليه..

أعشق البيئة التي عشت وترعرعت فيها لذلك لن أكون جاحدة بحق البلدة وأهلي وأمي التي أغدقت عليَّ من حبها وحنانها وسهر الليالي حتى أصبحت في هذا السن..

كل هذا والسيارة مازالت تنطلق بي وتمر على ناظري قرى وبلدات ومدن وشوارع مكتظة بالناس وأخرى تخلو من الحركة تماماً.

مررت في أماكن تخلو من كل شيء الأصوات المحركات السيارات وكنت ما أزال أعيش في حلمي الذي رسمته لنفسي عندما أحسست فجأة بدمعة حائرة وربما خائفة أحرقت جفني وبالفعل.. تمنيت للحظة نسيان كل شيء ورغبتي في النوم رغم أنني في سيارة أجرة ولكنني بقيت مستيقظة.

توقفت السيارة لبعض الوقت على الحدود وانا ابرزت اوراقي بينما السائق يتحدث مع بعض رجال الامن .

أنتهينا من تلك الأجراءات وعاد السائق إلى سيارته..

*****

# "بيروت"

# "المحطة الأولى"

توقفت السيارة ولم أكن أعرف بأننا وصلنا إلى لبنان، فاجأني السائق وهو يقول:

لقد وصلنا الحمد الله..

أخبرني كيف يمكنني الذهاب إلى العاصمة.

يمكنك أن تستقلي سيارة أجرة أو الحافلة.

لم أقل المزيد بل فتحت باب السيارة وترجلت منها على حين ترجل السائق من سيارته ودار حولها وفتح صندوقها وأخرج الحقيبة فأقتربت من الحقيبة وأزحتها عن طريق السيارة مبتعدة عنها بعد أن ناولته أجرته فقال لي: حمداً لله على السلامة.

شكرته بأنحناءة بسيطة برأسي فركب سيارته وغادر المكان.

نظرت في المكان للحظات ثم جلست فوق الحقيبة منتظرة قدوم سيارة تقلني إلى أقرب فندق كي أستريح من تعب النهاروأنام.

أصبحت أحس بالتعب والأرهاق وأصبح الأنتظار مملاً.. مملاً بالنسبة لي وكأن الشارع خلى من وسائل النقل وأنا لا أملك إلا الأنتظار دون حراك وإلا تهت في شوارع لبنان المزدحمة فأنا مازلت أجهل عنها كل شيء.

وأخيراً لمحت الأمل يلوح لي من بعيد إنها حافلة كبيرة ومع ذلك لم أكن واثقة بأنني سأصعد إليها مع حقيبتي الكبيرة وحقيبة كتفي.

أشرت إلى السائق فتوقف في الحال.. فقلت له:

أريد النزول عند أقرب فندق إذا سمحت فأني قادمة من سفر

فقال: أصعدي..

حاولت رفع الحقيبة الكبيرة إلى الحافلة فلم أستطع على حين فوجئت بفتاة تقترب مني وهي تقول سحقاً ألا يوجد رجال هنا؟

مدت يدها وسحبت معي الحقيبة وعندما أطمأنيت على حقيبتي

أصبحت داخل الحافلة وجدها تمسك يدي وتساعدني على الصعود إلى الحافلة ومن ثم دعتني للجلوس إلى جانبها ومازالت ترمقني بنظراتها الفاحصة فأحسست على الفور بأنني غريبة عن المنطقة.

انطلقت الحافلة بنا فأخذت نفساً عميقاً والتفت إلى الفتاة أشكرها على مساعدتها فقالت بلهجتها اللبنانية الخفيفة الظل:

ولو الناس لبعضها..

رحلتي كانت شاقة..

من أين جئتِ؟

من دمشق.. أرجوكِ ما أن نمر من أمام فندق أو نزل نهيني كي أنزل أتوق كثيراً لإيجاد مكان أرتاح فيه من تعب النهار والسفر..

رمقتني بنظرة وعلى وجهها إبتسامة خفيفة وقالت على الفور دون تردد:

ما رأيك لو استضيفكِ في منزلي المتواضع؟

استغربت عرضها وهي التي لا تعرف من أكون أية ثقة تلك التي تجعلها تدعوني إلى الإقامة في منزلها.. ما أدراها فربما أكون مجرمة.. أو فارة من وجه القانون.. أو هاربة من سلطة الأهل...او او أو...وانا كيف سأثق بها ولا اعرف من تكون..

فقلت لها: لا.. لا.. أشكرك سأقيم في فندق.

صدقيني لن تندمي.. أسكن وحدي.. أستأجرت غرفة وصالة ومرافق، هو منزل صغير لكنه يناسبنا معاً

تسكنين وحدك؟

أجل أنا من منطقة أخرى ووجودي في المدينة من أجل الدراسة..

ثم ضحكت ساخرة وهي تقول: يظن الجميع بأني فتاة تحب جامعتها ومجتهدة.. فأهلي لا يعلمون بأني لم أفلح بذلك.. تركت الجامعة وبحثت عن عمل وأنا سعيدة جداً..

أستغربت جرأتها وكذبها على أهلها فقلت له: أنت مغامرة كبيرة.

أعرف ذلك.. ولكن لم أعرف بأسمك بعد؟

وفكرت.. ماذا سيكون اسمي الجديد في بيروت؟ سأختارلنفسي اسماً اسم أمي يناسبني كثيراً.. ومن يدري ربما يوصلني اسمها إلى دليل يدلني على مكانها فقلت لها: ميراي.. اسمي (ميراي كمال)...

ضحكت الفتاة وقالت مازحة: ظننتك نسيت أسمك في دمشق..

ضحكت من قولها وقلت لها: لا أصدق بأني فور وصولي إلى لبنان حظيت بفتاة رائعة مثلك.. تعلمين أنتِ رفيقة مسلية.

مدت لي يدها مصافحة يدي وهي تقول:

لن تشعري بالغربة ولا الخوف وأنتِ معي.. اسمي جويل وأبلغ من العمر / ٢١ عاماً/ كنت أدرس الأدب العربي لعامين ثم فشلت فقررت دراسة الآداب ولكن على طريقي أنا.. إنها الحياة..

ثم قهقهت وقالت مستهترة: أليس هذا أفضل من الشهادة التي سأجري خلفها ولا أدري إن كنت سأنالها أم لا؟

ضحكت من قولها وقلت لها: بلا.. أعجبتني الفتاة لصراحتها وخفة ظلها وبساطتها.. فقطعت علي شرودي بها وسألتني:

وأنتِ ماذا تدرسين؟

أنا في سنة أولى في علوم سياسية واقتصاد ولكن لظروف خاصة جداً قررت تأجيل الدراسة حالياً..

يبدو أن لديك مشاكل؟

أجبت بالنفي.. بالفعل لا أنكر مطلقاً بأني شعرت بالاطمئنان لتلك الفتاة وسألتها: أمازلتِ على عرضك من أجل استضافتي في منزلك؟

مدت يدها تصافحني من جديد وهي تقول: أحببت رفقتك.. أهلا بك في بلدك الثاني لبنان...

وضعت يدي داخل يدها وأخذت نفساً عميقاً وأحسست فجأة بنور ساطع يتلألأ في سماء حياتي ويبشرني بالأمل.

ها هو القدر يمد لي يد العون وهذه الفتاة ستكون معي في غربتي الأخت التي لم تنجبها أمي..

مازالت الحافلة تسير نحو هدفها ومازلت خائفة من القادم إليَّ من حيث لا أدري ومازلت أحس بالاضطراب من كل ما يمكن أن يحدث.

صرت أدور حول المكان فرحة مبتهجة ومشاعر غريبة تسللت إلى أوصالي وأحاسيس دافئة بدأت تنبعث من أعماقي..

مرت لحظات تأملي على حين أعدت جويل طبقاً من البيض المقلي وأخر من البطاطا مع الدجاج وقالت معتذرة عن ضيافتها المتواضعة.

ميراي أعذريني فأنا لم أعد لك الطعام الذي يليق بك وأنت ضيفتي.

لا تعتذري أرجوك بالنسبة لي هذا الطعام الذي أعددته يعد لملوك.

إذاً تعالي كي نأكل ليكون بيننا خبز وملح.. هيا تعالي علي الخروج بعد قليل إلى عملي.

اندهشت من قول جويل ولكنها سرعان ما سرقتني من دهشتي وقالت:

أجل أنا أعمل ليلاً ولكن لست بائعة هوى كما ظننت ولا راقصة أو مغنية أعمل في ملهى ليلي.. أقوم على خدمة الزبائن فحسب.

ملهى ليلي –وتخدمين الزبائن؟! – تخدمينهم بماذا؟

أقدم الشراب وأغسل الأكواب وأمسح الطاولات .

تقدمين الخمرة لضالين عن أمور حياتهم؟

ليسوا ضالين أكثرهم من كبار الأثرياء في البلد ومن ذوي النفوذ غالباً يهربون من منازلهم ومشاكلهم وربما من مسؤوليتهم ليأخذوا لأنفسهم قسطاً من الراحة والإنبساط في تلك الأماكن الرخيصة.

ما هو شعورك وأنتِ تخدمين وتقدمين الكحول لهؤلاء الناس؟

وأي شعور ؟ عزيزتي وأقبض لقاء عملي رغم أنني لا أسلم من ألسنتهم وتلميحاتهم وتحرشاتهم التي لا تنتهي أبداً.

وما الذي يجبرك على الإستمرار في عمل كهذا؟

عزيزتي هذا العمل يدر عليَّ أموالاً طائلة فأنا نشأت في عائلة متوسطة الحال ووالدي يتعب كثيراً كي يؤمن لي أقساط الجامعة.

وأنتِ تركتي الجامعة وعملتي في ملهى؟..

تصوري بأني أحتفظ بما يرسله لي أبي وما أتقاضاه من عملي كي أصبح امرأة ثرية وسأثبت لوالدي بأن الشهادة لن تطعمني خبزاً وقتها سيفتخر بي دون شك.

بل سيخيب أمله ويغضب – عزيزتي المال ليس كل شيء في هذه الحياة سيصاب والدك بخيبة أمل كبيرة عندما يعلم بأنك حطمتِ حلمه .

لا أريد استباق الأحداث .. أكره أن أفكر بما يمكن أن يحدث غداً .. ما رأيك أن تذهبي معي كضيفة الليلة ؟

أبتعد عنها وأنا أشير لها بيدي ... لا .. لا .. أرجوكِ لا تقحميني في تلك الأجواء فأنا بعيدة عنها كل البعد .

لا تخافي ستكونين ضيفة ليس إلا.

فأجبتها ضيفة وتقدمين لي كأساً كالباقين؟

لا تسخري مني أرجوكِ.. من يدري فربما تجدين لنفسك عملاً هناك.

أنا... أعمل في تلك الأماكن؟... لا أرجوك أفضل العودة إلى البلدة على أن أعمل في تلك الأماكن المشبوهة..

فكرت.. وكأنها تريد جري إلى ذلك المكان.. رحلت بلحظات إلى عالم غريب.. أحسست بالنقص والعجز وقلت الحيلة ومع ذلك تساءلت أيمكن أن تدعوني الحاجة إلى العمل في أماكن كهذه مثل جويل؟

رباه.. إلى أين جئت وأين سأزج نفسي إن عاندتني الظروف هل سأتخلى عن حلمي وأبيع مبادئي إن شعرت بأني بحاجة إلى المال؟

لا: مستحيل لماذا افكر في أمور كهذه وأنا ما زلت في بداية المشوار؟

كنت متعبة ومرهقة وأحتاج الى النوم لساعات طويلة ومع ذلك ناقضت تفكيري وتنازلت عن تمنعي ووافقت على الذهاب معها وكأن الفضول دفعني إلى معرفة ما يدور خلف كواليس الحياة.. إنها خطوتي الأولى التي أخطوها بقدمي نحو المجهول ....

أجلس بينهم وقلبي يجيش بالخوف وأنا لا أملك إلا أن أسرح بنظراتي مع دخان السجائر بينما رنين الكؤوس المترافق مع أصوات الموسيقى الصاخبة يكاد يثقب مجرى السمع في إذني.

مرت الدقائق ببطء وأنا بدأت أحس بالخجل من جلوسي على طاولة منفردة وكل النظرات تفترسني .. كيف لا وأنا ضيفة جديدة على ذلك المكان وربما البعض تساءل: ماذا تفعل فتاة مثلي في مكان كهذا؟

ولكن أمعقول أن تستهويني العادة فأصبح عضوة دائمة من أعضاءه شرب ورقص وسهر وعربدة حتى الصباح؟

يا لي من حمقاء.. كيف استطاعت جويل جرجرتي الى هذا المكان؟

الجميع يشربون حتى الثمالة والنساء يحمنا حولهم كقطع حلوة.. قبلات همسات وكلمات تخدش الحياء وحركات اغرائية تجعلني اتقيأ من شدة خجلي وربما شدة اشمئزازي.. ومع ذلك حاولت جاهدة عدم النظر إلى أولئك الناس وأفكر بيني وبين نفسي كيف ينسون هؤلاء الناس؟

ما يجري في العالم الأخر خارج الأسوار هذا الملهى؟

حصار.. وحروب وتشريد أطفال وترميل نساء.. كيف لا يفكرون بما يحدث حولهم؟ ألا تنخز قلوبهم الرجولة؟ ألا تحثهم عروبتهم على التفكير بما يحدث؟.. ولكن ماذا بي أنا؟ مالي ومال ذلك التفكير وهل كنت أظن نفسي سأحرر القدس من قبضة محتلها وأقوم بأصلاح العالم؟

مع ذلك أنا أنسانة وأملك قلباً ينبض بالحياة ويشعر بهموم الأخرين.

عشت مشاهد الظلم وعرفتها من خلال متابعتي للأحداث عبر شاشات التلفزة.. أليسوا هؤلاء الناس الذين يموتون أهلنا. ينتمون إلى العرق الذي أنتمي إليه؟ كان علي أن أعلم قبل دخولي إلى مكان كهذا بأن في أماكن كهذه تموت المشاعر وتنام الضمائر وتأخذ القلوب بنفسها قسطاً من الراحة وتتخدر المشاعر والنظرات بما لذا وطاب.. بل بما هو ألذ وأشهى من رؤية الدماء التي تسفك هنا وهناك.

سرقتني جويل من شرودي وأعادتني إلى واقعي من رحلة القصيرة تلك لتسألني: ألا يعجبك هذا المكان؟

رشقتها بنظراتي الفاحصة من رأسها حتى أخمص قدمها وقلت لها مشمئزة من منظرها ذاك:

يبدو أن القماش قد نفذ من الأسواق حتى أصبح مصممي هذه الملابس يختصرون القسم الأسفل منها؟أيعجبك مظهرك هذا؟

عزيزتي.. هذه موضة هذا العصر.. ثم إن هذا من شروط قبولي في العمل هنا ولكن أصدقيني القول ألا يليق بي هذا الزي؟

قلت ساخرة: أجل كثيراً لدرجة تجعلك تثيرين شهوات الناظرين

عزيزتي إنظري من حولك كل النساء ترتدين ملابس كهذه ونحن في ست الدنيا بيروت ولسنا في بلدتك المحافظة

جويل.. أرجوكِ أخرجيني من هنا.. تضايقني نظرات الرجال إليَّ وبالأخص هذان الشابان الذان يجلسان على الطاولة رقم (٧).

نظرت جويل إليهما وصاحت بي: بلهاء.. عزيزتي هذان الشابان إبنان لرجلين باذخي الثراء وهما زبونان دائمان هنا.

وهل يخولهما هذا للتعرض لنا بتلك النظرات الماجنة؟

انظري إلى الشاب الأسمر.. إنه يدعوني للخروج معه منذ عام لنشرب كأساً خارج هذا المكان.

ولماذا لا يدعوكِ إلى هنا؟

عزيزتي أنتِ جديدة على هذه الأجواء.. هذا الشاب من النوع الذي يستهويني.. مسكين أشفق عليه.. هل تعلمين إلى أين دعاني؟

وما أدراني وهل كنت معكما!؟

دعاني إلى فندق والد صديقه الجالس إلى جانبه.. أخبرني بأنه يملك هناك جناحاً سبق وأعد لوزير الرخيص.. وماذا قلت له؟

أعده دائماً بالخير فالبقشيش الذي يدره عليَّ كل ليله ليس بالقليل وبالتالي استطيع من خلال دعوتي بالموافقة كسب وده..

تقصدين كسب ماله...؟

وهل هذا عيب؟

بالنسبة لي نعم فبأسلوبك هذا تجرين نفسك إلى الهاوية.. أنت تستغلينه وبالتالي سيجبرك على دفع المقابل عاجلاً أم آجلا وسيكون الثمن غالياً

نسيت أمر جويل للحظة وعدت كي أنظر إليهما وإذابي ألاحظ بانهما يدعوان جويل فنظرت إليها وقلت لها: إذهبي إنهما يطلبانك..

غادرت جويل متجهة نحوهما ثم لا أدري لماذا أحسست بالاختناق فجأة وتمنيت الهروب من كل ما يدور في ذلك المكان ولكن ماذا يحدث إن حاولت اكتشاف العالم الأخر الذي قررت اللجوء إليه باحثة لنفسي عن هوية؟

ولكن أين أبحث عن هويتي؟ في مكان كهذا؟ وسط الزحام والأكاذيب واللهو وسوق النساء...

ما أدراني فربما أجد أبي في مكان كهذا؟ ألم يلتق أمي في مطعم؟

أشياء كثيرة أصبحت تدور في خاطري بينما أراقب كل ما يحدث من حركات وتلميحات على الطاولة الأخرى وكأني أصبحت أعي تماماً نوع الحوار الذي ... يتبادلونه ثلاثتهم .حيث أن أحد الشابين رشقني بنظرة خلتها عرتني من ثيابي .. ثم لمحت جويل تضع كفها على الطاولة وتحني رأسها لتهمس في أذن أحدهما.

بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف واتجه الجميع إلى قاعة الرقص ثم لمحت جويل حين أصبحت تتمايل بجسدها الرشيق على صوت الموسيقى على حين مسك أحد الشابين ذراعها وتلمسها لبعض الوقت ثم حمل كفها وقبله وهمس في أذنها بعض كلمات ومازال فمه ملتصقاً تماماً بأرنبة أذنها كأنه دعاها لرقص وهي تدللت عليه حين سحبت يدها من يده بهدوء فنظرت إلى الشابين وقوست حاجبها ثم تركتهما حين اقتربت منهما فتاة تبدو ثملة لأنها كانت تترنح على كتف هذا وذاك ..

أحاطت كتف أحد الشابين وانحنت عليه وهي تقول: أيها الشاب أحتاج لرفقة فرأيت جويل تعود إليَّ وهي تتمتم بكلمات لم أفهمها.

فسألتها على الفور: ما بك جويل؟

دائماً يكذب علي ويقول بأني أسرق النوم من عينيه وباني ألهب قلبه لدرجه أني أضرمت النار فيه.. أرادني أن أشاركه كاسه.. يريدني أن أرأف لحاله لأنني أصر دائماً على تعذيبه.. لدرجة تجعله يتخيلني... ربما يكون قد أسمع هذه الأسطوانة لعشرات الفتيات قبل أن يلقها على مسامعي.

تعرفين هذا ومع ذلك تستمرين بوعودك له؟

حتى يمل من المراوغة ذلك الأحمق ويعترف بحبي.

عزيزتي هذا النوع لا يمل المراوغة ولا يعترف بالحب لأنه يريد الحصول على المتعة فقط .. المتعة من خلف أبواب مغلقة.

مازالت جويل تتحدث على حين عدت لأنظر إلى ذلك الشاب الذي مازال جالساً منتظراً عودة صديقه إليه وإلى فتاة تقف بالقرب منه وهي غاية في الجمال والروعة .. ينظر إليها نظرات اخترقت مسامات جسدها .. كادت نظراته تعريها من ثوبها الفاضح حتى.

أنزل يدها وظل ممسكاً بها وظلت نظراته تخترقها من أطراف أصابعها صعوداً بكتفها .. ثم نهض يدعوها للرقص وهو يقول لها:

أكون ممتناً لكِ إن قبلت أن أكون شريكك في هذه الرقصة.

سارا معاً إلى قاعة الرقص ذراعه تحيط خاصرتها ثم اقترب من جويل وألقى عليها نظرة ليثير غضبها وربما غيرتها فكادت تشتشيط غضباً منه.. ثم اتجهت نحوي وقالت:

أرأيت؟ هذا من أسرق النوم من عينيه.

ضحكت بيني وبين نفسي وخجلت من كل ما يحدث أمامي ووضعت رأسي داخل كفيَّ وتغلغلت أصابعي داخل شعري.

قالت جويل وبعضها يمزق بعض من الغيظ:

الأحمق أختار لنفسه شريكة أخرى لأنني رفضت مراقصته ..

ثم شدتني من يدي وقالت مستنفرة: تعالي وساعديني بغسل الأكواب وتنظيف البار فالليلة لدينا عمل كثير.

سرت معها طائعة مستسلمة وأنا أرثي تماماً لوضعها وربما من الآن فصاعداً عليَّ أن أرثي لحالي أيضاً.

*****

لم ارض أن أشاركك جويل سريرها قررت النوم في الصالون على الأريكة ..

ما هي إلا دقائق قليلة تفصلنا عن بزوغ الفجر.. رغم إرهاقي وتعبي وحاجتي إلى النوم لم أستطع النوم والنعاس قد طار من عيني بينما جويل تغط في سبات نومٍ عميقٍ....

تساءلت: أين أذهب في هذا الزحام الكبيرة؟ قلقة خائفة...

أحس بأني أصبحت مستعدة تماماً لخوض معركة جديدة .

معركة أنا نفسي لم أفكر كيف أبدأها غير أنني أصبحت مستعدة تماماً لخوضها.. فالمال الذي أملكه لن يكفيني وأنا ما زلت أجهل كيف سأتدبر أموري والجواب على كل أسئلتي المتعلقة بشأن بقائي في بيروت مازالت بلا أجوبة ولكنني أظن بأن الأجوبة ستكون عند جويل النائمة .

إنها إرادة القدر فلولا وجودها إلى جانبي لو جدت نفسي أتخبط في ظلمات الوحدة والخوف والقلق والضياع.....

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد الظهر.. كنت قد أعددت طعام الأفطار على حين استيقظت جويل من نومها وما تزال تشعر بالنعاس.. نزلت من سريرها متأففة.. اتجهت نحو الحمام مترنحة كسكرانة بينما ظلت للحظة تتأمل للطعام الذي أعددته لها، دخلت الحمام وأنا مازلت واضعة ذقني بين كفي وكوعي على الطاولة منتظرة خروج جويل من الحمام.

مرت الدقائق وجويل لم تخرج وأنا كدت أفقد السيطرة على صبري لأنني لم أعتد النظر إلى الطعام دون إلتهامه.. فكل الأطباق على الطاولة تدعوني لإلتهامها وأخيراً خرجت من الحمام متثاقلة

وقد جمعت شعرها إلى مؤخرة رأسها ألقت المنشفة على الأريكة وأتجهت نحوي متثاقلة وجلست على الكرسي وهي تقول: وجودك معي جاء بفائدة... على الأقل أنهض من النوم وأجد إفطاري جاهزاً.

لا تفرحي كثيراً فهذا الوضع لن يستمرطويلاً لأنني سأبحث عن عمل أنا الأخرى.

ماذا ستعملين؟

أظن بأن رحلة بحثي عن عمل ستكون طويلة وشاقة لذلك سأختصر كل المسافات والتعب وأعمل معك ما رأيك؟

أصيبت جويل بالدهشة من رغبتي بالعمل معها.. بل بدت كما لو أنها لم تسمع ما قلته فطلبت مني إعادة ما قلته...

سأعمل معك.. طالما نستطيع حماية أنفسنا من أولئك الناس وأننا نخدم الزبائن وننظف الطاولات ونغسل الكؤوس دون أن نشرب لا أجد في هذا العمل من يسئ لي.. أنتِ محقة إنه عمل ككل الأعمال

صاحت جويل وهي تقترب مني وتقبلني.. هذا رائع سنكون معاً في كل شيء.

تركتها غارقة في بهجتها وصرت أتناول طعامي بصمت وأنا لا أعرف إن كنت على خطأ أم على صواب.. أيقنت لوهلة بأن ما أقدمت عليه سيجرني إلى التهلكة سيرحل بي إلى عالم للهو والرقص.. عالم سيغرقني في بحرالملذات والإغراءات ومن يدري فربما لا أستطيع صدها وتساءلت:

ماذا سأفعل وأنا تائهة عن واقعي.. ماذا أردت من وراء ذلك العمل؟

ربما أكتشاف العالم كي أنغمس بما ينغمس به الأخرون.. سأقدم الشراب لهذا وذاك وأخلع عني ثوب البراءة وأرتدي ثوباً أخر يحررني ويعريني من ماضيَّ الذي عشته تماماً.

من يدري فربما تلك الأجواء توصلني إلى الهدف الذي من أجله جئت إلى بيروت.

أعلم بأن الطريق سيكون شاقاً ولكن الحقيقة هي كل ما أريد البحث عنها ولكن ماذا عن ماهر؟.. ماذا لو علم بأني سأعمل في مكان كهذا؟

ربما سيضربني كما ضربني حين رأني مع مازن وربما سينهال علي بالشتائم ويلومني لأنه يريدني أن أبقى إبنة البلدة البريئة الطاهرة.. إبنة البيئة التي نشأت فيها وترعرعت.

بالفعل أشتاق إليه.. أشتاق لسهراتنا معاً في ليالي الشتاء الباردة وما زلت أتذكر يوم قمنا بالتمثيل معاً ولحظة قبلني.. ياه مازالت تلك القبلة تهزني من الأعماق وتثير بداخلي المشاعر وتنقلني إلى عالم غريب تماماً عن واقعي.. أتذكر شاعريته ورومانسته ودفء لمساته والبريق الذي كانت تملكه عيناه.. ولكن ماذا أقول أنا وفي بطاقتي وضمن المجتمع مازال أخي.. أجل وهذه الحقيقة لا يمكنني نكرانها.

*****

## "بعد عامين"

## "تحدي المستحيل"

الأيام والأشهر مازالت تمضي دون فائدة ومازلت أنا في ذلك المكان غريبة عن نفسي وواقعي وكل ما كان يصبرني هو رسائل ماهر تجعلني أحس بأني يعيش معي بقلبي.. بأحاسيسه.. بمشاعره الدافئة.

كنت مازال أقرأ رسالته إليَّ.. ياله من ماهر.. فأن تأخرت رسالتي عنه يوماً واحد يقيم الدنيا ويقعدها.

قال لي: "أختي العزيزة ريم أكتب رسالتي هذه وأنا بأشد الشوق إليك، لا أعرف ما هو السبب الذي دعاكي للتأخير بالرد على رسائلي الأخيرة أرجو أن يكون المانع خيراً.

حبيبتي الجميع هنا بأنتظارك وأمك تدعوا لك بالخير على الدوام.

البلدة تشتاق لك وأهل البلدة يهدونك السلام حتى مدينة دمشق كلها تتوق لرؤيتك ولمعانقتك.. أخبريني أين وصلت؟ أخشى أنك تجرين خلف السراب.

عزيزتي أرجوكِ عودي إلينا فأنت تبحثين عن المستحيل.. نحن أهلكِ وعالمكِ وكيانكِ فكري بالأمر وأخبريني بكل جديد عنكِ...".

المحب دوماً ((ماهر))

كنت أتأمل الرسالة وأتعمق بمحتواها.. كلماتها.. أسطرها.. تعابيرها ثم ضممتها إلى صدري وأنا أقول في سري: "آه يا ماهر.. ليتك كنت دمشق التي تتوق لرؤيتي وتشتاق لمعانقتي ليتك أنت من تتوق إلى كل ذلك وإلا وجدتني أعود إليك طائعة تاركة الماضي خلفي..

كنت ما أزال أحلم وأتخيل وأتمنى عندما دخلت جويل إلي تستعجلني من أجل الذهاب إلى العمل...

جويل لا تعلم بأني بعد قرأة الرسالة لم أعد راغبة بالعمل والذهاب إلى مكان أخر.

كنت أود الجلوس مع نفسي لبعض الوقت كي أفكر بمصيري في هذا البلد.

بالفعل ماهر محق فأنا لا أبحث إلاعن المستحيل ومع ذلك ما زلت مصرة على المتابعة فأنا جئت من أجل هدف معين ولن أعود قبل الوصول إليه.

ما هي إلا لحظات حتى فكرت بكتابة رسالة له فأنا الأخيرة أشتاق للجميع في البلدة.. ولكن هل أخبر ماهر بأنني أعمل في ملهى ليلي؟

لا لا مستحيل سيجن جنونه ويأتي ليعيدني إلى البلدة.

ماذا سيقول عندما يعلم بأني أتصدا لكل الإغراءات التي تقدم إلي؟

حائرة.. لا أكاد أجد نفسي بين تلك الحشود المتراكمة في الملهى..

كنت على وشك البدء بكتابة الرسالة عندما فاجأتني جويل بقولها:

ماذا تفعلين ألم ترتدي ثيابك بعد؟

ليست لدي الرغبة بالذهاب إلى العمل الليلة أشعر بتوعك..

عزيزتي أرجوكي لا تفعلي هذا بي اليوم الأحد والملهى سيكون مزدحم بالزبائن وهذا لن يرضي المدير هناك .

إذاً أنتظريني حتى أنهي كتابة الرسالة لأخي

تكتبها عندما تعودين هيا بدلي ثيابك بسرعة الوقت يمر هذا ليس من بمصلحتنا..

غادرنا المنزل ومازالت كلمات الرسالة التي سأخطها له عالقة في ذهني.. إنها جاهزة تماماً في رأسي ولم يبق إلا أن أخطها.

ولكن ماذا أسميه؟ ..أقول له ماهر.. أو أخي العزيز.. أو ربما سأقولها له وليقل عني ما يشاء.. سأقولها له ولن يمنعني أحد.. ولكن لا.. مازال الوقت مبكراً على قولها فأنا مازلت لا أعرف متى سأنهي رحلتي والبحث عن أهلي.. أو ربما البحث عن المجهول؟!

*****

أنهيت عملي وكانت الليلة حافلة جداً من حيث الزبائن والبقشيش بالفعل ذلك العمل يدرلي مالاً طائلاً استطيع من خلاله شراء ما أحب واشتهي ومع ذلك كنت أوفر فلا أصرف منه إلا ما يلزم للمنزل وللحاجة الشخصية نوعاً ما.

كنت متحمسة جداً من أجل كتابة الرسالة لماهر فما أن وصلت حتى جلست أخطها رغم تعبي وإرهاقي وحاجتي الماسة للنوم:

"أخي العزيز ماهر.. أشكر اهتمامك بي وسؤالك عني.. أطمئنك أنني بخير وبصحة جيدة لا ينقضي إلا وجودكم معي.. حبيبي مازالت طريقي طويلة وشائكة والعامين قد مضا بسرعة دون أن أصل إلى ما يدلني على أبي.

أخبرني كيف حال أمي وأبي وأخوتي والجميع هناك إنني أشتاق إليكم جميعاً.. أشتاق حتى لتراب بلدتي ولغرفتي العزيزة ونافذتها المطلة على الحديقة.. أشتاق لأيامنا الخوالي وأيام الطفولة أشتاق إليك وأنت قدوتي وحبيبي ومعلمي في هذه الحياة.

أشتاق لماضينا اللذيذ وذكريتنا الحلوة.. أشتاق للجامعة والرفاق تصور.. حتى وإن أغضبتك.. أشتاق حتى لمازن فذلك الشخص جعلني أعي تماماً كم كنت ساذجة وبلهاء وربما كنت سأكون سهلة المنال وأنت انقذتني من ضعفي وسذاجتي وغروري.. أنقذتني من سحره وخبثه ومكره..

أخي الحبيب راسلني على الدوام وأرسل قبلاتي للجميع وقل لأمي بأني ما زلت أحبها بجنون وما زالت أمي ولم أنس مطلقاً الخبزوالملح الذي أكلته معها والتنشئة الصالحة التي ربتني عليها.

إلى رسالة أخرى.. قبلاتي للجميع..

المشتاقة.. ريم.....

طويت رسالتي وكم تمنيت أن تكون رسالتي تلك مكالمة هاتفية تجعلني أسمع صوته وتخترق نبراته الحنونة مجرى سمعي وأحس حتى بحشرجة ألفاظه وتنهداته...

تعلمت أن أحفظ رسائله عن ظهر قلب وأن أحفظها بعيداً من جويل فأنا لا أنسى مطلقاً عندما لمحت جويل إحدى رسائل أخي وعرفت اسمي الحقيقي وعاتبتني فأضطررت يومها لسرد كامل قصتي على مسامعها وإني استخدمت اسم أمي كي أصل إليها أو إلى أبي وهذا مستحيل أكيد فكم فتاة أو امرأة

في لبنان تحمل اسم ميراي.. ربما أحببت لفظ الاسم لأنه يتناسب تماماً مع وجودي في بيروت وخاصة أنه اسم رائج جداً في المدينة.. ثم أنني أحببته كثيراً أليس اسم أمي؟

وعدتني جويل أن تحتفظ بسري وما زلت بنظرها ميراي التي ألتقت بها صدفة في الحافلة....

لكم نقمت على نفسي وكرهتها لأنني ما زلت مستمرة بالعمل في ذلك المكان لا أحترم وجودي فيه.. لا أشعر بالأمان.. كيف أشعر بالأمان وأنا أحس بأني أجر نفسي إلى التهلكة؟

كيف أحترم وجودي وأنا أرى الناس يشربون حتى الثمالة ويعبثون ويلهون.. و يا له من مكان.. إنه بيت الشيطان.

رغم محافظتي على نفسي وبراءتي فأنا أعيش على أعصابي أتحمل مغازلة هذا ومعاكسة ذاك وليس هذا فقد.. بل عليَّ أن أسكت إن تحرش بي أحدهن.. لا ضير إن لمس يدي أو قبلها.. أو حتى لمس مؤخرتي هذا لا يهم طالما سكوتي يدر على المحل أرباح كثيرة.. بالفعل أصبحت أخاف من وجودي في ذلك الجو المشحون بالمجون والفجور.. أخشى أن يجرني عملي إلى الهاوية مجبرة على بيع نفسي كما الأخريات.

كان المكان مكتظاً بالعابثين والضالين عن الواقع وكأن الناس تخلوا عن مبادئهم وباعوا أخلاقهم في سوق اللاخلاق وجويل ما زالت سعيدة لكل ما يحدث طالما أنها تجني هي الأخرى أموالاً ترفعها إلى مستوى الأثرياء.

اعتادت على نيل رضا هذا واهتمام ذاك وكأنها اتخذت من جمالها ذريعة تكسبها المال لتجمع أكبر عدد ممكن من الألاف كي تثبت لوالدها بأن الشهادة وحدها لا تطعمها خبزاً ولا تنتشلها من الفقر والهوان

الدولار أصبح مجدها والطموح الذي يجعلها تتربع على عرش سلطة المال والمجتمع المخملي سلطة تجعلها تائهة عن نفسها ، تغريها مباهج الحياة وملذات الدنيا تأخذها إلى عالم النشوة .

طوني وصديقه يصران على أن تخدم طاولتهما على الدوام وأنا أراقب المشهد من بعيد وكنت جد مستاءة من جويل التي تدوس على كرامتها وتقبل بتحرشات الشباب فقط لتكسب ودهم وربما مالهم

وكأن الإغراء أصبح وظيفتها الأساسية وأنا أخاف عليها من نفسها أحاول حمايتها من غفلة ربما تجرها إلى المجهول .

أراه يحمل يدها وتستقر للحظات داخل يده ثم يرفعها إلى فمه ويلتهمها بشراهة وهي ماذا تفعل ؟ لا شيء... لا شيء... لا تملك إلا أن تقهقه عابثة بمشاعر الأخرين كالأخريات تماماً .

كل يوم يبدأ المشهد بنفس الحوار بالنسبة لي أصبح مملاً للغاية سألتهما جويل : أتريدان شيئاً أخر ؟

رد طوني بإلحاح : نريد صديقتك أن تقدم لنا الشراب ..

تميل برأسها وتقول بغنج وهي تشير بسبابتها .. لا ...محال ... ماذا ؟ألا أفي أنا بالغرض ؟

يرد جمال مجاملاً إياها : ومن قال غير هذا ؟ عزيزتي أنت تعرفين بأنك أكثر النساء إغراءاً على الإطلاق في هذا

المكان ومع ذلك يحتاج الرجل للتغيير .. لا يمكنه أكل نفس الفاكهة كل يوم ثم إنني لا أصدق بأنها بريئة .. أصدقيني القول ألا تدعي النزاهة ؟

لا ... مطلقاً إنها لا تشبهنا بشيء وعليك من الآن فصاعداً لاتشبه النساء بالفاكهة ...هذه إهانة لنا... أعتذر... ألا تستطيعين استدراجها إلى هنا ؟

لا ... لا أستطيع إنها صديقتي لا يمكنني جرها إلى ما تريدانه أنتما الأثنان ... دعاها وشأنها أرجوكما...

اطلبي المبلغ الذي تريدينه ...

تبتعد جويل عنهما وهي تقول صديقتي ليست للبيع ثم تذهب لتلبي طلبات طاولة أخرى .

ما زلت أراقت جويل سرعان ما عادت إلى طاولة الشابين فأقترب طوني منها ولا أعرف ماذا همس في أذنها .

أصابني الفضول فوجدت نفسي أقترب من طاولتهما كما لو أنني أردت معرفة ما يخططان له بشأني .

قالت جويل : ما الذي يعجبك بميراي ؟

إنها مثيرة للغاية ... إنظري إليها تعجبني ساقاها الطويلتان .. رغم أنها هزيلة جداً ولكن هذا لايمنع أني أتمناها لنفسي لبضع دقائق .

فقال صديقه: ولماذا لبضع دقائق ... لا تخبرني بأن إعجابك بها فقط من أجل متعة مؤقتة كي تروي ظمأك وتنتقم منها لأنها لم تستجب لك .

بل أريدها أن تغمرني بحبها وعطفها لتطفئ رغبتي بهاوأنا أعشق تمنعها وكبريائها .

أعشق البريق الذي تحمله عيناها ولا ضير مطلقاً إن قبلت استضافتي في فندق أبي لبضع أيام .

قال جمال..يا عم يحق لك استضافتها وأنت إبن مالك الفندق .

يا رجل لم الحسد ؟ لا تنكر الرفاهية التي يحيطك بها أبيك أيضاً ومع ذلك إن حصلت عليها ولن أنساك أبداً يا صديقي .

أستاءت جويل من حديثهما وربما أحست بالغيرة مني وأنا صديقتها فأنا أعرف تماماً كم تحب طوني ومع ذلك أخفت استياءها .. أما أنا ما تمنيت في تلك اللحظات إلا أن أتحول إلى وحش كاسر كي أنقض عليهما وأنهشهما وأنسهما من يكونا فربما يعودان إلى صوابهما ؟

وهل كان يظنان بأني ربما أتنازل عن عزة نفسي وكبريائي وأنغمس في عالمهم الرخيص من أجل بضع دولارات ، أو حتى كي أحصل على صديق يحقق لي المتعة ولو عن طريق غير مشروع ...

أردت نسيان كل مادار أمامي وحمت حول الطاولات وجمعت الأكواب الفارغة دون أن أنبس ببنت شفة ... أصبحت أعلم الآن بأن وجودي مع جويل بمصلحتي ورغم

كل الصراعات التي كانت تضج في عقلي بدأت أحس فجأة بأن الحقيقة قريبة مني قرب هذاين الشابين .

مرت الأيام ثقيلة عليّ والفترة الأخيرة كانت تختلف عن كل الفترات خاصة عندما علمت حقيقة ما ينويه ذلك الشاب من أجل الحصول عليّ .

أقتربت من طاولتهما ووضعت يدي على الكأس كي أحمله غير أنني شعرت بيد طوني تضغط على يدي .

شعرت بالقشعريرة ... حاولت عبثاً تحريرها منه غير أني عجزت عن ذلك فسألته غاضبة : ماذا تريد مني ؟

أحبك وأريد إذابة الصقيع الذي سببه لي جفاءك وتمنعك .

أجبته ساخرة : أضرم النارفي جسدك صدقني حينها سيذوب الصقيع من تلقاء نفسه .

لا تسخري من عواطفي رجاءً أنا جاد بما أقوله لك .

أرجوك طوني دعني ... أنا هنا من أجل العمل لا من أجل العبث ...

حقاً... ولماذا يدك ترتجف داخل يدي إذاً ؟

ارتمت نظراتي على جويل حين احمرت وجنتاي خجلاً وربما خوفاً و جويل لم تفعل شيئاً سوى أنها شجعتني على التنازل لبعض الوقت عن كبريائي ثم غادرت وكأنها قبضت الثمن ..

ثم نظرت إليه ويده مازالت تضغط على يدي والكأس تكاد تتحطم وثم نظرت إلى قميصه ذو الياقة المفتوحة التي أبرزت سلسلة ذهبية تدلت من صدره الذي يكسوه الشعر الكثيف وشعور غريب أخذ يسري في أنحاء جسدي .. ثم خمدت نظراتي لوهلة حتى أحسست بأن ضغطه على يدي وكلماته وكل ما كان يفعله يسكرني تماماً ويأخذني إلى عالمه الغريب وأنا لم أذق طعم النبيذ يوماً ولا طعم الخطيئة ..

ألم أعش تلك اللحظات مع أنور حتى كدت أستسلم وأنسى نفسي تحت ضغط ذراعيه ... ألم تذيبني لمسات مازن وقبلاته حتى جعلتني أتلاشى تماماً وأنا بين ذراعيه هو الأخر.

نظراته تخترقني ... تتفحص كل جزء مني وأنا في نظره فتاة ليل ليس إلا مجرد دمية مجردة من المشاعر والأحاسيس ، دمية يشبع بها رغباته ويقضي حاجته ...

فوجئت به يخرج رزمة من المال من جيبه ويضعها امامي على الطاولة ثم رمقني بنظرة ماكرة ولكنها لم تكن أمكر من نظراتي أنا ؟ قوست حاجبي وسألته بغضب : ماهذا ؟

خذي من هذا المال ما شئت ولكن امنحيني عطفك وشاركيني هذه الرقصة أو بشرب كأس .

اسمع .. أنا لست للبيع ومشاعري وعواطفي ليست ملكاً للزبائن ثم إنني لا أجيد الرقص ولا أشرب وضع في بالك بأنك ليس بهذا المال بل بأموال الدنيا وكنوزها لن تستطيع شرائي لا أنت ولا سواك .

أرجوك لا تغريني بالمال لأنني من الزاهدات بملذات دنياك ومباهجها .

إذاً لماذا تعملين هنا ؟

لي حاجة هنا في بيروت وما أن أنتهي حتى أعود إلى بلدتي التي أحبها .

أذاً ما رأيك لو أنتشلتك من هذا المكان القذر و أمنحك عملاً نظيفاً في فندق أبي ... ؟

لم أرد عليه بل أستغربت عرضه ومع ذلك قال لي :

فكري بالعرض الذي قدمته لك ... المكان هناك يناسبك كثيراً على الأقل العاملين فيه جميعهم محترمين ..

هذا جل ما اتمناه فالمكان هنا يشعرني بالخوف والأشمئزاز ما يصبرني على العمل هنا إلا المال الذي أكسبه لمساعدة جويل في أجرة المنزل و المصاريف الأخرى .

لن يضايقك أن تعملي نادلة في مطعم الفندق والمسؤولة عن ترتيب حجرات النزلاء ... إنه عمل شريف وسيعجبك .. لا كحول .. لا تحرشات ما رأيك بهذا العرض .؟

لم لا تدعني أفكر ؟

خذي وقتك ، ثم أخرج من جيبه كرت دون فيه اسم الفندق وعنوانه وقدمه لي وهو يقول : هذا الكرت فيه أرقام هواتفي والعنوان إن شعرت بالرغبة في العمل هناك اتصلي

على إحدى هذه الأرقام .

ولماذا أتصل بك وأنت من زبائننا الدائمين هنا .. يمكنني إعلان موافقتي لك مباشرةً .

ضحك طوني على حين اقتربت جويل من الطاولة وصاحت :

يا جماعة علينا المغادرة هذا المكان حالاً .

سألتها: لماذا ؟

جريمة قتل حدثت خارج الملهى .

من القاتل ومن المقتول صاح : طوني ...

لا أعرف الشرطة بطريقها إلى هنا لذلك لا نريد أن نتعرض للسين والجيم يجب أن نغادر.

فقال طوني : إذاً لن أترككما وحدكما تعاليا كي أوصلكما بسيارتي إلى منزلكما هيا ...

ثم بلحظة وجدنا نفسينا خارج الملهى وبالقرب من سيارة طوني ترددت قبل أن أفتح بابها وأدلف إليها .. كنت ما أزال لا أثق به ولكنني خفت إن بقيت هنا أن أتعرض للمسائلة والتحقيق في جريمة لا ناقة لي فيها ولا جمل .

*****

## "عالم أخر"

الحياة بالنسبة لي تغيرت ... تركت الملهى المكان المشبوه وعملت في الفندق ولم أقبل العمل في إلا إن عملت جويل معي وهذا ما وافق عليه طوني .

فالمكان هنا أكثر أحتراماً حتى جويل باتت أفضل من ذي قبل ..

على الأقل انتشلنا طوني من أعماق اليم قبل أن يجرفننا التيار إلى الهاوية .

لم لا إن كانت جويل قد أصبحت قريبة جداً من حبيبها وستراه في الوقت الذي تريده حتى أنا وجدت لنفسي الملجأ الأمن .

وجودي في الملهى كان يغرقني في بحر شهواته ويسرقني من نفسي وينسني الهدف الذي من أجله جئت إلى بيروت ... إنه عالم يجعلنا نذوب في أحضان ملذاته طائعين ويجرنا قسراً إلى عالم الرغبة وربما إلى أحضان الخطيئة .. الأيام تمضي والوقت الذي يمر يسرق أجمل سنوات العمر والعامين قد مضا دون أن أحقق شيئاً ولكنني لا أنكر بان مرورها أشعرني بالنضج وأصبحت أكثر إدراكاً لأمور كثيرة حدثت في الماضي حتى طوني الذي كان يضايقني في الملهى ويراودني عن نفسي أصبح صديقاً لي ولكنني أتضايق من غيابه المتكرر عن الفندق كون يترك العمل على عاتق والده المسن فذالك الأبن المدلل يجد من يشجعه على أرتكاب المعاصي وقضاء أكثر أوقاته في أماكن اللهو والسهر بأعطائه المال وتركه يعيش على حريته والنساء من حوله يستغلن هذا الجانب فيه .

يفرغن جيوبه من المال والمبادئ ويقدمن له المتعة وهو مسكين بالفعل لا يملك إلا أن يتعرى من مبادئه وأخلاقه وثيابه ليلبسهن .

لاخير عند أولئك النساء على الأطلاق إن لبسن طوني لبعض الوقت ثم يخلعن عنهن ذلك اللباس ليبحثن عن لباس أخر في عالم أخر ، لباساً يحقق لهن تجارة رابحة تكسهن المال وتجعلهن ينغمسن أكثر فأكثر في غمار الشهوات وطوني لم يدرك مطلقاً بأن ذلك اللحم الرخيص قبل أن يلبسه لبسه غيره.

يسير خلف رغباته المجنونة ويترك صديقه يتحكم بمصير الفندق مع والده المسن وكأن جمال أصبح الأبن الأوحد لوالد طوني ؟

يقوم بأدارة الفندق ويمسك حساباته يتصرف كما لو كان المالك الأساسي وطوني ساهي تماماً عن كل ما يجري أمامه .

بعد تعب نهار طويل صعدت إلى حجرتي متثاقلة وأول ما تمنيته بعد دخولي الحجرة هو أن أرمي بجسدي المنهك فوق السرير وأمدد ساقاي المتعبتين وأسلم عيني لسلطان النوم ، فلا أحلا بالنسبة لي من ساعة أخلو بها إلى نفسي ومع ذلك خاب ظني ولم أستطع حتى النظر إلى سريري لأنني شعرت بجويل تجلس وحيدة في الشرفة ... كانت تبدو تائهة تماماً عن نفسها.

لم تشعر بدخولي الحجرة غير شاعرة بمن حولها ...

بقيت للحظات أنظر إليها قبل أن أدخل إلى الشرفة لأسألها عن سبب حزنها وشرودها .

دخلت إلى حيث تقف ووضعت يدي على كتفها من الخلف وسألتها :

جويل .. ما بك ؟

التفتت إليّ وقد حبست في عينها دموعها اليائسة وقالت :

أنت هنا ...؟

أجل .. دخلت ولم تشعر بدخولي ؟ ما بك ؟

لا أدري لماذا أصبحت أحس بأن هذه الحجرة تضيق بي .. كما لو أنني أتخبط في ظلمات هذا المكان ... أشعر بالوحدة والقلق واليأس كل هذا ...؟

ماالسبب ؟

أحس بالصمت يمزق أحشائي ويحرقني من الأعماق .

صمت ... وفي هذا الفندق الذي يعج بالناس ؟

أكيد أنت تتكلمين عن مكان أخر فهذا المكان تملئه الضجة على الدوام ... جويل لم لا تأخذي إجازة تقضيها في بلدتك بين أهلك ؟

أقضي إجازتي بين أهلي ؟ هل جننت ؟ أنسيت بأني تركت الجامعة وهم لا يعلمون ؟

ولكنهم سيعرفون في النهاية ... إنه واقع عليك تقبله ...

سأكون وقتها قد كونت نفسي وحسنت وضعي المادي وأخترت لنفسي رجلاً أتزوجه .

جويل ... أصدقيني القول : أتحبين رجلاً غير طوني ؟

لا ... ومع ذلك لا يأبه لمشاعري على الأطلاق ..ألم تريه اليوم ؟

لا .. لم أراه .. صديقه جمال ينوب عنه في العمل ووالده غاضباً جداً .

ذلك المجنون أحبه ولا أستطيع نسيانه وأنا أعلم بأنه ليس رجلاً صالحاً ولا يعتمد عليه ومع ذلك أهيم شوقاً به .

ولكنه لا يحبك ....

لا تلوميني على حبه فأنا عندما أراه أضلعي جميعها ترتعش ونظراتي تغوص تماماً في سحر جاذبيته... فذلك البريق الذي يلمع في عينيه الزرقاوين لا أملك إلا أن أكون أسيرة له ... تسحرني لمساته وهمساته ... نظراته تشعرني لا أدري بماذا أدوخ ... وأسرح حتى بدخان سيجارته المتصاعد .. كلما رأيته قلبي يهتز ومشاعري ترتجف ..

أفهمك جويل لكنه لا يفكر فيك أفهمي هذا .. لا تعلمين عدد النساء من حوله ... إنه معتاد على الإبحار في عالم النشوة والمجون .. هذا النوع من الرجال لا يمكن أن يتزوج في يوم من الأيام وإن فعلها لن يستطيع العيش بدون خيانة ... كل شيء فيه أعتاد على ذلك فهل تقبلين على نفسك أن يتزوجك اليوم ويقوم بخيانتك بعد أيام . ؟

لا ... ولكنني لا ألومه ولا ألوم الرجال أمثاله لأنهم ينساقون راضين أو مجبرين إلى الخطيئة فالنساء حولهم يستعملن إغراءهن بأبراز المفاتن التي تلهب حواس الرجال ومشاعرهم وطوني كغيره من الشباب ليس ملكاً .. إنه ضعيف أمام تلك الإغراءات ولكنني واثقة إن تزوجنا بأني سأحوله إلى رجل أخر يختلف عن طوني الذي تعرفينه .

جويل أرجوك كوني منطقية فلا أنا ولا أنت نستطيع تغيير الواقع فمن شب على شيء شاب عليه .

تركتها وحيدة مع أحلامها تلملم أذيال الخيبة ودخلت إلى الحجرة كي أنام ثم ماهي إلا لحظات حتى رأيتها تدخل هي الأخرى لتدس نفسها داخل سريرها وسرعان ما سرقها النوم من كل ما كانت تحسه بينما دموعها تتدحرج من عينها بصمت .

أشرقت شمس الصباح بنورها الوهاج فأستيقظت من نومي واتجهت من فوري إلى النوافذ لأريح عنها الستائر .. ثم دخلت إلى الشرفة وفتحت نافذتها ورميت نظرة إلى الشارع ... لمحت زحمة السيارات والناس وفجأة تذكرت بأني أشتاق لأشعة الشمس المتلالئة في البلدة وإلى الأجواء الحميمة والهادئة ... أشتاق للماضي بكل ما فيه .

عدت إلى الحجرة وإذا بجويل ما تزال تغط في سبات نوم عميق .

جلست إلى جانبها وأخذت أهز كتفها وأحثها على الأستيقاظ وبعد تكرار المحاولة فتحت جويل عينها فلاحظت شحوب وجهها ... أقلقني مظهرها وسالتها بلهفة : جويل ... ما بك ؟

لا أدري أحس بأن صدري ينكمش .. لا أظنني أستطيع النهوض من السرير اليوم خذي لي إجازة وخذي دوري في العمل اليوم .. الحجرات تحتاج إلى التنظيف وتبديل الشراشف .

جويل ... يجب أن يراك طبيب .

أرجوك أنا بخير مجرد إرهاق .. واثقة أنه سيزول إن أرتحت بعض الوقت ... اليوم سأذهب إلى الكنيسة كي أصلي هناك عندها سأشعر بتحسن .. لم أذهب إلى الصلاة منذ فترة طويلة ..

لا بأس سأخرج الآن وأخبر الإدارة بانك متوعكة وسأقوم بالعمل بنيابة عنك أستريحي وعودي إلى النوم سأتي عندما أنتهي .

ربت على كتفها ونهضت أبدل ملابسي على عجل .. وبعد أن انتهيت ألقيت عليها نظرة وقلت لها : سأطلب لك كوب من البرتقال أو الليمون .

خرجت من الحجرة وكنت أعلم بأن مهمتي كانت شاقة ولكن كان يجب أن أقوم بالعمل نيابة عنها.

قمت بجولة سريعة في الحجرات ... كان عليّ تنظيف الحمامات وتغيير أغطية الأسرة وتنظيف سلال القمامة ونقل الأوساخ إلى الخارج ومسح أرضية الغرف وترتيب الأسرة .

اشمئزيت من كل ذلك .. ما كنت لأنظف غرفتي حتى أتي وأنظف غرف الآخرين ... ليس هذا فقط ... وحماماتهم أيضاً ؟

نظفت الحجرة وحملت الأغطية كي أنتقل إلى حجرة أخرى فألقيت كل ما كنت أحمله على الأرض ونزعت غطاء السرير وثم رتبته بغطاء نظيف أخر وألقيت نظرة على سلة القمامة وإذا بها فارغة حتى من المناديل الورقية أخذت نفساً عميقاً وقلت :

الحمد لله يبدو أن صاحب هذه الحجرة مهذباً أكثر مما يجب كما لو أنه لم ينم في حجرته .. حملت الأغطية وكنت سأهم بالخروج منها على حين فوجئت بشخصٍ يخرج من الحمام ... أصابني الفزع حين نظرت إليه وقد كان نصف عار يلف خصره بمنشفة بيضاء... شهقت وغضضت من بصري .. أحسست بالخجل والرعب وسرى الأرتعاش في أنحاء جسدي فأوقعت كل ما كنت أحمله بين يدي .

حاولت الهرولة مسرعة نحو الباب كي أهرب من ذلك المشهد المجنون والمخزي غير أنه بسرعة جنونية وجدته يسبقني إلى الباب ويقف في طريقي كي يمنعني من الخروج .

رشقني بنظراته المتفحصة فلمحت الشهوة تتراقص في عينيه .. ابتلعت لعابي ووجدت لنفسي الجرأة من مخاطبته بكلمات متقطعة خائفة ... خجلة ... طوني أرجوك دعني أخرج جويل مريضة فقمت بالعمل نيابة عنها لم أكن أعرف بأنها حجرتك .

أستهتر بتوسلي وقال : لا يهمني .. عزيزتي أخيراً جئت إليّ بنفسك .

ماذا تقصد ؟ قلت لك لم أعرف بأنها حجرتك ؟

بلحظة مرعبة انتابني وجدته يقترب مني ببطء .. جاعلً أوصالي ترتعد وقلبي يكاد يتوقف عن الخفقان وقدمي فقدتا السيطرة تماماً وهو مازال ينظر إليّ يتأملني ... يدرس ملامحي .. يحفظ كل شيء في وجهي يدقق النظر في فمي وكأنه يريد الأنتصار عليّ .. فيغريني بنظراته ويتوسلني كي أذوب وأركع تحت قدميه وأعطيه كل ما أملك .

وجدته يجذبني إليه بطريقة وقحة أدخلت الرعب إلى قلبي فتسللت إرتعاشة قوية إلى جسدي ... تلاقت نظراتي الخائفة بنظراته الحادة التي تنم عن رغبة قوية بأفتراسي .. ثم تاملت شفتيه المرتعشين

فتسرب الرعب إلى أعماق أعماقي وفي الوقت ذات الوقت تسللت أصابعه إلى عنقي ثم عادت نحو ذقني مروراً بشفتي اللتين أصابتهما حما مفاجأة تمادت أصابعه حين وصلت إلى أرنبة أذني تداعبها ثم إلى عنقي من الخلف ... ثم جذبني إليه من شعري فهويت رأسي إلى الحائط محاولة التملص منه غير أنه أقترب وقبل عنقي فحاولت جاهدة الهروب و التخلص من قبضة يده ومع ذلك هزمتني قوته فأستطاع أن يضع شفتيه على شفتي ويقبلني قبلة طويلة جعلتني أشعر بالذل والإهانة .

ضعفت أمام قبلته تلك هزمتني .. أجل هزمني ... هزم كياني حطم كبريائي .. زلزلني من الأعماق .

كدت أتلاشى تحت ضغط ذراعيه التي تحتويني بقوة حتى الذوبان .

شعرت برغبة قوية بالهرب من ذلك الإحساس المرعب .. من رجولته القوية من الالتصاق الذي يحيطني به .

إنه يملكني تماماً ولا يترك لي مجالاً حتى لأتنفس ..

كدت أذوب بالفعل تحت ضغط لمساته وسحر همساته واستسلم له استسلاماً كاملاً ...سحقاً لي ومن ضعفي ... ومن قلة حيلتي ... ماذا أفعل ؟ .. إلى أين أهرب ؟

سرعان ما أحسست بأن الدنيا تدور بي وغشاوة قاتمة السواد غطت عيني وحمي مفاجئة أصابت جسدي فجعلت راسي يتهاوى وجسدي يسقط من بين ذراعيه لأغيب تماماً عن الوعي كمالو أن لمساته المحرقة خدرتني بأفيون رغباته الجامحة ...

مرت الدقائق بطيئة .. بطيئة ثم لا أدري كيف أستريديت وعي فخرجت من حجرته وكنت منهارة تماماً أتعثر في خطواتي وأبكي بحرقة .

لم أكن لأتصور بأن شخص كهذا يذلني كل هذا الذل وأنا أقف ضعيفة لا حول لي ولا قوة ...

ما زلت أركض مسرعة حتى كاد قلبي يتوقف لشدة الرعب ودون أن أعي ما أبصره أمامي ارتطمت بأحد النزلاء وأوقعت كل ما كان يحمله بين يديه وسرعان ما مسحت تلك الغشاوة عن عيني لأنظر إليه وإذا به شاب وسيم أنيق المظهر والهيئة فارع الطول ...نظرت إليه وإذا به يمسكني ويمنعني من السقوط على الأرض إلا أن ارتباكي ذاك لم يمنعني من التهذيب فوقفت معتدلة واعتذرت له فأخرج من جيب سترته منديلاً ومسح دموعي وسألني عن سبب بكاءي ...

فلم أجد الإجابة ... حررت نفسي منه وأخذت أجري مسرعة نحو حجرتي بينما ظل الشاب ينظر إليّ حتى غيبني الممر الذي اصطفت الغرف على جانبيه وقبل أن أدخل الحجرة لمحت طوني يخرج من حجرته وهو ينفث دخان سيجارته وابتسامة ساخرة علت وجهه .

دخلت إلى الحجرة واتجهت مباشرة إلى الشرفة وما زلت أبكي بمرارة .

نهضت جويل من سريرها متثاقلة واتجهت نحوي ببطء وسألتني :

ريم ... عزيزتي ما بك ؟

السافل طوني حاول التمكن مني وما أنقذني منه إلا غيابي عن الوعي .

ماذا .. أكان طوني هنا ؟

أهذا ما يهمك؟ إن كان طوني هنا أم لا ؟ لماذا لم تخبريني بأن طوني يقيم في حجرة قريبة من حجرتنا ...

صاحت جويل غير معقول أن يفعلها طوني ...

لا بأس لم يفعلها أنا أكذب، أنت مجنونة فحبك له قد أعماك تماماً عن حقارته وسفالته ...

لم أكن أعلم بوجوده هنا ...

السافل فوجئت به يخرج من الحمام وهو شبه عاري ...

ولكنه وعدني أن يكون مخلصاً لحبي ووفياً إلى الأبد ...

مسكتها من كتفيها أهزها ... علها تستيقظ من غفلتها وصحت بها.

وعدك بماذا أيتها البلهاء ... ثم من هو كي يعدك ويفي بوعوده ؟ إنه نكرة أقول لك حاول اغتصابي وما أنقذني منه إلا إغمائي وغيابي عن الوعي .

وضعت جويل رأسها بين كفيها وأحست بالأنهيار للحظة ثم قالت والدموع تملأ عينها :

يا لغبائي وسذاجتي .. صدقته لأني أحبه .

ما الذي جعلها تهاروتتوه عني وعن نفسها .. ماذا فعلت بنفسها تلك الغبية .

نظرت إليها وانا أهزها من كتفيها من جديد وصرخت: لا .. لا تقولي بأنه أغتصبك أنت الأخرى؟؟

وفاجأني ردها حين قالت وهي تبكي: طوني لا يغتصب أحد فإن أحب فتاة أو أرادها لنفسه ينتظرها إلى أن تسلمه نفسها طائعة باسم الحب والوفاء لذلك الحب وانا سلمته نفسي باسم حبي له ... طائعة .. بأدراتي أحبه لذلك أعطيته ما يريد .

تركتها وأنا أنعتها بالغبية والحمقاء ثم قلت لها :

كيف تفعلين هذا بنفسك وكلانا نعرف نواياه وما قبلت العمل في الفندق إلا لتثقي بأنني أستطيع حماية نفسي منه ومن أمثاله ... ماذا دهاك لترخصين نفسك .. كيف هانت عليك عفتك واستسلمت له ؟

ريم دعينا من هذا الكلام الآن اخبريني ماذا سأفعل ؟

سأقتله ذلك المنحط.. لقد أذلني ...

قتله لن يعيد إليّ عفتي ولن يعيد إليك كرامتك ...

سأقدم شكوى ضده وستخضعين للفحص الطبي وقتها لن يستطيع النكران سيتعفن في السجن ومع ذلك سجنه لن يشفي غليلي .

تقدمين شكوى من أجل من... أنا سلمته نفسي وأنا فوق السن القانوني والقانون لا يحمي المغفلين.. أنا من ذهبت إلى حجرته وليس هو من أتى إلى حجرتي لن تفيدنا الشكوى ... بل ستسبب لنا الفضيحة ليس إلا.

غادرت الحجرة وأنا غاضبة منها ... تركتها تقف حائرة تائهة عن واقعها .

أيقنت بعد فوات الأوان بأن حبيبها خدعها بوعوده الكاذبة وآماله الخلابة ولكن كيف أستطاعت تصديقه وهي تعرف من هو حق المعرفة .

أية رغبة مجنونة تلك التي جرتها إليه بقدميها لتقدم له جسدها ... كيف جعلت من نفسها لعبة بين يديه .

هاهي تشعر بالنقص وقلة الحيلة .

بالفعل أحس بأني فقدت الثقة بمن حولي وأصبحت لا أجد القدرة على خدمة الزبائن وكأن القدر أعطاني دوراً تمثيلياً علي تأديته وأنا غير راغبة بذلك .. لم يعد يهمني أن أجد أبي أو أمي فكرت فقط كيف .

يمكنني النجاة من ذلك الحصار الذي وضعت نفسي فيه .

أمام جويل فقد أمسا فؤادها ضائعاً حين قادت نفسها إلى رغبة مجنونة أخذتها إلى عالم المتعة لتعيش بعد ذلك عمرها كله نادمة لأنها صدقت الحب وتنازلت لجبروته فصنعت من جسدها لعبة بين يديه .

بدات أخاف وأتساءل : ترى سأكون لعبة بين يدي من؟

*****

## " وليد "

لمحته في بهو الفندق وفنجان قهوته على الطاولة بينما جريدة تغطي وجهه .

أزاح الجريدة عن وجهه ليتناول فنجان قهوته وقبل أن يرتشف منه رشفة وقعت نظراته عليّ ... ابتسمت له فحياني برأسه تحية ارستقراطية ..

كنت على وشك مغادرة المكان حين تذكرت بأني لم أشكره على صنيعه معي حين مسح دموعي ... وجدت نفسي مجبرة على العودة والأقتراب منه وحين أحس بأني أتقدم نحوه طوى جريدته وعاد ليرتشف القهوة .

اقتربت منه وشبكت أصابع كفي واسدلتهما فوق ثوبي الأنيق وأنا أقول: سيدي هل تسمح لي بالجلوس ؟

رشقني بنظرة فاحصة متأملاً ثوبي الجميل وهو يشير إلى المقعد المقابل لطاولته كي أجلس ، جلست دون أن أنبس ببنت شفة فأعاد فنجانه إلى الطاولة وسألني :

كيف حالك ؟

الحمد لله .. بخير... أردت أن أشكرك على موقفك النبيل معي ...

لم أفعل شيئاً ...

بل فعلت ... كنت تائهة وخائفة ولا أعرف أية قدرة إلهية تلك التي أنقذتني منه وأنت من منعني من السقوط يومها ...تذكر ؟

لا عليك ... الله مع الجميع .. ولكن ماذا تعملين هنا ؟ أنا رأيتك أكثر من مرة هنا ...تعملين نادلة أليس كذلك ؟

أجل ...أعمل هنا لأنني لا أملك مكاناً أخر ألجأ إليه وأنا وحيدة في هذا البلد ..

ساد الصمت لبعض الوقت بينما ظل يتأملني .. لا أدري لماذا كنت أحس بالأمان وأنا أجلس قبالته والطمأنينة غزت قلبي حين لمحت الصدق في عينيه ثم نهضت وعرفته على نفسي :

( ميراي )

نهض هو الأخر احتراماً لي ومد يده يصافح يدي وهو يقول:

وليد .

ثم قال: أحس بأنك أرتحت لي وبداخلك أشياء كثيرة تودين مناقشتها معي سأكون صديقك الوفي إن رغبت بذلك ؟

بالطبع أرغب أنا أيضاً رأيتك أكثر من مرة في هذا المكان .

ما رأيك لو نتناول القهوة خارج هذا المكان غداً ؟

أبهذه السرعة تدعوني ؟ أو تظنني أوافق ؟

لك حرية الرفض لن أغضب .. أحببت رفقتك .. على فكرة أنا أكتب رواية .. من يدري فربما رفقتك تساعدني على إيجاد نهاية جميلة لها .

إندهشت وأنا أصيح .. واو .. أأنت كاتب؟

إنها تجربتي الأولى في فن الرواية ..

أتمنى لك التوفيق ..

ماذا بشأن عرضي لك ؟

لا بأس أوافق سأنتظرك هنا غداً عن الساعة الثامنة اتفقنا ..

مد يده لمصافحتي من جديد وهو يقول : يسعدني ذلك اتفقنا ..

غادرت المكان والسعادة تغمرني .. وفجأة راودتني أحاسيس لذيذة أحسست بأن وليد سيفتح لي أفاق عالية .. سيخرجني من وحدتي ومحنتي إن استمرت صداقتنا .. لن أكون وحيدة في عالم لا أعرف فيه أحد ..

أعجبتني صداقته أرتحت لوجوده .. يختلف كثيراً عن الرجال الذين عرفتهم .. هو وحده من كانت نظراته نظرات احترام لا نظرات شهوة .

ضعنا وسط الزحام فالمدينة مكتظة بالمارة والسيارات .. أحسست بالخوف وكم خشيت أن تتعرض سيارة وليد إلى حادث اصطدام .

لاحظ وليد خوفي وقلقي من ذلك الإزدحام فضغط يده على يدي ليشعرني بالآمان وهو يقول : ما بك .. لم تصعد سيارة مع أحدهم من قبل ؟ ألم تمر بأزدحام كهذا ؟

بصراحة .. لا ... إنها المرة الأولى التي أركب فيها سيارة مع أحد وحدي .. لم أعتد على هذه الزحمة لأنني ولدت ونشأت في بلدة صغيرة .

ضحك وقال غير معقول .. هذه المرة الأولى التي أرافق فيها فتاة لم تركب سيارة مع أحدهم رغم جمالها وجاذبيتها .. معقول ؟

أنا لا أكذب ... مطلقاً ...

لا تخافي فالأزدحام هنا في شارع الحمراء ليس بجديد علينا إنها عادة كل يوم فالأكثرية هنا في لبنان يملكون سيارات وهذا ما يجعل الشوارع مكتظة بالسيارات وتغزوها

الزحمة بهذا الشكل .

مرت لحظات الخوف على خير مايرام حين اخترقنا الزحام ونجونا من زعيق السيارات وصريخ الناس .

ووصلنا إلى حيث أراد وليد أن نكون .. جلسنا في مكان أنيق وجميل وصوت الموسيقا الكلاسكية يعبث في أسماعنا ويدغدغ مشاعرنا والألحان العذبة التي تنساب من أنامل العازفين ملأت جو المكان سحراً وجاذبية .

ولكن لم تستمر سعادتنا طويلاً لأن وليد تنبه فجأة لوجود طوني وصاحبه جمال في المكان يجلسان على طاولة لا تبعد عنا سوى خطوات قليلة فقال وليد بغيظ .. سحقاً ماالذي أتى بهما إلى هنا؟

نظرت إليهما والغضب أخذ مني نصيبه فرحت أصك على أسناني حتى كدت أكسرها وقلت بينما أعض شفتي السفلى .. ماهذا الحظ أراهما في كل مكان أكون فيه ... وهذا المكان لا يناسبهما لأنهما اعتادا على ارتياد الملاهي الليلية وما شابه .

دعك منهما .. هل تريدين إغاظتهما وإثارة غضبهما ؟

طبعاً أريد ولكن كيف ؟

بأن نهض ونرقص معاً على أنغام هذا اللحن الشجي ..

نظرت إليه مستغربة جرأته وتساءلت : من اللقاء الأول يطلب مراقصتي ومع ذلك لم أرد عليه لا بالنفي ولا بالقبول فقال على وجهه إبتسامة خفيفة أنت حرة أردتك أن تثيري غيظهما ليس ألا .

نظرت إليهما نظرة خاطفة ومازالا ينظران إليّ وتكاد نظراتهما تقتلعني من جذور كياني ثم التفت إلى وليد متحمسة وأنا أقول له : لا بأس إن كان هذا سيغضبهما ويثير غيرتهما .

رأيت وليد ينهض من على كرسيه ليقترب مني باسطاً ذراعه كي أرافقه إلى قاعة الرقص لنذوب معاً في عالم الألحان العذبة المنسوجة بتاريخ حب لم يبدأ بعد .

بينما المكان يعمه الصمت إلا من صوت الموسيقا الهادئة رشقت طوني بنظرات خاطفة فأيقنت بأنه يتلظى من الغيظ والغضب يكسو وجهه ثم عدت إلى وليد أهمس في أذنه .. أنظر أظنك نجحت بأغاظة طوني .

هذا رائع اقتربي مني أكثر ليستشيط غضباً .

مرت اللحظات وما زلت على نفس الحال على حين سألني :

ما رأيك برحلة إلى الشاطئ غداً .. ؟

تأملته وعدت بتفكيري إلى الوراء .. إنه حوار كنت قد قرأته في قصة ما لا أذكر ما أسمها .. فقلت له مكملة حواره ..

ونسير معاً وهناك تشرد أفكارك وأرحل إلى عالمك بينما الأمواج تتلاطم والأطفال يلعبون على رمال الشاطئ ويصنعون أشكالاً متعددة ..

فقال : هناك إفعلي ما تشائين ..

أخاف أن تجرفني عواطفي فأنسى الهدف الذي جئت من أجله ..

إذاً أنت هنا في مهمة معينة ؟

أجل مهمة البحث عن والدي ..

لاتقولي بانك ممن شردتهم الحرب أوائل الثمانيات ؟

لا ... قصتي لا تمت للحروب بصلة ما هي إلا حرب مجتمعات وإختلاف في الديانات والطبقات .. إنها حكاية طويلة سأقصها لك يوماً وليد لم لا نعود إلى طاولتنا .؟

هز رأسه موافقاً ... ثم ماهي إلا ثوان حتى استقرينا في مكاننا وطوني وصديقه مازالا يراقبان تحركاتنا معاً وهما يستشيطان غضباً في الوقت ذاته جاء النادل يسألنا عما نريد شربه ؟

نظر وليد إليّ يسألني: ماذا أشرب.

نظرت إليه وإلى النادل وقلت: إذا سمحت بيرا من غير كحول فطلب وليد مثل ما طلبت .

غادر النادل المكان فتلفت حولي مشمئزة ثم عدت إلى وليد وقلت له ...

تصدق إن قلت لك باني لم أعتد الدخول إلى أماكن كهذه ؟

طالما أنت في بيروت ستعتادين على الأمر..

تعلم .. لقد كنت قبل عملي في الفندق اعمل في ملهى ليلي وكانا هذان الشابان من رواده الدائمين..

لا أصدق ... فتاة مثلك تعمل في ملهى ليلي .. ؟

بل صدق ...

لم أكن راقصة أو مغنية ... أو بائعة هوا .. كنت اعمل على البار وأقدم النبيذ إلى الزبائن.. لا حظ .. أقدمه للزبائن ولا أشربه ..

كان يعذيني أن أعمل في مكان خصص للهوى والعربدة مكان امتلأ بالنساء التي تفوح منهن روائح العطر والميوعة .

كنت ألعن نفسي في الليلة عشرات المرات كلما رأيت النساء والرجال يترنحون على بعضهم البعض من شدة تاثير الكحول عليهم مناظر مقرفة إلى حد جعلني أشعر بالذنب كوني أنا من كنت أقدم لهم تلك المشروبات ..

ميراي لم لا ننسى أين كنا بالأمس؟ نحن أبناء اليوم أليس كذلك ؟

أنت محق ...

نظرت إلى الناس من حولي ثم تذكرت بأن أمي كانت تعمل نادلة في مطعم فالتفت إلى وليد وقلت له : تعلم ... أمي كانت أبنة هذه المدينة ... كانت تعمل نادلة في مطعم وهناك تعرفت بأبي وهو سوري

الجنسية وهي لبنانية الأصل، تخيل باني أبنة لرجل مسلم وإمرأة مسيحية؟ أمي تركت أهلها وعالمها وتخلت عن دينها بسبب الحب .

هذا رائع .. تبدو قصة مشوقة ...

ليس كثيراً لأن والدي هجرها عندما علم بانها تحمل بي .

عشت وترعرعت في كنف عائلة ريفية المنشأ أحاطتني بالحب والرعاية حتى أصبحت بهذا العمر وعرفت الحقيقة عن طريق الصدفة ..

تركت أمي قبل مغادرة البلدة رسالة لي خطتها قبل خروجها من المنزل وصورة لأبي وصوراً أخرى لهما معاً وسلسلة ذهبية مع هذا السوار.

ثم بسطت يدي على الطاولة كي يراه عن قريب .

هذا ما تركته لي أمي قبل خروجها كي تبحث لي عن هوية ولم تعد حتى الآن .

ووالدك ماذا عنه ؟

لا أعلم عنه شيئاً هو الأخر .. أرادتني أمي بقوة وتخلت عن حبه وحكمه وجبروته فتركها لقمة سهلة بين أنياب الذئاب .

أتمنى العثور عليهما ... بالفعل قصتك حزينة ومشوقة بنفس الوقت .

عاد النادل بالشراب وقبل مغادرته طلب وليد منه أن يعد لنا مائدة عشاء تملأ الطاولة بما لذ وطاب ..

سألته : هل أعتدت الحضور إلى هنا ..؟

أجل ... أجل أحب هذا المطعم يعدون فيه أنواع فاخرة من الطعام.

غادر النادل المكان وفوجئنا كلانا عندما أقترب جمال من طاولتنا.

لم نقل له شيئاً أنما راقبناه وهو يرشقنا بنظراته الحاقدة ثم أنحنى ووضع يده على الطاولة وهو يقول :

أرى أنك لا تبددين الوقت ...تبدلين الأشخاص بسرعة .. بالأمس فقد كنت مع طوني تعيشي أفضل لحظات وأمتعها ...

أحسست بالإهانة وأيقنت بانه يحاول تسويء سمعتي امام وليد ومع ذلك تمالكت نفسي وتمنيت للحظة بأن أنهض من مكاني وانهال عليه بالضرب ... نظرت إليه وشبكت كفي ببعضهما ووضعتهما على الطاولة واحتفظت برباطة جأشي إلى أخر لحظة مع ذلك قلت له :

على فكرة أنت أكثر وقاحة من طوني ... أسمع أريدك أن تنقل إليه على لساني فإن كان يظن بإني غفرت له خطيئة معي سيكون مخطأً .. أخبره بأني أعد خطة لأنتقامي منه وعلى طريقتي .. هذا واضح سنرى من سينتقم من الأخر ... سنجعلك تعودين إلى ديارك وأنت تتمنين الموت في اليوم عشرات المرات .

لا بأس أتفقنا حينها واجهني والآن غادر هذه الطاولة .

غادر جمال الطاولة عائداً إلى طاولته وهو يتبختر كالطاووس كما لو أنه حقق أنتصاره عليّ .. كل هذا ووليد كان يراقب المشهد حتى النهاية دون أن ينبس ببنت شفة ثم سألني على الفور :

ماالذي بينكما ؟

من الغريب أن لا شيء بيننا .. تصور هذه المرة الأولى التي يحدثني فيها .. لا أدري ماذا أخبره طوني عني .. حقيران .. وتافهان .. ماذا أنتظر من شابين كهذاين ؟

ميراي ... وقبل أن يقول وليد شيئاً قاطعته أردت الأعتراف باسمي الحقيقي لا أدري سر تلك الثقة التي أردت منحه أياها ..

قلت له اسمي ريم .. ميراي اسم أمي ...

ولماذا كذبت عليّ ؟

لا ادري ... منذ مجيئي إلى بيروت أردت استخدام اسم امي ظننت بأن إن سمعه أحد معارف أمي أو ما شابه وربما يدلني على طريقها وحتى هذه اللحظة لم يلفت الأسم أنتباه أحد لذلك سأعود إلى اسمي الحقيقي هذا أفضل ...

ماذا تريدين تقول لي قبل أن أقاطعك ..؟

نظرت إليه وإذا بي أجده في عالم أخر وكأنه سافر لبعض الوقت برحلة قصيرة وسرعان ما عاد منها على حين قال لي : الامر بالنسبة لي سيان..ريم اسم امي ايضا وميراي اسم اختي الصغرى..!!!

ثم. لم ينتظر مني اي كلمة وقد فاجئني تماما باسم امه واخته حين عاد وقال....

ألم تلاحظي على جمال شيئاً لا حظته أنا لتوي ؟

لا .. لم ألحظ شيئاً .. ماذا به ؟

أنظري إليه وتأملي وجهه جيداً ..

التفتت إلى الخلف ونظرت إليه ولم ألحظ عليه ما يستدعي نظري إليه فقلت : وليد ألا تخبرني عما يدور في خلدك ؟

ربم تأمليه جيداً أنه يشبهك كثيراً ...

قلت مستنكرة .. حقاً.. لم ألحظ ذلك رغم أنني أعرفه منذ قدومي إلى بيروت نظرت إليه أتأمله من جديد وفي رأسي بدأت تتصارع الأسئلة ... بينما ما زال وليد يصفه لي ..

أنظري يملك نفس العينين ... وذات البريق ... وذات النظرة .. حتى الشعر إنه يشبهك كثيراً كما لو كان توأمك .

اندهشت وصفه الدقيق واستنكرت ... لا ... لا غير معقول لا أجده كما تصفه ... تبالغ ...

صدقيني راقبيه جيداً ..

فكرت لبعض الوقت ثم تذكرت أبي اسمه كمال وهذا الشاب يدعى جمال لا عجب في تشابه الأسمين ولكن من غير المعقول أن يكون هذا الرخيص ابن أبي ..

وليد الناس يتشابهون في أكثر المجتمعات

ربما أنت محقة ولكنني أردت لفت أنتباهك .

أسمع وليد ساقطع الشك باليقين ...

ماذا ستفعلين ؟

معي صورة قديمة لأبي في حقيبة يدي ...سأدسها بين ثيابي وأذهب كي أتحرش بهما أنا هذه المرة ومن ثم سأوقع الصورة عمداً على الأرض فأن عرف صاحبها سيكون لنا كلام أخر ما رأيك .؟

فأن حدث مانظنه ستصبح الحقيقة قريبة مني ..

لا بأس أذهبي لا ضير في المحاولة سأنتظرك ...

وقفت وصرت أمشي بطريقة تمثيلية وربما خلاعية بعض الشيء وأقتربت من طاولتهما ووضعت يدي على الطاولة وأتبعت طريقة جمال عندما أقترب من طاولتنا .

انحنيت وقربت وجهي منهما .. ثم تأملت جمال أكثر كي أتأكد مما وصفه وليد فأحس جمال بجفاف في حلقه .. حمل كوب الماء وشربه دفعة واحدة قلت له ساخرة : ما بك عزيزي ... ؟ ألا ترغب بمراقصتي . ؟

انفرجت شفتي بطريقة خلاعية أيضاً على حين قال بكلمات متقاطعة:

أرغب ولكن ما الذي جعلك تبدلين رأيك فجأة ؟

لا شيء سوا أنني أكتشفت بأنك تفيض بالسحر والجاذبية ...

ثم فكرت .. قلت له : عزيزي ما رأيك بموعد خارج هذا المكان وبعيداً عن أنظار الناس ؟

قال مبتهجاً: بكل سرور..

غضب طوني ونهض مقترباً مني ثم جذبني إليه بعنف مما أدخل الرعب والرهبة إلى قلبي ومما جعل وليد يقف مستعداً للدفاع عني غير أنه تمالك نفسه وأخذ يتابع المشهد التمثيلي الذي رسمت له لمعرفة من هو جمال .

صاح طوني : ماذا تفعلين ؟

وتابعت السيناريو بمكر: عزيزي طوني ... لا تغضب فلجمال حصة بي أيضاً أم أنني مخطئة ؟

إيتها الرخيصة ... أنت لي وستبقين كذلك ...

لا .. لم نتفق على ذلك ... لن تحتكرني لنفسك ... أنا أريد أن أعمل كالأخريات وأكسب رزقي فحال المعيشة هنا في بيروت مزري للغاية والحياة قاسية .

غير معقول ... أنت لست كالأخريات ... خذي من مالي ما شئت فقط ابقي كما أنت أرجوك ...

سأفكر بأمر عرضك هذا والآن هلا تركتني أعود إلى صديقي وليد . ؟

ليس قبل أن نبني إتفاقاً ... اسمعي أنا أكره ذلك الرجل .. إنه يضرب على عصبي ...ويصيبني بالجنون .

عزيزي أنا في الفندق ....

قربني إليه ولامس وجهي فأغمضت عيني ومر مشهد تلك الليلة أمام ناظري حتى كدت أفقد الوعي من جديد حين سمعته يقول :

يا إلهي ...كل هذا الجمال كان ملكاً لي منذ أيام ؟

أحسست بالغيظ وتمنيت لو أدفعه وأضربه كي أنتقم منه إلا أنني أديت الدور على أكمل وجه وتمالكت نفسي حين أجبته ...

أنت تعرف قيمة الجمال .. سأذهب الآن نتكلم فيما بعد .

شدني إليه بعنف حتى كاد يكسر ضلوعي وقال بحزم : ممنوعة أنت من أن تحبي رجلاً غيري ...

أبعدته عني محتقرة كلماته الرخيصة وبذات اللحظة أوقعت الصورة على الأرض ... نظرا كلاهما إلى الصورة ومن ثم تنبه جمال لوقوعها مني فركع على الأرض وحمل الصورة .. سارت الأمور كما خططت تماماً وقبل أن يعيد جمال الصورة نظر فيها ثم أعادها إليّ دون اهتمام وهو يقول : هذه الصورة وقعت منك ..

أغاظني الأمر الصورة لن تلفت إنتباهه ولم تهز شعرة فيه فأيقنت بأن السيناريو الذي بدأته معهما ما كان إلا إهانة لي فالمشهد باء بالفشل وكنت سأهم بالمغادرة لأجر خلفي أذيال الخيبة على حين أستوقفني جمال وهو يقول :

على فكرة أعرف رجلاً يشبه صاحب الصورة التي وقعت منك .

عدت إليه ملهوفة وسألته : من هو هذا الرجل ؟

إنها كصورة والدي ولكن ليس الآن .. كصورته منذ أكثر من عشرين عاماً .

لم أقل شيئاً إنما أحسست بتيار جارف يعبر كياني شعرت بسعادة عارمة تغمر قلبي فلم أملك إلا أن أقول له لأدس نبضه :

إنها صورة والدي .. أليس وسيماً ؟ يدعى كمال ...

لم أقل المزيد انتظرت ردة فعله ولكنه لم يقل شيئاً فلم أملك إلا أن أعود إلى حيث يجلس وليد .

جلست فوق الكرسي وقربت وجهي منه وقلت ومازالت أنفاسي تعلو وتهبط ... وليد من أين جئت لتقف في طريقي ... كنت محقاً إنه والده .

هذا يعني أن هذا الشاب ربما كان أخوك فعلاً ؟

يجب أن نتأكد أولاً .

كيف ذلك .. أيوجد تأكيد غير هذا ؟

أجل ... أخبرته بأنها صورة والدي وأنه يدعى كمال ولكنه لم يتنبه للأسم مطلقاً ولم يستغرب ..

لماذا لم تسأليه عن أسم أبيه ؟

لا أدري سأراه فيما بعد ونتحدث ... المهم أني وجدت من يدلني على ابي ... هيا دعنا نحتفل بانتصارنا هذا ..أحسد نظراتك الثاقبة ...

الحق يقال يا ريم ... كنت ممثلة رائعة أتنبأ لك بمستقبل مشرق في مجال التمثيل .... لقد أديت دورك ببراعة حتى كدت أصدق بأنك ستقبلين الرجل .

ليس غريباً أن يكون الولد سافلاً كأبيه ...

لا تحكمي عليه قبل معرفتك به فربما قالت أمك نصف الحقيقة وما أدراك ماذا كانت ظروفه ...

مهما كانت ظروفه لن أغفر له تخليه عني ... وليد أحس بأن الجو هنا بدأ يطبق على أنفاسي دعنا نغادر...

متى ستخبرينه الحقيقة ؟

يجب عليّ تأديبه أولاً وإلا كيف يكون أخي ...

نهضت من مكاني واقتربت من وليد وقبلته من وجنته وانا أقول له أحبك ... أحبك ... وليد .. لقد اختصرت عليّ المسافة وقربتني من الحقيقة .

ركضت خارج المكان دون أن ألمح تعابير وجه وليد بعد أن قبلته وسرعان ما رأيته يصعد إلى سيارته لتنطلق بنا إلى ما لانهاية وبقيت طوال الطريق صامته لم يتحدث أحدنا إلى الأخر.

جمال... آه من جمال ... وجدت أخي إبن أبي ... إنه وسيم ولكنه تافه ... ولكن الحق يقال لم أرى منه ما يزعجني منذ التقينا إلا كلامه ونظراته وتلميحاته ولكن بدون أفعال .

يجب أن أعد خطة تقربني منه أكثر بالفعل كنت أود أن يعرف الحقيقة مني بهدوء دون أن أصدمه ... جمال على ما يبدو أكبر سناً مني يعني أن أبي كان متزوجاً بالفعل وعنده من زواجه الأول أولاد؟ ما أدراني ربما يكون لي أخوة أخرون .؟

انهيت عملي في الفندق وصعدت إلى حجرتي وارتديت ثيابي وخرجت مسرعة للقاء وليد .

نظرت في المكان باحثة عنه بنظراتي حائرة وعندما لمحته أحسست بالطمأنينة ....لوحت له بيدي فرأيته يخترق الزحام ويقترب مني .

ماهي إلا لحظات حتى استقرت يدي داخل يده ولاذ بيننا صمت قصير قبل أن نسير معاً نحو السيارة .

فتح باب السيارة كي أستقر أنا داخلها ثم دار حولها واستقر إلى جانبي وماهي إلا لحظات حتى أطلق العنان لسيارته دون أن ينبس ببنت شفة .

أخرجت من حقيبتي فولاراً وربطت به شعري وعقدته تحت ذقني لأن شعري أخذ يتطاير على وجهي لسرعة السيارة .

ثم قطع علينا الصمت وتكلم فنزلت كلماته على مسامعي كنغمة موسيقية سألني : إلى أين تريدين الذهاب ؟

أظنك وعدتني برحلة إلى الشاطئ .

لم يزد على جملتي شيئاً ... بل أن الصمت لاذ بيننا من جديد وكأنه أراد الرحيل بنا إلى مدينة السكون .

هناك تركنا السيارة جانباً وتابعنا الطريق سيراً على الأقدام فوق رمال الشاطئ .

كنت افكر بما يمكن أن يجري غداً ... شردت للحظات عن واقعي وصرت أحاكي أمواج البحر وتقلباته ... ثم شعرت بأصابع وليد تعبث بشعري المرسل على ظهري ثم سألني : بماذا تفكرين ؟

نظرت إليه وتلاقت نظراتنا ... رمقني بنظرة مشحونة بالحب وشعرت بأن لديه الرغبة بأن يمسك يدي ويضغط على أصابعي حتى تنكسر بين أصابعه .. بل لديه الرغبة بأن يحتويني بين ذراعيه ليضغط عليّ حتى أذوب تحت ضغط تلك اللمسات ...

أخجلتني تلك النظرات فأطرقت رأسي في خشوع واحترام على حين لمحت يده تقترب من يدي لتحملها ... لأول مرة منذ عامين يقف امامي رجل وتحاكيني نظراته ... الحنون بصدق دون أن ترقص الشهوة فيها .. لأول مرة أحس بالأمان مع رجل لا يشتهيني .. لا يحلم بأفتراسي لا يتخيلني بين ذراعيه كما تخيلني الباقون .

أجده رصيناً ... أميناً عليّ وتهذيبه يكاد يخرجني عن طوري ..

عاود السؤال ويده تحمل يدي : بماذا تفكرين ؟

أحن إلى الماضي .. إلى الطبيعة ومنزلنا القابع في أرجائها ..

ألم يعجبك المقام في بيروت ؟

بلا ... لبيروت طعم أخر ولكنه يختلف عن البلدة .. إنني مسحورة بهذا البلد كيف لا وقد سمتها الكاتبة (( كوليت خوري)) في إحدى رواياتها الرائعة ...لؤلؤة شقراء وسماها ((نزار قباني )) ست الدنيا .. أتريد شهادة أخرى ..؟

تطالعين كثيراً ..؟

طبعاً .. أحب المطالعة .. الإنسان يحتاج إلى الهدوء والركون إلى نفسه والجلوس لحظة صمت تسرقه من الصخب والأقنية الفضائية المملة ، أحب تغذية روحي وإنعاش ذاكرتي بما يفيدني ثم إنني استمتع كثيراً بالقراءة

ثم تأمل عيني وقال :

وهذه النظرة الحزينة في عينيك ما سببها ؟

هذه لا أدري عنها شيئاً سوى إنني أخاف من المجهول .

شعرت بذراعيه القويتين تحيطان كتفي ثم نظر إليّ نظرة ملؤها الحب وأحسست لوهلة بأن نظراته تفيض بالحب والجاذبية ... تخترق الحدود المحرمة على كل رجل بالنسبة لي على الأقل .. ثم شعرت به يقربني إليه بلحظة جعل رأسي ترتاح على كتفه .

كم تمنيت لو بقينا معاً نسير جنباً إلى جنب وحين يرهقنا المسير نجد لنفسينا صخرة نجلس فوقها ملتصقين تماماً وكأننا عاشقين ... ثم نرمي جسدينا فوق رمال الشاطئ ... ياه ... كم ... وكم ...وكم أتخيل وكم تسرقني تخيلاتي من واقعي الجميل ..

أريد أن أعود طفلة صغيرة تركض وتلهوا وتلعب ... ولكنني ما زلت مع وليد ... كيف أخرج عن نص وجودنا معاً لأتخيل نفسي طفلة ؟

نظرت إلى وليد لأجده منصرفاً للنظر إلى الأفق البعيد ثم تساءلت :من يدري ... ربما يبحث لروايته عن نهاية جميلة .. أو أنه يريد البحث عن حقيقتي أنا ؟ إنها المرة الأولى التي أزور فيها البحر منذ قدومي إلى بيروت ولأول مرة أحس بالأمان والسكينة وأنا أجلس بصحبة شاب ... جميلة ... جميلة هذه المدينة .. جميلة بجبالها ... بمقاصفها ... ومبانيها .. جميلة بأضوائها وأناسها الطيبين .. ببحرها .. وبوليد.

وليد .. ما أزال مأخوذة تماماً بشكله الأنيق وشعره المتهدل على جبينه بوسامته ورصانته .. برجاحة عقله ..

كل شيء يذكرني بماهر أخي الأكبر...

كنت ما أزال أتأمل الطبيعة من حولي عندما نسيت نفسي وأحطته بذراعي وشعرت حينها بأغراء لا يقاوم ...

أكذب على نفسي إن قلت بأني لا أتمنى أن يستجيب لي ويضمني إليه بقوة ويسرقني من نفسي وذلك المكان ولن أمنعه إن سرق لنفسه قبلة من شفتي ليذوب بسحرها ويتلاشى كالأخرين ...

قبلة تمنحه المتعة وتجعله ينتصر على ضعفه ورجولته ...

لكنه لم يفعل فما كان منه إلا أن يقترب مني ويهمس في أذني :

ما رأيك بسهرة نقضيها معاً ؟

تحمست ونظرت إليه بلهفة وسألته : وإلى اين ستأخذني ؟

الآن سنذهب إلى الفندق ...عندها ستصعدين إلى غرفتك لترتدي أجمل ثوبٍ عندك على الإطلاق .

أريده ثوباً يتناسب تماماً مع سهرتنا ...

وبعد ذلك ماذا سنفعل ؟

سنتناول طعام العشاء ونرقص ونلهوا حتى الصباح .. ما رأيك ؟

وروايتك ماذا عنها ؟

فلندعها وشأنها الآن ... أريد أن أستمد إلهامي منك .. من عينيك أريدك أن تنسي كل شيء إلا وجودك معي .

رائع .. أنت رومنسي للغاية ....

هل نذهب الآن ...؟

نعم ... سار وسرت خلفه إلى السيارة لتنطلق بنا كما هي العادة .

غادرنا الشاطئ وأحاسيس لذيذة ودافئة تنبعث في أعماقي ..

تسللت إلى الحجرة خلسة لأجد جويل تغط في سبات نومٍ عميقٍ

وقفت امام خزانتي باحثة عن ثوب يليق بتلك السهرة التي وعدني بها وليد وبقيت للحظات حائرة ماذا أختار... ؟

مرت الدقائق بالنسبة لوليد الذي كان ينتظرني في بهو الفندق على أحر من الجمر ونظراته تراقب عقارب الساعة في يده بين اللحظة والاخرى .

انهيت تبرجي وحملت حقيبتي وخرجت من الحجرة على عجل وإذا بي أفاجئ بطوني يقف في طريقي...

جمدت في مكاني حين رايته يقترب مني وهو يقول:

ماذا أرى ؟ كل هذا التبرج والجمال من اجل رجل واحد ؟

هذا ليس من شانك ...

تمادى بأقترابه مني إلا أنني دفعته وجريت مسرعة إلى بهو الفندق ثم تلفت يمنة ويسرى بنظرات حائرة باحثة عن وليد والغضب يكسوا وجهي عندما لمحته ركضت إليه وقبل أن أقول له شيءً ..

وقف يتأملني ويتأمل ثوبي المشدود على جسدي بأتقان مبرزاً مفاتني ثم صاح مهوراً:

يا لعظمة السماء .. كل هذا الجمال سيكون ملكي الليلة ؟

أشكرك على هذا الإطراء ولكن دعنا نسرع بالخروج من هنا لقد تحرش طوني بي .. لا أريده ان يرانا نغادر معاً ..

سرت أمامه بينما تذكر بانه نسي مفاتيح سيارته على الطاولة فعاد إلى الخلف تناولها على عجل وسار خلفي ثم ما هي إلا لحظات حتى أستقلينا السيارة وانطلقت بعيداً عن الفندق كما في المرة الماضية ... صوت الموسيقا العذبة يعبث في مسامعي ويدغدغ مشاعري والألحان الشجية التي أنسابت من انامل العازفين ملأت جو المكان بهجة وسروراً .

فسحر المكان ماكان يغريني مطلقاً ... ما كنت أهتم إلا في النظر إليه أدرس ملامحه .. أحفظ خطوط وجهه وأنفه وفمه وأدقق النظر حتى في حركة شفتيه وبطقطقةأصابعه ...

أجلس قبالته ومازالت نشوة لكلمة يقولها لي ... أو أقولها له ... كلمة كتبتها ولم اكتبها ... كلمة لم تخطها يد شاعر من قبل في أي ديوان من دواوين الحياة ..

كلمة تقولها عيني قبل شفتي .. كلمة تاه التاريخ من ذكرها منذ الأزل .. كلمة أقرب مني أليه ولكنني خجلة من قولها أو حتى البوح بها بيني وبين نفسي فتلك الكلمة أختفت ما بين لساني وحنجرتي .

مرت اللحظات بينما مازال الصمت مخيماً على طاولتنا وما فجره إلا وليد حين سألني :

ريم ... إلى أين رحلت ؟

كنت ما أزال سكرى بذلك الشعور اللذيذ ... سكرى بتلك الكلمة التي لم أستطع قولها له ... ومع ذلك خرجت عن نص مخيلتي وأجبته كاذبة : إلى البلدة أكيد .

تشتاقين للبلدة ؟

أجل وأشتاق للبيوت العتيقة هناك ولدفء المكان فالمنازل هنا أشبه أن تكون زنزانات تكتم الأنفاس .. إنها كعلب الثقاب .

ولكننا نعيش ككل الناس ... أنها الحياة التي تعودنا عليها .

أنت محق ومع ذلك أحن للعودة إلى البلدة ..

يغريني كلامك لزيارة بلدتك ...

لم أرد عليه ... تأملني لبعض الوقت وشردت نظراته الساحرة في عيني الخضراوين فأخجلني ذلك التأمل وذلك العمق الذي تغلغلت فيه نظراتي ولكنني قطعت عليه تأمله لي . وسألته :

إلى أين رحلت أنت الأخر ؟

ضحك .. فكشفت ابتسامته الساحرة عن صفين من اللؤلؤ وقال:

ليس إلى البلدة بالطبع ... منذ عرفتك ينتابني شعور غريب يفصلني عن وليد الأمس أشياء غريبة بدأت تجتاح قلبي وتدغدغ هدوء السكون فيه ...

يعجبني كلامك كثيراً تبدو شاعرياً ..

تكلمي .. أحب سماع صوتك على الدوام عندما تتكلمين أحس بأنه تحول إلى سمفونية رائعة ينساب صداها إلى مجرى السمع في أذني ... فترقص مشاعري له طرباً أحس بحرارة غريبة من نوعها تتسرب إلى أنحاء جسدي مما يشعرني بالأرتعاش ويوصلني إلى النشوة .

وليد .. لا تقل أكثر من هذا أنا ضعيفة ولا أقوى على مجاراتك .

تعلمين سأجعلك بطلة روايتي .. سأجعلك في كلمة وكل حرف .. سأجعلك حواراً مطولاً وشيقاً يمتع القارئ ...ستكونين الجزء الأكبر منها.. مازلت مسحورة بكلماته العذبة ... ومسحورة بنظراته التي كانت بين الفينة والأخرى تعبرني للحظات ... في تلك النظرات الخاطفة تعبر جسدي كتيار راعش .

ثم تجرأ ولامس يدي المطروحة على الطاولة وضغط على أصابعي وتسرب إلى جسدي ...خدر لذيذ أسكرني وغمرتني نشوة عذبة حين رفعها وأراد تقبيلها فأحسست بقشعريرة وارتجفت يدي وارتعدت فرائصي على حين وجدت لنفسها القوة بسحبها بهدوء من تحت يديه التي كانت تضغط عليها بقوة : همس بحب لماذا تهربين مني ؟

أحمر وجهي وصار بلون الورد ... ثم همس من جديد وتهربين من الأجابة أيضاً .

أبتسمت لوهلة وشردت نظراتي إلى البعيد على حين وجدته يقف ويقترب من الكرسي الذي أجلس عليه وهو يهمس بكلماته العذبة وأسلوبه الرقيق وقال لي : ريم ... تعجبني هذه المعزوفة .. ما رايك .؟ ثم همس بجملة أجنبية لم أفهمها .

(فوله باليا مو إنسيمه)

استغربت لكنته اللذيذة فوجدت نفسي أسلمه يدي بلا إرادة وأسير إلى جانبه وانا مسحورة بجملته التي خاطبني بها فأثارني الفضول كي أسأله ... ماذا قلت لي :

ضحك وأجابني كنت أطلب منك مشاركتي الرقص بالإيطالية .

لم أزد على جملته شيئاً بل كنت اسير معه وقد تملكني إحساس بنشوة عارمة ممتعة بينما كنا نقف جنباً إلى جنب .. إتجهنا إلى قاعة الرقص وقد خلت إلا من بعض

العاشقين الذين أتخذوا من الرقص ليلياً زادهم وزوادهم وقف قبالتي لبعض الوقت وتبادلنا النظرات لثوان وثم بطريقة كلاسيكية ناعمة وجدته يحيط خصري النحيل بذراعيه ... ثم اخذ يحثني على مجاراته في الرقص ..

لابد أنه رقص كثيراً قبل الآن ومع فتيات كثيرات فأسلوبه الرائع بتنقل خطواته على الرض وتحركاته بينما ذراعاه تغمراني .. كل هذا جعلني أوقن تماماً بأن وليد يتقن فن الرقص ويتقن أحترام المرأة حين تكون بين ذراعيه ..

مضت برهة دون أن يحدث أحدنا الأخر .. وربما كنا مستغرقين في تفكيرنا وسرعان ما حجبت عنه بصري حين تعبت من مجاراته واتقان حركاته فاخذت من كتفه وسادة ناعمة ألقي عليها رأسي المثقل بالتفكير وتركت له كيفية التنقل على هواه ..

كدت أغفو على كتفه بينما أنفاسه الدافئة تنتشر في شعري وأذاني فكل لمسة منه كانت توصلني إلى قمة المتعة ...

ثم همس في أذني وهو يداعب شحمتها بشفتيه مما جعل قشعريرة تجري في جسدي .

ريم .. احبك ...

فاجأتني كلمته .. هذا ما كنت اريد قوله له .. هذا ما عجزت عن قوله .. إنها لكلمة رائعة رغم صغرها وبساطتها .. إنها .. نبع الحياة دفئ القلوب ومع ذلك تجاهلت ما قاله لي :

كان قلبي الذي يخفق بشدة لم يستوعب بأنه كان قريباً مني كل ذلك القرب وتساءلت :

وهل احبه انا الأخرى كما يحبني . ؟

ولكن كيف أقول له وبين جوانحي يرقص حب رجل أخر .. رجل تمنعني الظروف والمجتمع من قولها له .؟

وتكرر السؤال : وأنت ؟

دون ان ارفع رأسي عن كتفه... وأنا أيضاً أحبك ..

أعلم .. رأيت هذا في عينيك اليوم بينما كنا على الشاطئ .. ريم .. أريد لعلاقتنا الاستمرار .. علاقة جديدة يصحبها زواج .

حقاً ..زواج هكذا مرة واحدة ؟

لا احب اللف والدوران .. ثم إنني لا أجدك من اللاتي تقمن علاقة غير جدية بهدف الصداقة أو المتعة الشخصية .

انت محق أنا لا أوافق على علاقة غير شرعية مهما كانت درجة الحب التي أحملها لشريكي ..دعني أفكر بالأمر.

لك حرية التفكير.. أخبرني ماذا بشأن جمال ..

حدثته بالامر ؟

لا .. لم أراه في الفندق منذ تلك الليلة وهذا ما بدا يقلقني ..

سيظهر .. ثقي بي ...

أرجوا ذلك فبقائي هنا طال أكثر مما يجب ..

وجود جمال يعني العثور على والدك وربما والدتك ...

أعرف ولكنني احس بأنقباض غريب يخز قلبي ..

لا تخافي ... إنه الخوف من مواجهة الواقع ليس إلا ..

نظرت من حولي وأشمئزت عيني لما تراه وأكتشفت فجأة بأني لست أبنة ذلك المكان فهمست بأذنه : وليد دعنا نغادر هذا المكان ...

كان يعجبك منذ قليل ؟

اجل .. ولكنني أكتشفت بانني أكبر من أرتاد أماكن كهذه .. أنظر إلى النساء العابثات المبتذلات .. لا أريد ان يحولني مجيئ الدائم إلى هنا إلى امرأة عابثة .. ألا تشعرك حركات النساء المبتذلة بالخجل .

عالم مليئ بالمجون والفجور .. هذا ليس عالمي ..

صدقيني جمالك الطبيعي وعذوبتك وسحرك كل هذا يجعلك تتربعين على عرش هذا المكان ..

أكره كوني جميلة ... فالجميلات مجرد ألة يحركها الرجال، بودي لو أجرد نفسي وجسدي من كل وسائل الإغراء التي يأخذ بها الرجال .. أريد رجلاً يعشق وجودي ...يحبني لذاتي قبل جمالي فالجمال يذهب ..

أنا أحبك لوجودك وبرائتك .. لذاتك صدقيني ...

أتفقنا بأن نفكر أليس كذلك خذني إلى الفندق أرجوك بل سأخذك إلى مكان أخر غير الفندق .

إلى أين سنذهب ...؟ لقد تأخر الوقت ..

إلى مكان يبعدك عن تحرشات طوني ..

أحسست بغيرته عليّ فأراد الأبحار بي إلى عالمه هو ..

لشقته التي تركها وأقام بالفندق لرغبته بالتغيير ولكنني لم أعرف هدفه من وراء ذلك .

*****

## " مملكته الصغيرة "

لم أفاجئ مطلقاً عندما أقترح وليد إقامتي في شقته .. كنت في كل لحظة أتوقع منه أن ينتشلني من الفندق كي ينقذني من طوني .

بقيت لدقائق أتفحص المكان بنظراتي .. أتأمل أثاثه البسيط وديكوراته المتواضعة التي صممها والزخارف التي زينت زوايا السقف ثم لفتت إنتباهي المكتبة المتواضعة التي رصت على رفوفها الكتب دون ترتيب .. تزاحمت .. تزامت الكتب حتى أن وليد أتخذ مقراً أخر لكتبه في المنزل مستغيناً بذلك عن التحف والشرقيات التي تشد أنظار البعض .. أعجبني كل شيء في المنزل سألني :

أعجبك المنزل ؟

أجل .. جميل ولكن كيف تملك منزلاً وتقيم في الفندق ؟

لا أدري .. أحب التغيير والأختلاط بالناس والتوغل في مجتمعات أخرى وأزور أهلي دائماً في الجبل .

ماذا تفعل بالشقة طالما لا تسكنها ؟

عزيزتي منذ اليوم هي شقتك ستشعرين هنا بالأمان أكثر من الفندق ... والجيران هنا كالأهل .. ظرفاء جداً ..

كيف تثق بي كل هذه الثقة وتمنحني شقتك ؟

لو لم أكن أثق بك لما صارحتك بحبي ومنحتك قلبي وعمري وطلبت الزواج منك ... فإن كنت سلمتك قلبي هل أسترخص عليك بيتي ..؟

اتجهت نحو الصالون وجلست فوق المقعد ثم وجدته يسير ويتقدم نحوي ليجلس إلى جانبي ولم يفصل بيننا إلا الهاتف الموضوع على الطاولة ساد الصمت بيننا للحظات ووحدها النظرات هي التي كانت تتكلم ... ثم ما هي إلا لحظات وجدت نفسي أنهض وأحمل حقيبة يدي وأسارع نحو الباب الخارجي كي لا تتمادى نظراتنا ويتحول المشهد إلى مشهدٍ غرامي ويصبح الشيطان ثالثنا

لم يعترض وليد بل بدت على وجهه أشارات البهجة والسرور وكأنه وجد لنفسه فكرة توصله إلى روايته التي تأخر كثيراً في إظهارها إلى العلن .

يبدو ان الأحداث بدأت تتسارع وتشير كما يجب ويشتهي حتى أيقن بأن كل ما يحدث من صنع القدر وترتيبه أجل .. هكذا تريد روايته الجديدة والأولى بقيت للحظات أسند ظهري بباب المنزل على حين نهض وأعد نفسه من أجل إيصالي إلى الفندق.

بقيت أقف خلف باب الحجرة وأنا أحس بأن قلبي يكاد يقفز من بين أضلعي .

ما زلت مسحورة بنظراته التي ودعني بها وابتسامته الرائعة التي كست وجهه ولكنني تساءلت : كم مرة يستطيع قلبي الصغير أن يحب ؟

ولكن هل ما كنت أحسه بالماضي كان حباً ؟

أشياء .. وأشياء بدات أفكر بها قبل أن أخذ نفساً عميقاً لأسير نحو خزانتي خلسة كي لا أوقظ جويل في نوم عميق .

كنت قد أخرجت ثياب النوم من الخزانة عندما أحسست باستيقاظ جويل فألتفت نحوها أعتذر لها لأنني أزعجتها .

فقالت لي بانها لم تكن نائمة بل كانت تنتظرني .

أقتربت منها وأنا أعتذر: أسفة سرقنا الوقت فلم نشعر بمروره مطلقاً .

فقالت: حدثيني عنه .. أم أنه سر ؟

لا .. لا إطلاقاً تصوري اليوم صارحني بحبه .. إنه يختلف عن الكثير من الرجال إنه يفيض بالعذوبة والجاذبية .. كلما رأيته يهتز قلبي وترتجف أضلعي ومع ذلك مازلت حائرة .. أوافق على طلبه أو أرفض .. ؟

أقبلي يا مجنونة لن تجدي رجلاً يحبك كل هذا الحب ..

وعدته باني سأفكر بشأن عرضه ولكن أخبرني أنت ماذا عن طوني ؟

لا أدري سوى أن حبه جرني إلى التهلكة وإني أغرق ولن ينقذني من الغرق إلا إعترافه بحبه لي .

تركتها لبعض الوقت ثم نهضت أخلع ثوبي كي أرتدي ثياب النوم غير أنها صاحت بي : ريم .. أرجوك لا تنامي أريد التحدث إليك .. أشعر بالملل كونك تركتني وخرجت مع وليد ..

عزيزتي نتحدث في الصباح ألا ترين بان النعاس يزحف إلى جفني .

تركتها في سريرها تفكر بمصيرها واتجهت نحو سريري وسقطت تحت الغطاء والتعب نال مني نصيبه حتى أخذني النوم بين طياته ولم أعرف كيف غفوت ولم أكن أحب الاستيقاظ حتى ساعة متأخرة من الصباح .

تلعب معي الأقدار لعبتها كما لو كانت تسرد لي قصة مستحيلة .. كيف لا وجمال أختفى وسر عائلتي معه .

وجودي مع وليد في اكثر الأوقات هو ماكان يصبرني ..

دائماً يشعرني بالآمان ويسكب على مسامعي كلماته العذبة وانتقالي إلى منزله سيغير مصيري .

انهيت عملي في الأسفل وصعدت إلى حجرتي كي أبدل ملابسي لأنني تواعدت مع جويل من اجل الذهاب إلى السينما كنت اعلم بأنها لم تنهي عملها بعد إلا أنني أردت أن أكون جاهزة من أجل الذهاب طرق باب الحجرة فأيقنت بأنها جويل فسارعت لفتح الباب متحمسة وإذا بي أفاجئ بوقوفه امامي بقامته الفارعة الطول ونظراته الماكرة التي ترقص الشهوة فيها.

وضعت يدي على الباب ووقفت أمامه لا أنا داخل الحجرة ولا خارجها سألته ماذا تريد ؟

هو أيضاً ظل يقف واجماً كما لو كان قد فوجئ بوجودي أيضا

أحس بالخجل من نفسه بينما نظراته كانت تبحث عن شيء داخل حجرتي وأصابع يده إنغرست في شعره فأيقنت بانه يبحث عن جويل .

حافظت على رباطة جأشي وعدت أسأله : ماذا تريد ؟

لا شيء .. كنت أريد التحدث إلى جويل ..

وهل وعدتك في الحجرة هنا ؟

لا بل وعدتها باني سأصحبها إلى السينما ..

فصحت به ساخرة : حقاً ؟ ماهذه الصدفة جويل وعدتني أيضاً بالذهاب معي إلى السينما

فأبتهج وقال : إذاً نذهب ثلاثتنا معاً.

أستغربت تلك الثقة التي يحملها داخله كدت أثور عليه وتمنيت لو أصفعه غير أني وجدت فرصة مناسبة كي أسأله عن جمال .

أقتربت منه وهمست في أذنه : ألا تخبرني أين أختفى جمال صديقك ؟

يمكنني الإجابة إن دعوتني إلى شرب القهوة داخل الحجرة .

أخرجت رأسي من الحجرة لأراقب المكان وحين أيقنت خلوا المكان عدت إلى الداخل وأشرت له بيدي كي يدخل إلى الحجرة فأغلقت الباب خلفي وسرت خلفه وقبل أن يجلس على الكرسي استوقفته وسرت نحوه بميوعة كرهتها بنفسي غير أن الضرورة تحكم في أكثر الأحيان طلبت منه الجلوس على السرير جاء بنفسه ولم يدعه أحد إنها فرصة مناسبة لأنتقامي.

استغربت موقفي الإيجابي منه حين طلبت منه الجلوس على السرير فهو لم يدرك حتى تلك اللحظة بأني أصبحت أكثر مكراً منه ومع ذلك سار على هواي وأتجه نحو السرير وجلس على طرفه بينما اتجهت نحو الهاتف ورفعت السماعة وطلبت القهوة لكلينا ثم عدت إلى حيث يجلس وجلست إلى جانبه ، كنت خائفة جداً، خائفة وكل جزء من جسدي يرتجف ومع ذلك قررت ألا أدع ذلك يتسلل إلى أطرافي فينتبه إليّ ويستغل نقطة ضعفي.

استطعت السيطرة على أعصابي واستمريت بأداء دوري التمثيلي على اكمل وجه .

أحسست بالفزع حين وضع يده فوق يدي المطروحة فوق السرير وضغط عليها ثم اقترب مني يهمس في أذني:

ترتعشين كما لو أنها لمستي الأولى ؟

رغم حنقي واشمئزازي منه ومن وجوده إلى جانبي قررت متابعة خطتي حتى النهاية.

ابتسمت ابتسامة خفيفة وكانت وحدها كفيلة بأن تزيل الرهبة الكامنة في صدري .

وجدت يدي تلامس يده وأنا أسأله :

ألم تخبرني أين هو الجمال ؟

لم يعر لسؤالي اهتماماً ... بل اقترب مني ووجهه التصق بوجهي واخذ يداعب بأنفه المتعطش لرحيق أنفاسي كل منطقة في وجهي مما أشعل النار فيه ثم قال :

دعينا من جمال الآن وتعالي نمضي ما تبقى لنا من الوقت قبل عودة (( جويل ))

ضحكت بيني وبين نفسي وصرخت من أعماقي صرخة لم يسمعها إلا الصمت وقلت في سري :

التافه يظن بأني سأذوب وأتلاشى معه في نشوة يسترقها مني كي يعلن انتصاره عليّ ... ولكن هيهات...حمل وجنتي بين كفيه وتأملني بصمت بينما نظراته تحاول افتراسي و شفتيه ترتعشان وتتوقان لتقبيل شفتي ثم بحركة منه حاول إذابة الصقيع الذي يعتريني حين حاول إمالة وجهي ليجعلني استلقي فوق السرير.

يمكنني تخيل ذلك وما يمكن أن يحدث بعد لحظات ، أحسست بالضعف لبعض الوقت تحت ضغط تلك اللمسات فوجدت فرصة لنفسي كي أتحرر منه وأجري مهرولة إلى الحمام ثم أقفلت الباب خلفي وصدري مازال يعلوا ويهبط ثم اتجهت نحو المرآة ونظرت فيها ثم فتحت صنبور الماء وأخذت أرشق وجهي وكأني أردت محو آثار لمساته عنه ثم مسحته بمنشفة وعدت إلى المرآة أسوي شعري على عجل وأخفيت بين ثيابي ما يمكن أن يجعلني أحمي نفسي وأشفي غليلي منه إن حدث وتمادى أكثر.

خرجت لأجده مازال يرشف القهوة فأتجهت نحوه متثاقلة وجلست إلى جانبه على حين نهض واتجه نحو الطاولة الصغيرة وتناول فنجان القهوة الأخر وقدمه لي .

تناولت الفنجان منه وسألته :

ألا تعرف أين جويل ؟ ... لقد تأخرت كثيراً ؟

لا ...لا أعرف اين يمكن أن تكون ...

وكأنك أبعدتها عن المكان كي تأخذ لنفسك خلوة معي ؟

لم يقل ما يزيد على كلامي شيئاً ... بل ظل صامتا وكنت مازال اتوق لمعرفة مكان جمال ولكنه لم يخبرن .

وتساءلت ... أأظن نفسي أستطيع الفرار من جبروته وسطوته وقوته وهو الذي يتحرق شوقاً للقاء جسدينا ؟ ومع ذلك خرجت من كل ما كنت أفكر فيه وسألته من جديد :

أخبرني أين هو جمال أرجوك ...

غضب طوني من تكرار سؤالي عن جمال وتصاعد الدم إلى وجهه وأخذ يصرخ بي ...

جمال ... جمال .... ماذا تريدين منه ؟

إنظري إليّ أنا أكثر وسامة منه ... لماذا تفكرين به بالوقت الذي نحن نجلس فيه معاً ؟

إنه مجرد إنسان معتوه ...

تظاهرت بعدم اللامبالاة وقلت له :

لا تغضب أرجوك كنت أريده لأمر ضروري فقط لا غير.

فقال : علمت بأنه سافر إلى دمشق وسيعود بعد أيام .

حين سمعت اسم مدينتي دمشق شعرت بالفرح وانفرجت أساريري

أيقنت بأني ما زلت أحن إلى دمشق حنيني إلى لقاء أمي ، أشتاق لأخوتي و جيراني وإلى كل من أحبهم هناك ،... دمشق ياه

يا لدمشق !...ولكني نسيت أمر الحنين وسألت:

ولكن ماذا يفعل في دمشق ؟

لم يجب ، ففكرت أمعقول أن يكون والده هناك فذهب لزيارته ... معقول أن آتي إلى هنا كي أبحث عنه وهو يعيش في دمشق ...؟

ثم لا أدري كيف نسيت نفسي واقتربت منه وأختلست قبلة من خده حتى خلتني آراه شعر بأن تربع على عرش غروره ، وربما ظن نفسه ملكني وهذا ما جعله يتمادى فأيقن بأنه سيعيش أجمل لحظات عمره وأمتعها بصحبتي أما أنا أصبحت مستعدة تماماً لخوض معركتي التي قررت خوضها معه ، فهو لا يعلم بأني قررت أن أشن الحرب عليه إن حاول التمادي وتخطي خطوطي الحمراء .

فهو يجهل بأن هذا الحمل الوديع الذي يجلس إلى جانبه يخفي أنياب ذئب شرس فسرعان ما سينقض عليه ويرديه قتيلاً .

سألته : ألن تغادر حجرتي ؟ أم أنك ستبقى هنا ؟..

هل يضرك بقائي هنا ؟

أخشى إن جاءت جويل تجدك معي وهذا لن يكون بصالحنا

لن أغادر الحجرة وقد وجدتك ؟ أمجنونة أنت ؟

ثم أقترب مني وهمس : ريم أنا أحبك .

ولكنك تحب جويل أيضاً ...

أحبها ولكن ليس بالقدر الذي أحبك فيه ... ولكن أخبريني لماذا تنعتيني بالسافل والآن تدعونني إليك بنفسك ؟

المشاعر تتغير صدقني ...

إذاً أنت تريدينني وتريدين بقائي لا تنكري وتشتهنني كما أشتهيك ..

نظرت إليه مستغربة قوله وفكرت بيني وبين نفسي واهم .

ثم رأيته يقترب مني وقد فقد صوابه .. أو صبره تماماً وأحاطني بذراعاه القويتان .. خفت ... حقاً خفت من ذلك الضغط التي أحتواني به ...

أرتعشت لقربه مني وجهه ملتصق بي كل ذلك الألتصاق وشفتيه متعطشة جداً لإلتهامي وفجأة أحسست بيده فارغة الصبر تعصر جسدي .. تعصر كبريائي ... تهزمني .

وصمت ومن أعماقي ...سحقاً .... سحقاً ... دائماً يشتهون جسدي ويتسرعون بطلب المتعة ودائماً تمتد أيديهم إلى المناطقة المحرمة.

حاولت جاهدة منعه من إقتحامي والتمادي أكثر غير أنه كان أقوى من أن تهزمه قوتي ، ومع ذلك دفعته عني بقوة ونزعت من قلبي وصدري كل وسائل الرحمة وأنا نفسي لا أعرف ما الذي حدث وكأني خلعت ثوب الحمل الوديع ولبست ثوباً لا يشبهني مطلقاً حين أخرجت المقص من بين ثيابي وأقتربت منه وطعنته في خاصرته فصرخ متألماً ... وأنا خفت حين رأيت الدم يتدفق من ثيابه ...

خفت من صرخته ... ومن ضعفه ... ومن عجزه .. وأرعبني مشهد الدم الذي بدأ يسيل في أرض الحجرة .... صرخت وصرختي دوت في المكان وذرعت الخوف في قلبي.

أرتعبت من حشرجة صوته الضعيف حين أصبح يستغيث بي كي أخرج من الحجرة وأطلب الإسعاف .

تخليت عن ضعفي ونزعت الرحمة من قلبي وأديت دوري ببراعة حتى النهاية .

تأملته وهو يحمل جرحه والدم ينزف منه وقلت له ساخرة رغم خوفي عليك من أن يموت: كنت أتمنى أن أطعنك في مكان أخر كي تخجل من النظر إلى النساء تلك النظرات الحقيرة التي لا تخلوا أبداً

من الرغبة بأقتحامهن ... لست لك طوني أنا أحب رجل أخر ولكنني سأكون رحيمة معك وأتركك تحتفظ برجولتك وسأقوم بطلب السعاف لك ...

تركته في الحجرة وصرت أجري خارج المكان وانا أصرخ ساعدوني ... مدعية الخوف ... ثم ماهي إلا لحظات حتى إنتهى المشهد تماماً حين نقل طوني إلى المشفى وخلى المكان من الضجة تماماً ... تلك كانت نهاية غروره واستبداه وسلطته ...

ولكن ماذا عن جويل ...؟

حتماً ستجن وتشن حربها عليّ ... أليس حبيبها ؟

كنت على وشك مغادرة الفندق عندما دخلت جويل إلى الحجرة وهي تستشيط غضباً مني وما أن رأتني حتى إنهالت علي بسيل من

الكلمات الجارحة والشتائم والعبارات غير اللائقة وهي تتوعدني بالأنتقام لطوني إن حصل له مكروه ...

فصرخت بها وهي التي مازالت تضع فوق عينها غشاوة عمت بصيرتها تماماً ...

فقلت لها : إهدئي جويل ... هو من دخل حجرتي وهو من حاول مراودتي عن نفسي ... جويل أنت تحبين رجلاً لا يستحقك .. أنه تافه حقير ... يريدناً معاً وكأننا لعبة بين يديه ... خدعك بوسامته وثرائه المزعوم

رغم كل كلماتي تلك لم أستطع إخماد النار المندلعة في صدرها لأنها تحبه وأنا وحدي من أعلم مقدار حبها له.

صدق من قال الحب أعمى فهي لا تريد فتح عينها على حقيقة كذبة وخداعه ....

لم أعر لتوعدها بالأنتقام مني إهتماماً ، بل جمعت حوائجي ورحت أهرول خارج المكان بينما لمحت والده الذي عاد من المشفى وصوته الغاضب أخترق سمعي وأعادني إلى حيث كنت.

توقفت وصدري يعلوا ويهبط من الخوف على حين أقترب مني مسك كتفي بعنف وكلماته الغاضبة أخترقتني من الصميم حتى كادت تسلب إرادتي مني فقال لي :

لماذا تعضين اليد التي أحسنت إليك ؟

ألم تسأل إبنك ؟ ألم تسأله ماذا كان يفعل في حجرتي ؟

ياسيدي إبنك حاول إغتصابي ومن حقي الدفاع عن نفسي وأنا فتاة لا حول لي ولا قوة ...

رفع يده محاولا صفعي غير أني أبتعدت عنه قليلاً ثم صرخ : أيتها الساقطة إنه إبني الوحيد ...

ومع ذلك لم تحسن تربيته ....

سأسلمك للأمن ولو أن إبني طاوعني لكنت الآن خلف القضبان ... ولكن ثقي بأنك ستنالين جزاءك.

طوني لن يوافق على الوشاية بك ...

لأنه يعلم بأنه سيكشف أمام الجميع ويفضح أمره .

تخاذل الرجل وتركني أبتعد وهو يشعر بالهزيمة والإنكسار

أيقن بأن إبنه سيئ وجاء من ينتقم منه أشد إنتقام .

ذلك الأبن الذي أفرط في تدليله شب على أشياء وجدها متاحة له ... وبماله الذي يدره عليه ظن بأنه يستطيع شراء الناس وشراء المتعة أيضاً .

تهت في عالمي الغريب وأيقنت بأن الدنيا ضاقت بي وأني غريبة في بلدٍ لا يعرفني فيه أحد ... لم يعجبني ما أنا فيه كدت اقتل رجلاً ... خائفة ... مرعوبة من كل ما يحدث ...

ومع ذلك أصبح يشدني الحنين إلى الماضي ... إلى أهلي أشتاق للماضي بكل ما فيه ... أشتاق إلى لمسة حنونة تعيدني إلى حيث كنت بالأمس ... أشتاق إلى ماهروأحن إلى خوفه عليّ .

كل ما تمنيته في تلك اللحظات هو الرحيل عن ذلك العالم الغريب عني ، أريد أن أعود إلى ريم الأمس ... ريم التي يعرفها الجميع ... ولكن هيهات ... فهل يمكن للماضي أن يعود ؟

مستحيل ... مستحيل ...؟

كنت على وشك أن أقطع الشارع الفاصل بين الرصيف والفندق حين لمحت جمال ينزل من سيارته ودون أن أراقب الشارع والسيارات هرولت إليه مسرعة .

فوجئ حين رأني اقتربت منه وحين كدت ألتصق به وأنفاسي المنهكة تلامس صدره ، ثم ماهي إلا ثوان حتى أحسست بيدي تستقر داخل يده وإبتسامة عريضة علت وجهي ... فتلاقت عيوننا لأول مرة

بكل هذا القرب، أحسست بالدفئ والآمان ....أيقنت بلحظات بأني نسيت كل أحقادي ولم أعد وحيدة رغم أنه يجهل أمري تماماً ثم سألني :

ريم ما بك ؟ أراك لست بخير..؟

أنت محق .. جمال أرجوك دعنا نغادر هذا المكان حالاً

سألني: إلى أين تريدين الذهاب ...؟

إلى منزلي لم أعد أقيم في الفندق أرجوك دعنا نغادر.

قال : كنت أريد رؤية طوني ...

طوني ليس هنا ..

وأين هو ؟

سأخبرك ونحن في طريقنا إلى المنزل .

التفت نحوي ورشقني بنظرات ماكرة رقصت الشهوة فيها وقال بلهجة ماكرة أيضاً :

بل سنذهب إلى منزلي أنا ...

أحسست بمكره وكرهت كونه يمكن أن يكون أخي ولكنني كنت على يقين بأني سأوقف تلك المهزلة في الوقت المناسب ثم قال : متشوقة للقائي أليس كذلك ؟

وبطريقة لا تخلوا من الميوعة والإغراء وجدت نفسي أفتح باب السيارة وأدلف إليها وانا أقول له : بالفعل أتوق للقائك منذ زمن بعيد ...

انصاع لرغبتي المجنونة وأراد الإبحار إلى حيث يريد ثم ماهي إلا لحظات حتى وجدته يدير محرك السيارة وينطلق بها كالمجنون.

*****

## "الحقيقة المرة"

صعدنا إلى المنزل معاً وانا أرى إشارت إنتصاري على وجهه ... تافه أيظن نفسه بأني سأطاوعه فعلاً وأرحل معه إلى حيث يريد .. وإني سأعيش وإياه مشهداً سينمائياً إباحياً لم يعيش مثله من قبل ولا في الأفلام أو الأحلام .

أصبح يتجول في المنزل ويجيل البصر فيه ويعبث بالكتب المركونة هنا وهناك في زوايا المنزل ويقترب من النافذة ويرفع الستائر ثم يسدلها فهو لا يعلم بانه منزل وليد الذي طالما كره وجودي معه.

أنا ما زلت حائرة لا أحسن التصرف .. لا أعرف من أين سأبدء وماذا يمكنني أن أقول له وهو المتعطش للحظة هانئة يقضيها بصحبتي .. ثم أستغليت فترة وجوده قرب النافذة وأقتربت منه أسأله : جمال... ماذا يعني لك إسم ميراي ..؟

فكر قليلاً ثم قال : لا يعني لي شيئاً سوى أنه كان إسمك حين جئت إلى بيروت .

ثم قال بنبرة جديدة عليّ ونظراته ترشقني وتخترق مسامات جسدي ... كل ما أعرفه هو أنها لم تكن من معجباتي ...

ضايقني إستهتاره وكرهت جوه المشحون بالفجور والفتيات العابثات ومع ذلك قررت التحدث عن الماضي وكلي أمل أن يتذكر بعضاً من طفولته فقلت له :

ميراي كانت امرأة ولدت وعاشت في هذه المدينة الملونة بالوان قوس قزح ...

جلس جمال على الأريكة وعلى ما يبدو قرر الأستماع إلى ما سأقوله فتابعت الحديث:

كانت امرأة ولا كل النساء ... أحبت وعشقت وتحدت عالمها وأهلها وتخلت عن دينها كي تتزوج بمن تحب واتبعت ديانته وهواه .. ولكنه كان حقيراً عندما تزوجها تخلى عنها .

هجرها ... أختفى وتركها صريعة الألم والوحدة ..

قال ساخراً : تسردين على مسامعي قصة تريدين كتاباتها ؟

فقلت : وهل أوحيت إليك بأني كاتبة مثلاً ؟

ربما وما أدراني ... ؟ تتحدثين بالألغاز كما لو كنت تريدين إختراقي من الأعماق كي تصلين من خلالي إلى فكرة معينة .. أو ربما تريدين إستدراجي لشيءٍ ما ؟

ريم .. لماذا لا تدعينا من كل هذا ولا تقدمي لنا شيئاً نشربه

أخشى أني لا أملك في المطبخ النوع الذي تفضله .. ؟

ليس مهماً .. دعينا من الشرب الآن

ثم رأيته تأمل وجهي بعمق وقال : تعلمين عيناك الواسعتين ثم صمت ...

فقلت له : عجيب حتى أنت تخرج عن النص وترتجل حواراً يختلف عن نص الرواية كما لو أنك تريدني أن أقدم لك كأساً تسكبه عيني ؟

وهل تفعلين إن طلبتها منك ؟

وهل تستطيع ارتشافها رغم ملوحتها .؟

لم لا ستكون بالنسبة لي أحلى من العسل ...

جمال ... أنظر في عيني ... ألم تلاحظ بأنها كعينيك تماماً ؟

عزيزتي جردي نفسك من الجدية التي أنت فيها وكوني امرأة حقيقية وأغرني بما أحب واشتهي ... أغريك بماذا مثلاً ..؟

أنا أتمايل امامك كسكرانة ... وأتغنج عليك وأرتدي ثياباً فاضحة وأراقصك في الملهى واضمك كأنك حبيبي ..

وما الضير من هذا ؟ تعالي واخبريني لماذا أتيت بي إلى هنا ؟

هل تشرب شيئاً ؟ قهوة ..عصير برتقال .. شاي .. أي الأنواع تفضل ...؟

لا تهربي من سؤالي .. ماذا تريدين مني ؟

ما تريده أنت بالضبط ثم فكرت ... هو يعرف ماذا يريد مني وأنا اعرف ما أريده منه ولكنه لا يعرف تلك الحقيقة التي أدفنها بداخلي لمحته ينظر إلي نظرات تكاد تعريني من ثيابي لوقاحتها وهو يقول : لما لا تدعيني أرشف من حلاوة شفتيك القرمزية قبلة تخلدني وتكون بالنسبة لي الجرعة التي أريد فلا أحب إليّ من أن أشبع نهمي وأروى ظمأي من نهر أنوثك العذب .

صدقيني أشتهيكي منذ النظرة الأولى التي رأيتك فيها بلملمى ...

فقلت له متحدية كلامه كي أرى إن كان طوني يهمه أم لا ..

أتريد ان تروي ظمأك من نهر أنوثتي وصديقك العزيز في المشفى .؟

زعزعت كيانه ... زلزلته وأخرجته عن نص حواره وأصبته في صميمه فهرع إليّ يستفسر الأمر وهزني من كتفي وهو يسالني بخوف : ماذا تقولين ؟

أجل طوني في المشفى .. لقد دخل حجرتي ليل أمس فطعنته بالمقص .. هذا كل ما في الأمر ...

دفعني إلى الخلف وهو يصرخ .. مجرمة سفاحة ... ولماذا لست في السجن .؟

لأن أمثال طوني لا يملكون حق الشكوى على امثالي لا يستحق أن أسجن من أجله ...

أتريدين قتلي أنا الأخر لهذا استدرجتني إلى هنا ؟

لا ... لا أنت لم ولن أفكر بأذيتك حتى ... طوني تمادى عليّ لهذا نال جزاءه ..

مسك كتفي بعنف وهزني بقسوة وصرخ غاضباً :

سافلة ومنحطة وطوني لم يؤذك مطلقاً ... هو أوهمك بذلك كي تنصاعي لرغباته دون تمنع .. لم يكن سافلاً كما تظنين وعلاقته العابرة كانت برغبة من الفتيات أنفسهن أما انت كنت تختلفين بالنسبة له عن باقي الفتيات إنه يحترمك حتى النهاية ... إنه يحبك بصدق وهو أخبرني بذلك ...

أحسست بالغثيان وربما بالغضب .. وهبطت تلك الكلمات على مسامعي كالمطارق وقلت له أنت تكذب ... أنت مثله تماماً ... هل تنكر بأنك جئت إلى هنا من أجل أن تنال مني وتلهوا بي وتروي ظمأك بجرعة محرمة عليك أتنكر هذا الجمال ؟

صاح وهو يحمل رأسه بين كتفيه.. أسكتي أرجوك أسكتي

أسكت لماذا؟ قل لي ألم تملوا من بيع أنفسكم في سوق المتعة والمجون ... أين هي رجولتكم وكرامتكم ..؟ متى تستيقظون من غفلتكم وتوقنون بأنكم تتخبطون في ظلمات المجون ....

ريم ... ستندمين على كل كلمة قلتها على مسامعي الآن ..

لا بل سنرى من سيندم يا صديقي ...

ثار غضبه كبركان وفقد السيطرة على نفسه تماماً حين دفعني بقسوة وأوقعني أرضاً ثم سقط فوقي وأخذ يضغط على عنقي حتى كان يخنقني وأنا أحاول الخلاص منه بكل ما أعطاني الله من قوة..

لم أكن أملك سلاحاً إلا أظافري التي غرزتها في ساعديه ... ثم لا أدري كيف تنبه لنفسه وابتعد عني فجأة فأعتدلت بجلستي وصدري يعلوا ويهبط بقوة ثم أخذت أتلمس عنقي الذي تحرر من قوة قضتيه ثم صرخت به :

أيها المجنون كدت تقتلني ...

نظر إليّ ورغبة مجنونة جامحة لمعت في عينيه كما لو كان يريد إفتراسي هو الأخر والأنتقام مني .

رغبة أخذته إلى عالم غريب عن كلينا بينما ما زلت أسترجع أنفاسي التي كاد يخنقها .

خفت من أقترابه مني ومن نظراته الماكرة ... خفت من الشهوة التي بدأت ترقص في عينيه فأحسست فجأة بأن الدم تجمد في عروقي ... فذلك الأحمق لا يدري بأن داخل أوردتنا يتدفق دم واحد ... سرعان ما لمحت ذلك البريق في عينيه .

أخذت نفساً عميقاً قبل أن أشعر بيده تتسلل فجأة لتضغط على يدي ثم أحسست بوجهه يقترب من وجهي إلى حد الألتصاق وشفتيه ترتعشان ... ثم رأيته يبتلع لعابه قبل أن يحمل وجهي بين كتفيه وهو يقول :

جميلة أنت إلى حد السحر.. لا أدري كما لو كنت قد رأيتك منذ زمن طويل ..؟

أنت مجنون لأنك تعرفني فنحن ألتقينا منذ أكثر من عامين ونعرف بعضنا جيداً ..

لا ... لا أقصد في لبنان ... أحاول استرجاع ذاكرتي أظنني أعرفك ..

لم أرد عليه .. بل أنتظرت حتى يذكرني .. أو يذكر أين رآني .. مجنون .. هو لم يرني بالطبع ... لم يخطر في باله بأني أشبهه وكلانا نشبه والدنا ... ومع ذلك لم يذكره

وراح يتلمس وجهي ولا أدري لماذا ومنذ تركت البلدة ورحلت إلى المدينة ومن ثم جئت إلى بيروت كل الرجال الذين عرفتهم رغم قسوتهم وعنفهم ورغم الشهوات التي كانت تتراقص في أعينهم ورغم رغبتهم في أمتلاكي كنت أراهم يتحولون فجأة إلى قمة في العذوبة والرقة .

فهذا الذئب الذي انقض عليّ منذ قليل وأراد خنقي يحاول بطريقة ما الاستحواذ عليّ والفوز بي .

ولكن هيهات ... إلا أنت يا جمال .. ليس أنت .

قبل أن يتمادى ويقع بالخطيئة قررت طعنه وهو الأخر و لكن بطريقة تختلف عن طريقتي التي طعنت طوني بها، كان قد ظن نفسه ملكني للحظة حين صحت به مستنكرة فعله:

ماذا تفعل أيها الأحمق .. أنا إبنة أبيك .؟

أصابته جملتي في صميم قلبه ... تاه عن واقعه للحظة وظل يحدق بي بينما أحسست بأن ناراً اندلعت في أوصاله فعاد يسألني من جديد بطريقة أقرب إلى الهمس: ماذا قلت ؟

أجل نحن أخوة من نفس الأب ....

حمل رأسه بين كفيه وأخذ يضغط بهما على رأسه ثم ركع على الأرض وأخذ يضرب رأسه حتى كاد يهشمه وهو يصرخ : كاذبة .. كاذبة .. والدي رجل صالح لا يفعلها .

كنت أراقب تحركاته والعلامات التي ارتسمت على وجهه ... فجأة تحول إلى طفل صغير ... حزنت من أجله، اقتربت منه وتحركت بداخلي مشاعر الأخوة وساعدته على رفع رأسه وطلبت منه أن ينظر إليّ ويتأملني فقلت له : جمال حبيبي أنظر إليّ جيداً تأملني ... ألم تلمح الشبه بيننا ؟ ألم يقل لك أحدهم بأنك تشبه والدك ؟

أعرف بأني أشبه أبي ...

أعرف لذلك أنت تسأل نفسك أين رأيتني ..؟

أنت رأيتني من خلال والدك.. جمال هل تذكر الصورة التي وقعت مني في المطعم ؟ تلك كانت صورة والدنا حقاً .

أنت قلت ليّ يومها بأن الصورة التي تركتها لي أمي قبل خروجها باحثة عن أبي ولم تعد حتى الآن .

حملت رأسه وجذبته إليّ كي أضمه إلى صدري وأنا أقول له : أرغب بمعانقتك كي أشعر بالأمان وأنك أخي بالفعل ، أريدك أن تحدثني عن أبي وعن ميراي .. أمي التي أغراها بالحب الكاذب والخديعة ثم هجرها وأنا كنت ما أزال في أحشاءها.

كرهت والدي قبل أن أراه لمجرد أني سمعت بأنه هجر أمي رغم حبها الكبير له وما جئت إلى هنا إلا لكي أسأله عنها وعن مكان وجودها وكي أسأله لماذا فعل بنا هذا ؟

حرر جمال نفسه من بين يدي وعاد يحمل رأسه بين كفيه وهو يطلب الرحمة من الله والغفران ثم صاح:

يا الله ... يا الله لماذا وضعتني بهذا الأمتحان... سامحني على ما كنت سأفعله بدمي ... بأختي ...

أقتربت منه وأنا أربت على كتفه محاولة التخفيف عنه وأنا أقول له :

أنت صدقتني

لم يرد عليّ فتابعت حديثي:

عزيزي لا تلم نفسك فأنت لم تكن تعرف ما أنا بالنسبة لك .. كلانا ضحيتان لرجل أستغل أمي وغرر بها وخدع أمك وكذب عليها ...

ثم نظر إليّ وسألني: أخبريني هل آذاك طوني ؟

لا... دعك منه لقد نال جزاءه ...

كيف عرفت من أكون ومن ارشدك إليّ حتى أستطعت الوصول إليّ ..؟

كل ما حدث كان مصادفة ولم أفكر يوماً بالبحث عنك أنت بالذات لأني لم أعلم بوجودك أصلاً ولكن أحدهم قال لي بأنك تشبهني لذلك ذهبت إليك ورميت الصورة أمامك .. لم أكن أرى فيك إلا رجلاً أفسده المال وخربت عقله الطبيعة التي نشأ فيها وترعرع أو الحرية المفرطة التي منحك إياها والدك ... وليد الذي يرتاد الفندق أحياناً هو من نبهني للشبه ما بيننا فأفتعلت ذلك الحوار حين أوقعت الصورة والتقطها أنت وسارت الأمور كما أشتهي وأحب ....

ومن يومها لم أرك وكنت أنتظر قدومك بفارغ الصبر لقد أختفيت فجأة واليوم شاء لنا الحظ والتقينا ...

أنا سعيدة كوننا معاً .. ولكن أخبرني ألك أخوة أخرون ؟

أجل ولكن دعينا من أخوتي وأخبريني عن امك وعن علاقتها بأبي وماذا حدث ؟

وماذا يمكن أن أخبره ؟... تهت ... تهت للحظات عن واقعي تماماً فسؤاله أعادني إلى نقطة الصفر.. ماذا يمكن أن أخبره عن أمي وأنا نفسي لا أعرفها ولم أرها ..؟

الماضي تحدث ... والذكريات فرضت نفسها وأخذت الدور الأكبر بسرد الأحداث وكأني أوشكت على خط رواية وليد بنفسي ... داهمني الوقت حتى أيقنت بأن القصة أخذت منحنى أخر أكثر من مأساوي أحسست بالألم يتسلل إلى أعماق جمال حين لمحت دمعة تسقط من عينه كما لو كان قد تأثر بحديث الماضي ... أو ربما تأثر بخديعة والده لولدته وخداعه أمي.

الهرم الأكبر... المثل الأعلى ... القدوة كل هذا إنهار أمامه وتلاشت المبادئ ثم صاح بحرقة :

أبي ... أبي ... آه من أبي .. أين هي مبادئه وقيمه وأخلاقه التي زرعها فينا منذ طفولتنا ؟ أين ذهب كل شيء أنشأنا عليه ؟ أمعقول أن يكون والدي سافلاً إلى هذا الحد؟ كيف لا يكون سافلاً وهو من زج بي إلى أعماق اليم وأغرقني في بحر الشهوات ولعنة الرغبات المجانة التي ساقتني إلى عالم المجون والأنحلال قسراً، جعلني أصنع من نفسي أداة تسيرها أية امرأة على مزاجها ... صرت أنصاع لرغباتي المجنونة وللذائذ الدنيا وفتحت أمامي كل الأبواب المحرمة وماتت رغبتي بل مات كل ما هو جميل.

أحس فجأة بصدره ينكمش فنهض من مكانه وأتجه نحو الباب مسرعاً كي يفتحه قليلاً ثم اتجه نحو النافذة وفتحها كي يستنشق الهواء النقي ... أو ربما كي يمنع نفسه من الأختناق وتساءلت ...

ماذا فعلت به وهو أخي مهما كانت الظروف هو أخي.

لماذا كل هذا الحزن في عينيه ؟ إلى أين رحل ... ما الذي زلزل كيانه وفجر بركان جبروته ؟ كل شيء فيه قد تفجر .

أيقنت بأنه سينفجر.. ضاع ... ضاع .. في زحام أسئلة تصارعت في رأسه لوهلة ... ثم أقترب مني ومسك كتفي يتوسلني وهو يقول : ريم ... قولي لي بأن كل ما قتله لي ليس حقيقة فرأسي ضعيف لا يستطيع حمل أثقال الماضي ... أخبريني بأن الصورة المزروعة في خيالي منذ الصغر مجرد خيال وليس واقعاً ... قولي بأنها كذبة ... قولي بأن أضعاث أحلام طفل صغير..

فوجئت بما يقوله وسألته: ما الذي تتحدث عنه وعن أية أحلام تتحدث ... أخبرني ماذا تعرف عن الماضي ؟

ثم صاح ـ كذبة ... ما قلته لي كذبة أليس كذلك ؟

لا ـ لم تكن كذبة هي حقيقة وجودي هنا ... أنا ماكنت لآتي إلى هنا لو كان ما سردته على مسامعك كذبة .

أنا هنا كي أبحث لنفسي عن هوية

تحاصرني نظرات جمال المصدوم ـ تحاصرني الأسئلة والمخاوف ـ يحاصرني الماضي بكل ما فيه من أسئلة وأكاذيب ... اللحظات تمضي مسرعة وأخي ماتزال عيناه شاخصة نحوي وهو التائه وسط زحام قصة عصفت بها السنين ...

فجأة رأيته يركض مسرعاً نحو الباب الخارجي ثم فتحه وخرج من المنزل غاضباً وقد تحول إلى جمال أخر يختلف تماماً عن جمال الذي عرفته وانطلقت خلفه محاولة منعه من الخروج حتى يهدأ ولكني لم أستطع اللحاق به لأنه صار يقفز على الدرج مسرعاً وماهي إلا لحظات حتى غاب عن ناظري تماماً فأغلقت الباب وتركني حائرة وتائهة .

بت اشعر بوحدة شديدة حتى وليد لم أره منذ فترة وهومن منحني منزله كي أسكن به ...

دخلت إلى حجرة النوم وأنا أجر ساقاي ثم لا أدري كيف تنازلت وألقيت بجسدي المرهق فوق السرير.

مرت ساعات وساعات وأنا غارقة تماماً بقصة لم أعرف حقيقتها بعد وهربت بلحظة عما كنت أفكر به وغفت عيناي فرحت أغط في سبات نوم عميق ، كنت انتظر عودة وليد على أحر من الجمر كي أخبره بما حدث ولكنه لم يأت ... أصبحت أشتاق لوجوده إلى جانبي ـإلى حضنه الدافئ ...إلى كلماته الحنونة ورقة أحاسيسه وعذوبة مشاعره ـ بت أشتاقه وكأنه نصفي الأخر...

مرت الساعات بطيئة عليّ وأنا أجلس وحيدة في المنزل ولكن سرعان ما أفزعني صوت طرقات متسارعة على الباب ويد أخرى فارغة الصبر تضغط على الجرس ... أتجهت نحو الباب مسرعة وقد كنت على يقين بأن الطارق ربما يكون وليد أو جمال ومع ذلك زعق صوتاً غريباً من الخارج وهو يقول:

افتحي الباب بوليس.

أرتعد قلبي وتراخت مفاصل ساقاي والصوت المرعب قضى مضجعي . لم أجد للفرار سبيلاً من كل ما اعتراني فأيقنت بأن مكروهاً حدث لطوني .. فتحت الباب وإذا بي أجد نفسي محاصرة برجال الشرطة من كل جانب رجعت إلى الخلف بضع خطوات وصحت:

ماذا يجري ؟

أقترب أحدهم وسألني: أنت ريم ؟

أجل انا ريم ماذا تريدون مني ؟

لدينا أمر بالقبض عليك ...

لماذا ....؟ هل مات طوني ...؟ لم أقصد أذيته صدقوني ..

المغدور ليس طوني ... بل هو شاب أخر شوهد قبل مقتله برفقتك أنت وقد أدعت عليك فتاة تدعى جويل ... زميلتك في السكن والعمل...

جويل تدعي علي؟!

سقطت عليّ تلك الكلمة كالصاعقة .

جويل صديقتي ... ومع ذلك تناسيت أمر جويل وسألته ولكن هو ذلك الشاب ؟

إنه جمال ..

جمال ... لا أدري كيف أقترب مني أحد رجال الأمن وقبل أن يقيد يدي سألته عله ينكر الأمو ويخبرني عن شخص أخر ولكنه لم ينفي الاسم ...جمال...جمال المغدور.

دارت الدنيا من حولي ...ليس من الصواب أن أفقد أخي بعد أن وجدته ...ليس معقولاً...

فقال الشرطي: كل شيء يدينك لقد وجد مقتولاً هنا في أسفل المبنى ...تملكني إحساس جارف بالحزن والخوف ...ثم شعرت بغشاوة سوداء تغطي عيني مما جعلني أفقد السيطرة تماماً على نفسي وتلاشيت من هول الصدمة وسقطت مغشياً علي...

استيقظت من غيبوبتي لأجد نفسي في زنزانة مظلمة مقرفة تملؤها القذارات والحشرات وتأكل الرطوبة جدرانها...بعد ساعة أو أكثر قضيتها بالأنتظار والقلق والخوف وجدت نفسي في غرفة التحقيق والأسئلة تنهال علي من كل جانب وأنا ما زلت مفصولة تماماً عن كل ما كان يجري حولي ...

لم أكن أفكر بكل ما كان يقال ولم أهتم... كل ما فكرت به هو جمال أخي الذي مات في ريعان شبابه مات قبل أن يشعرني بأخوته ويغمرني بعطفه ...أي ظلم هذا ... وأي قدر أحذه مني ...لم أضمه إلي لم خذه إلى صدري لم يقل لي أختي.

حاولت مراراً الخروج من نص ذلك الحوار الممل بيني وبين قاضي التحقيق وتمنيت لو هله أن أصرخ به أخيراً بأن ذلك الميت هو أخي...أخي لحمي ...دمي..ولكن هيهات لن يصدقني أحد ...أين الأثبات؟

لن يرحمني القاضي ولن يرأف لحالي ولا لخوفي ولا لنظراتي المضطربة وكلماتي المتقطعة ...

أنا أعرف القانون وأعرف متاهاته العميقة...

استمريت طويلاً بالثرثرة بيني وبين نفسي حتى مللت وأستبد بي اليأس...أحاول أن أجد لنفسي حلاً يخرجني مما أنا فيه.

أنتهى التحقيق وعدت إلى الزنزانة والظلمة المحاطة بها وبكيت..بكيت طويلاً وبدأت أناجي الله عله يستجيب لي ويخرجني من تلك الدوامة ويفرج عني كربتي ويزرع القوة في قلبي ويمنحني الصبر والشجاعة ثم استلقيت على البطانية الوحيدة في الزنزانة وضعت رأسي على وسادة مقرفة والروائح المختلفة تطبق على أنفاسي ... أنفاسي متلاحقة وأصوات مرعبة يرن صداها في الجوار.

كل هذا وعيناي شاخصتان بالسقف الذي ملأته خيوط العنكبوت أغفو للحظات ثم استيقظ مرعوبة فزعة كما لو أني اسقط من علو شاهقٍ ... كيف أجد للنوم سبيلاً والحشرات تقف حائلاً دون ذلك ..

مللت استلقائي غير المجدي فأعتدلت بجلستي في زاوية الزنزانة وثبت قدمي على الأرض وذراعي متمسكتين بركبتي أشد عليهما كما لو كنت أخاف أن تأكل الحشرات أحد أضلعي ... وصمت ثقيل .. ثقيل يدب من حولي ... اثقل من وحشة السجن نفسه ...

أحسست في صباح اليوم التالي بحركة قدم قوية توقظني مما أشعرني بالألم فتحت عيني لأجده شامخاً أمامي كعامود

تأملت المكان المقرف وتمنيت لو أني أستيقظت من حلم مزعج .. وأي حلم ... إنه كابوس... كابوس .. أنا في زنزانة صاح بي الرجل:

هيا تحركي قاضي التحقيق يريدك ...

سألته: كم الساعة الآن ؟

انحنى عليّ وشد يدي بعنف مما جعلني أقف مرغمة وأنا أشد على كتفي بذراعي شاعرة بالألم فقلت له : كان يمكنك أن تكون معي ألطف من ذلك فأنا لم اسئلك إلا عن الساعة ...

تظنين نفسك في الخارج ... هيا أمامي القاضي ينتظر

سرت معه طائعة كما لو كنت أسير إلى حتفي ... أحسست بالإهانة ... إحساس لم أشهد مثيله من قبل.

وصلنا إلى غرفة التحقيق .. تأملني الرجل لبعض الوقت ثم طلب مني الجلوس على المقعد المقابل لمكتبه غير المرتب والذي ملأته الأوراق المبعثرة والملفات الملونة غير المنتظمة على الإطلاق وفنجان قهوته مازال ممتلئاً ...

جلست وأخذت نفساً عميقاً وحمدت الله على معاملة ذلك الرجل الحسنة ثم قال لي :

ريم أخبريني ما الذي جعل جمال يذهب إلى شقتك ؟

قدره يا سيدي قدره ... سيدي سأخبرك بما حدث وعليك أن تصدقني ... أنا لم أقتل جمال .. لم أقتله ... ثم لماذا أقتله وهو لم يؤذني مطلقاً ؟

ما الذي كان بينكما ؟

كان مجرد صديق ليس إلا ...

لماذا استدرجته إلى شقتك ؟

لم أستدرجه جاء إلى منزلي بمحض إرادته ...

لم يتابع الرجل التحقيق لأن أحد عناصره طرق باب مكتبه ودخل يقول له :

سيدي والد المغدور في الخارج ..

قال المحقق .. دعه يدخل ...

زلزلني بقوله وأخترقت تلك الكلمة مسامعي كالصاعقة ... والدي ... والدي يقف خلف ذلك الباب أي قدر هذا الذي جمعنا معاً وفي ظروف كهذه وفي مكان كهذا؟ لا ... لا ليس هذا ما اردته .. مطلقاً.

أحسست بجسدي يرتعش وقلبي يخفق خفقاناً شديداً ووجهي يلتهب ثم وقفت وطلبت من المحقق أن يعيدني إلى الزنزانة قبل دخول ذلك الرجل.

أمرني الرجل بالجلوس وهو يقول: إنها رغبة والد جمال هو يريد لقاءك ومحادثتك بشأن مقتل ولد ..

تخاذلت ورميت جسدي على الكرسي وتخلت عني إرادتي تماماً.. تهت .. تهت بلحظات وسط ضباب كثيف وتمنيت لو أني لم اره أبداً .

دخل والدي وما أزال ضائعة بين أسئلتي وخوفي.

دخل أبي وما أن رآني حتى شملني بنظراته الفاحصة وربما الحاقدة .. تملكني إحساس جارف لا أدري إن كان حباً وحناناً أو كرهاً .. وربما إحساس بالشفقة عليه كونه فقد إبنه وتمنيت لو أركض إليه وأرمي برأسي فوق كتفيه وانا ديه أبي ... ولكن هيهات .. فهو لم يشعر اتجاهي بذرة واحدة من العطف .. لا ألومه لأنه والد مفجوع بمقتل ولده الشاب .

جلس فوق كرسيه والحزن يطفح في نفسه .

مازال عنصر الأمن يقف قرب الضابط ولأنهاء ذلك المشهد المرعب والمحزن ، ومن أجل حالة أبي الذي يكاد أن ينهار لأني أقف أمامه طلب المحقق من عنصره أن يعيدني إلى زنزانتي فشعرت بالأرتياح لأني لم أكن أحب تلك المواجهة بيني وبين ابي ، غير ان والدي أشار له بيده وهو يقول بصوت متحشرج مخنوق:

دعها إذا سمحت أريد محادثتها ... أريد أن اعرف لماذا قتلت إبني وما الذنب الذي أرتكباه هو وطوني كي يستحقا منها هذا العقاب.

نظرت إليه بغضب وبداخلي تصارعت الصرخات وحدثت نفسي... ليتك تنظر إليّ جيداً لتعرف من أكون... ليتك تعرف ماذا كان جمال بالنسبة لي .

إنصرف العنصر على حين نظر المحقق إليّ يسألني :

ماذا بك ترتجفين؟

صرخت بالرجل الذي هو أبي كي ألفت أنتباهه وهو الجالس قبالتي... عله يشعر بي ويغلبه الحنان وتتحرك غريزة الأب بداخله... عله يدرك حقيقتي:

أرجوك كف عن توجيه أصابع الأتهام لي فانا لم اقتل إبنك ، لم أقتله .

فصاح المحقق: ما زلت تنكرين ؟

لا أنكر إنها الحقيقة ، لقد كان جمال في شقتي وتناقشنا وأحتدم النقاش ما بيننا تشاجرنا لبعض الوقت ثم تصافينا وحدث بيننا حواراً مطولاً فخرج من منزلي غاضباً وركضت خلفه كي أعيده إلى المنزل كي يهدأ ولكنه ابى وظل مسرعاً بالنزول على الدرج، ما هي إلا لحظات حتى اختفى عن ناظري فقفلت باب منزلي خلفي وبعدها لم اسمع شيئاً عنه إلا عند قدوم رجال الأمن إلى منزلي وساقوني إلى هنا .

سألني الضابط المحقق : وما نوع الحديث الذي دار بينكما ؟

نظرت إلى الرجل الجالس قبالتي وأحسست بأنها الفرصة الوحيدة لفتح حديث الماضي أمامه .. يجب أن أفجر بركان صمته هو الأخر عله يخبرني أين هي امي...سأزلزل كيانه وأحرك ماضيه الذي ظن بأنه دفن منذ سنوات عله يشعر بي ويستيقظ من غفلته.

تابعت حديثي محاولة لفت إنتباهه وقلتها على الفور:

كنت احدث جمال عن امرأة اسمها ميراي، ميراي امرأة شابة جميلة كانت تعمل في مطعم فغرر بها رجل ووعدها بالحب والأخلاص لها مدى الحياة وجعلها تخلع كل ما يربطها بأهلها وعالمها ودينها تخلى عنها وتركها صريعة الوحدة في عالم لا تعرف فيه أحد ودون مال ومأوى وهي الوحيدة في ذلك البلد .

نهض أبي غاضباً واقترب مني ماسكاً كتفي بعنف وقال وهو يهزني بقسوة :

من أين عرفت كل هذا؟ ماذا تعرفين عن ميراي ومن أنت كي تتحدثين عنها؟

خفت من الضغط الذي أحاطني به ومن منظر وجهه الذي تدفق الدم فيه... خفت من نظراته الخائفة والغاضبة ومن ماضيه المؤلم الذي حركته لتوي .

حاول المحقق تهدئة ابي بينما دخل العنصر من جديد..

هدا أبي قليلاً وعاد كي يجلس على كرسيه كمن تخلت عنه إرادته فقال العنصر:

سيدي تقرير الطبيب الشرعي وصلنا الآن من المشفى .

نظر القاضي إليّ وهو يفتح الظرف وكنت مطمئنة القلب كوني أعرف بأني لم اقتل أخي فذلك التقرير سيحدد مصيري ووحده سيثبت براءتي .

قرأ المحقق التقرير بعينه ثم وضعه على الطاولة ووضع مرفقيه على المكتب وشبك أصابع كفيه ببعضهما وهو ينظر إلى كلينا وأنا لم أستطع صبراً ... سألته :

ماذا عن نتيجة التقرير ؟

نظرت إلى أبي وقلت له: لم أقتل جمال صدقني ولم أدفعه عن الدرج ... ولم أدس السم في شرابه صدقوني.

التفت المحقق إلى أبي وقال: ريم محقة هي لم تقتل جمال .

على ما يبدو الحوار الذي دار بينهما كان حاداً جداً مما جعله يخرج من منزلها غاضباً أو مصدوماً وذلك عجل في موته.

وقف أبي وأحسست بأن النار بدأت تغلي في عروقه وقال غاضباً: أفصح أرجوك كيف مات ولدي؟

للأسف جلطة مفاجأة أوقفت وظيفة القلب وهبوط في ضغط الدم ..لا شيء في الجثة يدل على تعرضه لتناول جرعة سامة أو تعرضه لكدمات أو ما شابه أو حتى وقوعه من أعلى الدرج .. لقد سقط على الدرج بعد موته .

صحت متألمة ... سحقاً لي سحقاً لي أنا السبب .. أنا السبب فلو خرجت خلفه لاستطعت إنقاذه .

أشار المحقق بسبابته يوجه إتهامه لي من جديد :

تعرفين بأنك السبب ومن يدري ربما رأيته يموت ولم تسارعي لأنقاذه.

فقدت السيطرة على نفسي وثرت عليه وصرخت:

أرجوك أن تكف عن توجيه أصابع الأتهام لي ... كيف يمكنني قتله وهو أخي.. أخي .

صعق المحقق من كلمتي وكذلك أبي على حين أقترب مني وقد بدت في عينيه أقصى إمارات الدهشة والذهول .. مسك كتفي يهزني ويسألني:

ماذا تقولين ؟

أقتربت نظراتي من نظراته ولأول مرة أحس بأبوته التي عشت عمري كله وانا محرومة منها رغم أن رجلاً أخر رباني ومنحني شرف أبوته وهو من أستحق أن يكون أبي .

أحسست بنظراته المتوجهة نحوي رغم قسوتها ورغم ضغط يديه على كتفي وأنفعاله ...

كان قريب من كل ذلك القرب كأنه ينتظر أن أعيد على مسامعه تلك الجملة من جديد.

قلت له كي أريح أعصابه المنهارة :

أجل ... أجل أنا ريم إبنة ميراي ... إبنتها يا أبي... ميراي التي تركتها وأنا ما أزال داخل أحشائها .. هجرتها للأبد وهي لم تجهضني مطلقاً وأرادتني بقوة حين أعلنت أنت حربك علها .

تاه في نظراته .. أراد الأستنكار أو أنه مازال لا يستوعب حقيقة ما سمعه مني .

وضع رأسه بين كفيه وصرخ صرخة مدوية ...

لم يتحمل لومي له وكانه يريد إنكار حقيقتي التي صعقته ثم أحس بأن فقد توازنه وغشاوة سوداء غطت عينيه فسار متثاقلاً نحو كرسيه وقبل أن يجلس خارت قواه وفقد السيطرة على نفسه وربما إحساسه بالحياة وسقط على الأرض فاقداً الوعي على حين أرتطم رأسه بالكرسي خلفه وأنا ما ان رأيته على ذلك الحال حتى أحسست بأن قلبي قد انتزع من صدري لمت نفسي وزعقت من داخلي: "لا ... لا لن أكون السبب بموت الأخر"، ومع كل تلك التناقضات بقيت مكاني ولم أحرك ساكناً وكأني جردت من إنسانيتي وعواطفي وكان ذلك الرجل الملقى على الأرض ليس أبي الذي بحثت عنه طويلاً ولكن فجأة أفقت من صدمتي .. من ذهولي كما لو ان الماضي صفعني صفعة قوية جعلتني أستيقظ من غفلتي لأندفع نحوه وأسقط إلى جانبه وانا أصرخ :

أبي .. أبي

أما المحقق بدا كما لو أنه صعق هو الأخر بينما كان يصغي إلى حوارنا المطول وفضوله جعله ينتظر عله يسمع المزيد.

كانت الدقائق التي قضيتها في المشفى مملة ومرعبة للغاية أرهقني المسير في ممرات المشفى ذهاباً وإياباً أنتظر أن يردني نبأ يطمئنني عن أبي الموجود في غرفة العناية الفائقة ... كنت أخشى أن يموت الأخر بسببي ولا يخبرني عن مكان أمي ...

لا أريد أن أكون السبب بموت الأبن ثم الأب لن أسامح نفسي إن حدث هذا وقفدت أبي بسبب قصص الماضي لا أريد أن يلعب القدر معي لعبته فيموت أبي دون أخباري الحقيقة... ماذا أكون قد حصدت طوال فترة وجودي في لبنان ..

نبشت أوراق الماضي وبحثت بين اسطره عن الذكريات المؤلمة التي لم توصلني إلا إلى السراب ... ثم تذكرت وليد.

أين أختفى هو الأخر فجأة تذكرت.. وأنا في أمس الحاجة إليه فلو كان حاضراً لوجد نهاية رائعة لروايته واصبح قلمه مستعداً تماماً لخوض معركة بينه وبين الكلمات وأصبح قلمه بريد قلبه إليه كما قال ( المقفع) بالفعل القلم يقودنا إلى المتعة في أكثر الأحيان رغم مرارة الحياة ..ولكن عن أية قصة أتحدث .. فالقصة لم تكتمل بعد .. كيف لأبي أن يفقد وعيه قبل أن يأخذني بين ذراعيه ويضمني إليه كي يشعرني بأبوته وحنانه ويعتذر عن تخليه عني وعن أمي ... كنت ما أزال أفكر حين خرج الطبيب من غرفة العناية الفائقة فهرعت إليه أسأله :

أيها الطبيب كيف أصبح أبي؟

قال وهو يربت على كتفي أطمئني لقد تخطى مرحلة الخطر...

هل يمكنني رؤيته ؟

لا ... ليس الآن ..

غادر الطبيب المكان ووقفت أنا قبالة الباب ووضعت يدي على مقبضه وفتحته بهدوء فتسللت نظراتي من شق الباب واخترقت ذلك الجسد الراقد على السرير لاحراك .. دخلت الغرفة وسرت نحوه ببطئ وجلست إلى جانبه على السرير وحملت يده المطروحة على الفراش ورفعتها لأخفي خدي داخل كفه الكبير استيقظ رأيته ينظر إليّ بحنان وبصوته المخنوق قال :

أنت هنا ؟

أنا أسفة جداً إن كنت السبب بوجودك هنا ...

أخبرني كيف تشعر الآن ؟

مس جبيني مساً رقيقاً وهو ينظر إلى يدي التي تحمل يده وأجابني بكلمات متقطعة متحشرجة ودمعة سقطت من عينيه إلى أذنيه .

يكفي أني أرآك إلى جانبي ويدك تحمل يدي ... هذا وحده يشعرني باني تخطيت المحنة تماماً ...

حزنت كثيراً لموت جمال صدقني .. لم أكن أنوي إغضابه إنه اخي ...

وتقولينها أخي؟ يسعدني هذا ...

ولكن ما الفائدة ... لقد رحل ...

لا تلومي نفسك حتى وإن حاولت إنقاذه ما كان لينجو كان لا بد للقدر من أن يقول كلمته وكأن الخالق عزوجل ينتقم مني ينتقم لك ولأمك التي ظلمتها كثيراً ... أنا الملام الوحيد على كل ما حدث ...

لا تقل هذا فأنت لم تكن موجوداً معنا ..

بل الماضي الذي في داخله هو الذي قتله .. إنه ضحية الماضي والذكريات المؤلمة ...

وما شأن جمال بالماضي ؟

له كل الشأن .. لقد ظلمتك وظلمت أمك، صدقيني لقد أحببت أمك بكل جوارحي ولم أنسها يوماً رغم مرور السنين وكأن الله أرسلك إليّ كي أعود لمحاسبة نفسي على ما أقترفته بحقكما في الماضي .

أبي لا تتكلم أرجوك أنت متعب ...

ومن قال لك باني عرفت الراحة قبل الآن ..

ماذا تقصد ؟

الماضي يعذبني ويسرق مني السكينة والأستقرار دائماً منذ تركتها وانا أرى طيفها يلاحقني ... أشعر بأنها تعيش في كل ركن فيه ... تزورني حتى في أحلامي وتقض مضجعي ، ظلمتها كثيراً أعرف ولا تفارقني لا في نومي ولا في صحوي و كأنها تريد أن تحملني رسالة معينة أجهل ما كتب فيها: "لا يغرك عالم الترف والبذخ الذين أعيشهما "، عمري لم أهنئ وكأن لدي خوف من أن يأتي يوم وأفقد فيه أحد أبنائي .

جمال بالذات كنت أخاف عليه على الدوام كلما خرج من المنزل يبدأ مشوار قلقي وخوفي عليه حتى يعود .

يوم وفاته خرج من المنزل باكراً على غير عادته وكانه كان على لقاء مع الموت .. لم أسأله إلى أين هو ذاهب كنت أعلم بأنه طوني سيقومان برحلة خارج المدينة ... فلم يمض نهار اليوم التالي حتى علمت بمصرعه ..

فجر الحزن قلبي ولكني أيقنت بأن إبني دفع ثمن أخطائي عندما علمت من تكونين ... أيقنت بأن الماضي فرض نفسه ومازال يعيش بداخلي .

تساءلت بيني وبين نفسي : الماضي ... الماضي ... الماضي .. قتل أخي ... وجمال له الشأن بالماضي ... وما دخل جمال بما حدث في الماضي .

مازال يتكلم وسأظل أصغي إلى أن أعرف ما سر ذلك الماضي ولكني قاطعته وسألته سؤالاً لم يكن ينتظره مني ..

أبي ... أين هي امي ؟

أولاني ظهره وتاه عني لثوان وحبس في عينيه دمعة يائسة وربما خائفة وتملكته الحيرة وسؤالي لجمّ فؤاده .

صمت وأنا اهز كتفيه .. ما بك أبي .. أين هي أمي ؟

التفت إليّ ورمقني بنظرات حزينة وقال بمرارة :

هذا هو الأنتقام الذي حدثتك عنه والذي مات جمال بسببه .. لا تنقمي عليّ يا إبنتي سامحيني .

صحت به : أسامحك على ماذا يا أبي ؟

تابع الحديث وأنا ما زلت أصغي:

جاءتني أمك إلى منزلي في حلب وأخبرتني بأنها أنجبت وكنت قد اتفقت معها على أن تسقط جنينها لأني لم أكن حينها مستعداً لتحمل مسؤولية طفل منها بسبب ظروفي وزواجي من أخرى .. أصرت عليّ تريدني أن أعلن زواجي منها على الملأ وأنسب طفلتي إلي.

خفت ... كيف أعلن زواجي وأعترف بأبنة لي من امرأة أخرى أخرى وزوجتي كانت امرأة صارمة وحادة الطباع ووالدها هو صاحب رأس المال الذي كنت أتخذه لتجارتي .. كنت شاباً فقيراً لا حول لي ولا قوة وبفضل زوجتي .. بل بفضل أموال أبيها أنا أصبحت على ما أنا عليه وليس هذا فقط بل والدها كان ذو سلطة وهي مدللته وإن علم باني متزوج من أخرى سينتزع مني كل شيء حتى حياتي واولادي ..

صدقيني لو أعترفت بك وأعلنت زواجي من أمك لقتلني وقتل أمك معي .

عندما تركتها لم أتركها كرهاً بها بل كنت أحميها من والد زوجتي وجبروت زوجتي وهذا ما لم تفهمه ميراي وظنت بأني تخليت عنها وزواجي منها كان مجرد نزوة وأنا عشقت أمك بجنون كنت أتمنى أخذها والسفر بعيداً عن عالم زوجتي وأبيها ولكن كل الظروف كانت تقيدني حينها وأولادي كانوا من ضمن تلك الظروف فأنا إن تخليت عن زوجتي سأتخلى عن كل شيء حتى أولادي وهذا ماكنت لا أريده ...

في ذلك الوقت حين جاءت إلى منزلي شجاراً حاداً نشب بيننا وصفعتني على وجهي وإنهالت عليّ بسيل من العبارات البذيئة والشتائم غير اللائقة وأنا لم أتحمل إهانتها لي وأنا أحمل لها بداخلي كل ذلك الحب .

فقدت صوابي وثرت عليها وأنهلت عليها ضرباً وأنا لم أضربها يوماً فهي كانت امرأة تستحق الحب والأحترام .

كنت أحاول دفعها إلى خارج المنزل وهي لم تتمالك نفسها إنهارت من سوء معاملتي وتفاجئت وهي لم ترى مني إلا الرجل المحب والعطوف عليها على الدوام .

بكت يومها بمرارة وأنهارت تماماً ثم فوجئت بها تسقط على الأرض ليرتطم رأسها بحافة الدرج الخارجي ... ظننت في البداية بأنها فقدت الوعي ليس إلا .

حاولت إنعاشها بشتى الوسائل ولكن دون جدوى .

أصبحت أتخبط في الظلمة ... كدت أجن حينها وأنا أجول في الحديقة ذهاباً وإياباً حينها أيقنت بأنها فارقت الحياة ... جن جنوني وصرت أفكر كيف وماذا أفعل بجثتها وأين يمكن أن أواريها وبعد تفكير طويل قمت بحفر قبر لها في طرف الحديقة وعدت كي أحملها إلى حيث حفرت القبر ودفنها وأنا أتألم..

لقد دفنت المرأة التي أحببت بيدي... كل هذا وغاب عني بأن إبني جمال كان في المنزل ... فوجئت به يقف أمامي بينما هي ماتزال بين ذراعي ولم أدفنها بعد .

نظرت إليه ولم يكن في حالة جيدة على الأطلاق .

أيقنت بأن سمع كل ما دار بيننا قبل موتها لأنه كان ينظر إلي كالمجنون .

كان في العاشرة من العمر حينها... ضربته وطلبت منه الدخول إلى المنزل ...أصيب بالذعر وكان خائفاً من كل ما يجري وسرعان ما رأيته يركض مسرعاً ويدخل المنزل ويصفق الباب خلفه كمجنون .

تابعت دفن ميراي ظناً مني بأني إن ورايت جثمانها تحت التراب سأواري جريمتي معها .

كنت أعلم حينها بأن ميراي وحيدة في البلدة فلا أهلها ولا المحيطين بها يعلمون أين هي .

دفنتها بيدي وزرعت فوق قبرها الأزهار.

وزوجتي كانت شديدة المكر فليس من الصعب عليها أن تعلم بان أحدهم قد عبث بالحديقة لذلك كان علي أن فلاحة المكان كي أعيده كما كان .

ومع ذلك عدت وفوجئت بجمال يقف أمامي من جديد وهو يسألني :

أبي لماذا قتلتها؟

لم أقتلها بني صدقني لقد وقعت وحدها وارتطم رأسها .

قال وهو يبكي ... رأيتك تدفنها أبي... فلو لم تقتلها لطلبت لها الأسعاف وقمت بأنقاذها إن كانت حية ..

خفت من كلامه ... من جرأته ... خفت من كل ما يدور في رأسه وفكرت ماذا لو كانت حية بالفعل.. ولكن كان الوقت قد فات فزوجتي كانت ستعود إلى المنزل ومصيبة كبيرة ستقع على رأسي إن علمت بالأمر. صرت أخاف من أن يشي بي ويفضح أمري أمام أمه رغم أني أعرف بانه كتوم وأنه لا يتحدث إلى أمه كثيراً كونها لم تكن متفرغة لأولادها وتركت أمره وأمر أخوته للخادمة ... شغلتها الأسواق والصديقات من ذوي المجتمعات الفارغة والسير خارج المنزل والذهاب إلى صالونات التجميل ...

من يومها صرت أعامله معاملة خاصة جداً ... أخذه إلى السوق وأغربه بالثياب والألعاب والهدايا وعلى الدوام صرت ألقي على مسامعه حكايات مختلفة وقصص من الخيال ... كنت أريد أن يظن بينه

وبين نفسه بأن ماشاهده كان مجرد قصة من تلك القصص التي رويتها له وأن ما شاهده ليس إلا من نسج خياله ونجحت بذلك.. قصص كثيرة رويتها له كي تختلط عليه الأمور حتى أنا كدت أصدق بان ما حدث ما كان مجرد قصة خيالية أو حكاية ...

كبر جمال قبل آوانه وأصبح ينسج لنفسه قصصاً مرعبة تفوق الخيال والواقع وتفوق عقله الصغير...

أردت محو الماضي من ذاكرتي وذاكرة إبني لذلك تركت المنزل والبلد والعمل هناك واستقريت هنا، لم يكن ما حدث بأرادتي الظروف كانت أقوى مني صدقيني ..

انفصلت تماماً عن عالمي وماضيّ ولكن على ما يبدو لم أستطع محوه من ذاكرة جمال ..لقد عانى بسببي من كوابيس مخيفة .. أصبحت تلوح في مخيلته تلك المشاهد التي حاولت مراراً نزعها من ذاكرتها .

طالما نهض من نومه فزعاً وخائفاً وبعضه يمزق بعضه من الخوف ... سرعان ما كان يهدأ ويستكين عندما كنت أضمه إلى صدري حتى يعود إلى النوم ...

١٠٤-

دائماً يردد .. لا ... لا لم تمت وحدها ... أبي دفعها ... دفنها حيث الأزهار الجميلة وأمه لكثرة أنشغالها لم تحاول أن تفهم إبنها أو تحاول أن تفهم ما يريد أبنها قوله ..

وحدي من كنت أحس بعذاباته ومعاناته ... اردت إبعاده عني وعن المنزل فارسلته إلى مدرسة داخلية وهذا مالم أسامح نفسي عليه مطلقاً فحالته النفسية ساءت أكثر فأكثر...

لم أفاجئ لسرد تلك القصة لأنني كنت على يقين بأن أمي ميتة وإلا ما كانت تركتني كل تلك السنوات ولكنني كنت أريد أن أعرف ما حدث وكيف يمكن أن تكون ماتت .

أبي قتلها ... قتلها ويحاول أن يبرأ نفسه ..

ما زلت أراقبه بينما يتحدث وأنا بلحظة من اللحظات فصلت عن عالمي تماماً .. وتمنيت لو يحدث حولي زلزال ويدمر محيطي ويدفن الماضي مع الحاضر وسط الركام وتتلاشى كل الذكريات الأليمة وتتحول إلى رماد.

تمنيت لو يتزعزع كيان واقعي ويتفجر بركان الصمت الذي كمن في أعماقي وتنقطع شراين أحزاني ... بالفعل تمنيت لو تتحول قصة الماضي إلى قصة خيالية يلهو بسردها الأطفال ... قصة أرمها في قاع اليم لتغرق ويطويها النسيان وفكرت ... بجمال...

جمال أيضاً كان ضحية والده ... عذبه طوال تلك السنوات وكذب عليه وأغراه بما يعشقه الأطفال ومع ذلك ظلت تلك الصورة الحقيرة مزروعة في ذاكرته وأبت أن تخرج من أعماقه إلا بموته ...

ضحية لقصة حب زيفها الكذب والخداع .. قلب جمال الصغير لم يتحمل ذلك الحمل الثقيل ...

رباه ما كنت أحب المجيئ إلى بيروت لأكون السبب بموته وهو الذي حمل بداخله جريمة من الماضي وذكريات اليمة .

حديثي المطول مع أبي أعادني إلى الماضي الذي تصورته وعشته والذي منذ عرفت الحقيقة أصبح يغزو كياني.

حاولت منع نفسي من الأنفجار لكنني عجزت .. لم أستطع منع نفسي من البكاء ... ثم رأيته يحمل يدي ويقبلها وبصوتٍ متحشرج قال لي: هل غفرت لي خطايا الماضي ؟

انتزعت يدي منه وصحت به: تطلب مني المغفرة أبي إذهب وأطلبها من الله ... كيف أغفر لك وقد قتلت أمي ؟

قتلت أمي، حرمتني من أبوبتك وحرمتني من أمومتها من حنانها وعطفها .. من وجودها إلى جانبي وانا الفتاة الضعيفة التي لا تملك في هذه الدنيا لا حول ولا قوة .

انا بلا هوية ..بلا أسم وأنت السبب .. أنا ضحية كذبك وخداعك ... قتلتها في الماضي والآن قتلت إبنك ... حتى أخي حرمتني منه ولم يناديني أختي بعد ... وهذا أكبر عقاب من الله ... رغم حزني عليه غير أني أردتك أن تشرب من نفس الكأس الذي تركتني اشرب منه وحرمتني من أمي .

عودي إليّ ريم وأنا سأمنحك اسمي وأعوضك عن سنوات الحرمان التي عشتها وسأدخلك أرقى الجامعات .

أريد التكفير عن ذنوبي ...

وأنا لا أريد أن أمنحك هذا الشرف .. أريد أن تبقى كما أنت ويعذبك الماضي على الدوام على العذاب يخفف عنك ويمنحك بعض الغفران .

أنا لست بحاجة إلى اسمك ولاعطفك ولا أموالك سأعود إلى أهلي الذين ربوني ومنحوني اسمهم وقدموا لي هوية .

لن تتركني ... لا أريد أن اخسرك كما خسرت أخوك .

أنت خسرتني قبل أن تنجبني أمي فلا فرق عندك الان سواء بقيت أم رحلت .

لقد وجدتك ولا أريد فقدانك ...

من يسمعك يقول بأنك قضيت عمرك وأنت تبحث عني .

سحقاً لكم أنتم الرجال ...

سأرحل أبي ولكن قبل رحيلي أريد أن تخبرني عن المكان

الذي دفنت فيه أمي أريد زيارة قبرها ..

يوماً سأخذك ونزورها معاً .

لا .. لا أريدك أن تذهب لزيارة قبرها أظنها ستغضب عليك حتى وهي تحت التراب ...

دفنتها في حديقة منزلي في حلب سيدلك البستاني إنه يعلم باني دفنت في تلك البقعة أغلى إنسان على قلبي ...

اعطني العنوان واطمئن سأزورك مرة أخرى قبل مغادرتي لبيروت وأنت إبقى مع زوجتك ألا تخشى أن تعلم بوجودي الآن ؟

لم يرد على كلامي .. القيت عليه نظرة أخيرة ثم بلحظة أحسست بأني بحاجة ماسة لوجود وليد إلى جانبي ولكن أين اختفى هو الأخر ... حتى هاتفه مقفل ؟ تهت في شوارع بيروت وضعت في زحامها ومازالت تتصارع في رأسي أسئلة الماضي .. وموت أخي وما مررت به وكل هذا من أجل سراب ...

ضعت... ضعت ودموعي لا تريد التوقف، سرت مطولاً في الشوارع والألم يعتصر قلبي وفؤادي.. وأخيراً أتعبني المسير وقررت العودة إلى المنزل ...

كنت بحاجة ماسة لأخذ حمام ساخن وللهروب إلى النوم بعد ليلة طويلة قضيتها في السجن وليلة أخرى في المشفى . أردت الهروب من كل شيء ...

وحيدة غدوت في منزل خلى من كل شيء حتى من صاحبه .

هو الأخر يعيش كالطير المهاجر في دنيا خياله ... يجوب الشوارع بل يجوب العالم بحثاً عن العلم والمعرفة ... وربما يريد اثبات ذاته ... كي ينتصر على نفسه في ظل الحروب والصراعات المستمرة والمآسي والحصارات ... هذا العالم ...هذه القرية الصغيرة ... هذا البلد .. هذا الشارع كل هذا من الممكن أن يتحول إلى قصص يحكيها الأجيال من بعدنا .. ففي عالمنا رغم المرار لا يوجد شيء إسمه المستحيل ... وليد لم يعرف مطلقاً بأني أصبحت حبيسة نفسي والذكريات الأليمة وحبيسة عواطفي وأنوثتي .

صحوت من غفلتي أضحك من نفسي ساخرة ... فكل ما حدث كان سخرية ... القدر سخر مني وأبي سخر مني والواقع في البلدة سخر مني ... كأني ظننت بأني سأتحول إلى سندريلا كما في القصص الخيالية وصرت أبني لنفسي قصراً من الأحلام .. كل هذا التفكير وعلى شاشة التلفاز تعرض مشاهد تبكي لها العيون وتقض المضاجع وتجعل كل مصائب الدنيا تهون أمام ما يحدث هنا وهناك من قتل وتدمير وأنتهاك أعراض وسفك دماء ... أشياء وأشياء تسلب المبادئ وزعيق الدبابات وصريخ المدافع وسحق الطفولة البريئة وكل الضمائر ما زلت نائمة لم يوقظها .

أزيز الطائرات ... كنت خجلة من نفسي أمام ذلك المشهد المرعب على حين أيقظني من ذلك طرقات خفيفة على الباب ... نهضت متثاقلة واتجهت نحو الباب وكأن تلك المشاهد المأساوية قد احبطتني تماماً .

ظننتني سأجد أبي يقف أمام الباب كي يطلب مني مسامحته من جديد ... لم أكن أظن ولم أضع في بالي بأن الطارق هو نفسه من غاب طويلاً عني ..

صحت فرحة وقفزت كطفلة صغيرة وارتدت دماء وجهي إليّ .. وليد ... حبيبي...

وبطريقة لطيفة محببة بالنسبة إليّ قال:

مفاجأة أليس كذلك؟

أجل وأجمل مفاجأة ... تعال ... لقد حدثت أشياء كثيرة اثناء غيابك ..

أين كنت طوال تلك الفترة ؟

أأخبرك وانا ما زلت أقف خلف الباب ؟

تنهت لذلك فأبتعدت عن الباب ودعوته إلى الصالون وأنا

أقول له .. البيت بيتك ...

دخل وليد وسرت خلفه كتابعة له .. أستقر على الأريكة قبالة التلفاز وهو يسأل كيف أصبحت الأوضاع سيئة وليد ... سيئة للغاية ... ياسر عرفات محاصراً في مكتبه في رام الله والقصف مازال مستمراً على غزة والمقابر الجماعية هناك أصبح لا يحصى عددها ومازالت أكثر القنوات العربية تبث الحدث مباشرة والأتصالات الهاتفية هي صلة الوصل بين الرئيس والقائمين على برامج التلفزيون والأخبارية ومازال مقر عرفات يتعرض للقصف وإطلاق النار بالأسلحة الثقيلة ومازال الرئيس يقاوم ويطالب بالشهادة ...

تصور بأن الاتحاد الأوربي يؤكد شرعية عرفات ويطالب بهدنة ..

وهل وافقوا على الهدنة .؟

حتى الآن لا أعلم والأتصالات مازالت جارية وولي العهد عبد يجري إتصالاته محاولاً الوصول إلى حل يرضي كل الأطراف.

ماذا عن القمة التي أجريت في بيروت في (٦/٢) مارس؟

ألم تكن في بيروت .

لا ... لقد كنت في القاهرة .

إذاً لابد أنك عرفت بأن مبارك وملك الأردن عبد الله الثاني تخلفا عن الحضور وكذلك بعض القادة

وبماذا تفسرين كل هذا ؟

الصورة بدت واضحة تماماً وهذا ما يجعل إسرائيل وقادتها متعطشون لإراقة الدماء العربية .. فتلك القمة لن تختلف عن غيرها يخرجون كما دخلوا من قاعة المفاوضات خلف الطاولة المستديرة وكل يخاف على كرسيه من السقوط وكأن هذا الكرسي يعدهم بالخلود .

المفاوضات تتصارع وتتأرجح وكأنها على حبال معلقة ما بين السماء والأرض ... صدقني وليد فتلك الأجتماعات المستعجلة تشجع على سفك الدماء .. لا .. سلام على وجه الأرض طالما هناك قادة مازالوا يغنون على ليلهم ويخشون من القوى العظمى من ان تسحب كراسيهم من تحتهم ليكتشفوا العفن الذي فيها .

أصبري عزيزتي كل شيء ذائل وتلك الكراسي لن تدوم طويلاً فما من طير إلى السماء ارتفع إلا وعلى الأرض وقع .

الصبر... الصبر ياه فالصبر في بلادنا بات طعمه مراً كالعلقم .

جميعنا محاصرون ... تحاصرنا قيمنا ومبادئنا .. يحاصرنا الخوف على المستقبل والوطن يحاصره الموت ويهدده طاعون الطغيان ... والتجبر...

أخبرني وليد ألن تشجعك هذه الأحداث على الكتابة ؟

ألم تولد الأفكار لديك ؟

عزيزتي عشت عمري كله وأنا أراقب وأسمع دون أن أكتب شيئاً أكره أن تكون كتاباتي مجرد قصص خطابية محورها الأساسي فلسطين وأطفال الانتفاضة .

يجب أن تكون كتاباتي وليدة للحظة معينة وأفكار معينة تنبع من داخلي كإنسان و إلا فشلت كغيري من المبدعين ... المئات كتبوا عن محمد الدرة وأبدعوا حتى المطربين تغنوا بأسمه وأنا وقفت لم احرك ساكناً بكل بساطة لا أحب الشهرة من خلال مواضيع كهذه كي أصنع لنفسي مجداً في عالم الأدب .

أنا وليد وارفض أن أتحول إلى أداة يحركها الحدث فقط .

صحيح أنت مصيب جداً وليد .

على فكرة مررت بالفندق قبل مجيئي إلى هنا وعلمت بأن طوني في المشفى وان جمال قد توفي .

ما الذي حدث ؟ فوجئت بتلك الأحداث التي طرأت أثناء غيابي .. كيف توفي جمال لقد كان شاباً مفعماً بالنشاط .

وليد إنها حكاية طويلة ... دعنا نتناول طعام العشاء وبعد ذلك سأخبرك بما حدث بالتفصيل ....

وليد يختلف عن غيره من الرجال .. حقاً فهو عميق جداً في أسراره وكتوماً بشخصيته .. لم يخبرني بان التقى بوالدي وان والدي سرد له كل القصة ... لم يخبرني بأنه يعلم بأني طعنت طوني وإن جمال كان في منزلي .. أو منزله قبل موته ... دخل المنزل وكأنه لا يعلم شيئاً وكأن أبي أراده أن يتواسط ما بيننا كي أرض بالعودة إليه والعيش تحت ظله .

وفر عليّ سرد قصة مطولة كنت أنوي ألا أذكرها أبداً فما حدث كان مأساوياً بالنسبة لي على الأقل ففقدان جمال لم يكن سهلاً وأنا لم أعرفه بعد .

كنت أحاول أسكات وليد كي لا يتكلم بالموضوع أمامي وأني لا أريد سماع أي شيء عن أبي ...

غير أن وليد فاجئني حين قال : لا يمكنك نكران الأمر فوالدك أصبح حقيقة والماضي قد مضى أصفحي عنه .

كيف أستطيع الصفح وهو السبب بعيشي بين أناس ليسوا أهلي وهو السبب بموت أمي وهو السبب بحرماني منه طوال تلك السنوات ... فلو كان أمري يهمه لوجدته يبحث عني بعد وفاة أمي كي يراعني وأنمو في كنفه وهو المجبر بي دون الناس جميعاً ...

ثم قدم لي وليد كرتاً كتبت عليه جميع أرقام هواتف أبي .

ومع كل ما قاله وليد ومازال يريد قول المزيد وأنا أكاد أمله وأمل حديثه عن أبي استطعت أن اجعله يخرج عن الموضوع وجلست إلى جانبه وكأني أطلب منه أن يمنحني بعضاً من عطفه وحنانه وكل ماكان يملكه هو أن ينظر إليّ بنظرات مطولة ثم وجدته يعانقني لبعض الوقت وهو يقول : أشتقت إليك وطوال فترة غيابي عنك لم تغيبي عن بالي لحظة ...

كان عناقه بارداً بعض الشيء وكأنه ينسى بأننا في خلوة وأننا يمكننا أن نعيش معاً أجمل اللحظات وكأني أشتاق بالفعل كي أكون معه كأي حبيبين ...

عندما لمست منه ذلك البرود قلت له : بأني سأذهب إلى البلدة .. لم يسألني عن موضوع ارتباطنا وعن إنتظاره سماع جواباً مني بشأن موافقتي على الزواج به ...

حتى أنا لم أهتم فحنيني إلى البلدة فاق كل حنين ورغبتي بالذهاب إليها كان اقوى من أي رغبة تجتاحني ...

أشتاق إلى البيوت العتيقة والأزقة الضيقة والشوارع الملتوية وأسطح المنازل المتعرجة .. أشتاق حتى لأحاديث النساء التافهة وصديقاتي الساذجات التي تركن الدراسة كي يتزوجن ويعشن كغيرهن زوجات ربات منازل ...

أشتاق إلى ماهر الذي انقطعت رسائله عني دون أن أعرف السبب ... ابتعد وليد عني فسرت خلفه فقال وهو يتلفت إليّ ونظراتنا تلاقت بكل ذلك القرب بعد غياب لم يتحدث في البداية بل كان يطيل النظر في عيني .

ثم قال : أذكر بأنك وعدتني بزيارة إلى البلدة وأنا وعدتك بأني سأزور البلدة معك وما زلت عند وعدي .

ما رايك نسافر غداً أو بعد غد ؟

فرحت وأجبته .. أجل .. هذا أجل ما أتمناه ..

قال وليد : إذاً سأذهب إلى الفندق وفي الصباح بأذن الله ننطلق إلى البلدة ...

يمكنك النوم عنا في منزلك وليد ..

لا .. ريم هذا أفضل ثم أن حاجياتي هناك لذلك يجب علي الذهاب ونلتقي في الصباح .

ولكن يا وليد علينا زيارة شخص في المستشفى قبل السفر .

طوني أليس كذلك .؟

نعم طوني ... أريد محادثته وأريد رؤية جويل أيضاً .

إنها معه في المشفى ..

سأكون معك أينما ذهبت ريم ..

إذاً لقاءنا سيكون في المشفى وليد ...

سار وسرت معه خلف الباب كي أودعه وكنت أحب وداعه على طريقته بضمي إليه ضمة سريعة ثم يقبلني على خدي ويرحل ... ولكن هذه المرة أختلفت .

ضمني إليه ضمة مطولة أشعرتني بالدفء والسكينة وتمنيت أن أرحل معه إلى أبعد الحدود ..ما أجمله عناقه.. كنت أريده أن يقلها لي كما في كل مرة بأنه يشتاقني .

ثم التقت عيوننا وهذه المرة قبلته كانت من شفتي ولكنها كانت سريعة جداً .

بخل عليّ بقبلته تلك وكنت أحتاجها حقاً بخل عليّ بنظرات الشوق ... لا أدري لماذا يجافيني وأنا من كنت أحمل له بداخلي ذلك الكم الهائل من المشاعر والحب والأعجاب ... تركني وأنا بقمة أشواقي إليه ورحل ...

كان اليوم التالي مختلفاً بالنسبة لي ... إنه لا يشبه الأيام .. رغم تعطشي للرحيل والعودة إلى عالمي الذي كنت أحب ، أصبح يخالجني شعور غريب يشعرني بلحظة أترك كل أوراق الماضي وأهجر ذكرياتي ... شيء ما يطفئ حنيني إلى الماضي ويحول سنوات عمري التي عشتها هناك إلى رماد .. شيء ما يخز قلبي وعقلي أنا نفسي لا أدري ما هو بالضبط ...

كان مهما جداً بالنسبة لي زيارة طوني ... أردت أن أعتذر له وكي أودعه ... وكان همي الأكبر رؤية جويل .

وصل وليد في الوقت المحدد ودخلنا معاً إلى المشفى .

هناك وجدت جويل تجلس مع طوني وغضبت كثيراً عندما رأتني ولكنني أعرف كيف أعتذر منها وأوضح لها وجهة نظري .

ما أن رأتني أدخل الغرفة حتى غادرتها وغيبها الباب .

أقتربت من طوني على حين قال وليد :

ريم إن كنت تريدين الأنفراد بطوني سأنتظرك في الخارج؟

بل أريدك أن تبقى ولكن على ما يبدو طوني غير راغب برؤيتنا .

اعتدل طوني بجلسته وهو يقول : لماذا جئت ؟

أسفة طوني ... حقاً أنا أسفة كنت غاضبة حينها لم أفكر يوماً بأذية أحد ولكنن فتاة في بلد غريب عني ولا حول لي ولا قوة

أعرف وأنا لم أكن أنوي أذيتك فأنا أحببتك وأردت أن تكوني معي قلباً وقالباً و تبادلني نفس المشاعر وتكون لديك الرغبة أن نكون معاً..لم أمارس يوماً نزوة تخرجني عن حدود الواقع ... ولكنك كنت ماكراً طوني..كنت دائماً أشعر بأنك تريد إفتراسي...

إنها طريقي لجذب المرأة إلي ... أنت لا تعرفين المقام الذي أضعك فيه ...انت في قلبي وعقلي تغزين كياني ومشاعري...أحبك ريم واريدك زوجة لي وحبيبة وهذا العرض لم تحلم فيه فتاة قبلك

ولكنك تعلم بأن فتاة أخرى تحبك وتهيم شوقاً بك وقد كانت ذات ليلة كانت قلباً وقالباً معك لأنها تحبك وهي مستعدة للتضحية بنفسها أجلك أنت وأنت تبخل عليها بكلمة أحبك من قلبك ...

ولكنني لا أحبها ...

ولكنك أوهمتها بالحب ...وبنت علاقة معها ووعدتها بالأخلاص لحبها ...فأنت منذ قليل أخبرتني بأنك لا تؤذي فتاة ضعيفة ...جويل لم تكن ضعيفة حين سلمتك نفسها ومصيرها؟ أنت اذيتها طوني وحبها لك أضعفها ...

لا تكملي أرجوك فأنا لن أتزوجها ...

طوني سأعود إلى البلدة وما جئت إلى هنا إلا لكي أودعك وأفتح عينيك على جويل ...

صعقه خبر رحيلي وقال

أجئت تودعيني حقاً؟ ولماذا ترحلين؟

لدي هناك عالمي وأهلي والناس الذين أحبهم وأريد متابعة دراستي...

وحبي لك والزواج ... ماذا عنهما؟

طوني انا مسلمة وانت مسيحي يعني من رابع المستحيلات ارتباطنا ثم أنني أحب رجلا أخر ...ثم لا تنسى جويل ...طوني، جويل تحمل طفلك وهي لم تخبر أحداً بذلك وأنا من أكتشفت ذلك صدفة.

صاح: غير معقول ... أنا أحتاط دائماً كي اتجنب حدوث ذلك

ومع ذلك حدث ذلك وجويل حامل ربما هي مشيئة الله كي تحها وتمنحها أسمك واخلاصك...

ولكنها كغيرها من الفتيات سلمتني نفسها دون تردد ... تنازلت عن كل شيء دون مقاومة أو تمنع إنها رخيصة ريم...

لا تقل عنها رخيصة...المرأة التي تسلم أسلحتها لمن تحب هذا لأنها تحب وتعشق بجنون...

ولكنني لا أستطيع تحمل مسؤولية الزواج والأولاد...فأنا الجحيم بعينه...

بل يمكنك هذا ...امنح نفسك الفرصة ألم تقرأ هذا القول (انكسلوجن)

الحب جحيم يلذ للمحب أن يكتوي بناره إلى الأبد

ولكنني أعرف أيضاً بأن الحب حاجة الإنسان للهروب من نفسه وأنا لا أعرف الحب الحقيقي كي أهرب منه

طوني دعك من (بودلير) الآن وفكر بجويل

ألن تعودي إلى هنا

تريد الهروب من الحديث عن جويل ...لابأس ربما أعود ...كيف لا وقد أصبح لي في هذا البلد أهل أصدقاء

وربما أعود كي أحضر حفل زفافكما أنت وجويل

رأيت طوني ينظر إلى وليد وهو يقول:

هل ستتزوجان؟

لم أجبه...لا إجابة لدي فالقرار مازال مخنوقاً بداخلي وبداخله أيضاً فهو لم يكلمني بالأمر فأجبته إجابة ...

مختصرة ...وليد سيأتي معي إلى البلدة ...

فقال: إن تزوجتما سأقيم حفل زفافكما في الفندق

وأنا قبلت هديتك طوني ... سامحتني أليس كذلك

ضحك طوني ومد يده كي أعطيه يدي ثم قال :

لا تنسي بأنك تركتي هنا في بيروت شاباً مطعوناً في خاصرته بمقص ...

ضحكت من جملته تلك أشرت إلى وليد بعيني كي نغادر المكان ...

ألقينا نظرة على طوني ثم خرجنا لنجد جويل تقف إلى جانب الباب وهي تبكي فأبتعد وليد قليلاً كي يفسح لنا المجال كي نتحدث، فوجئت بها تمسح دموعها فقلت لها :

تبكين جويل ؟

أحقاً أنت راحلة؟

سمعت ما داربيننا .

أشكرك لأنك حدثت طوني بشأني .

أعرف كم تحبينه ستدعيني على حفل زفافك أليس كذلك ؟

لم تملك جويل إلا ان أنفجر بركان دموعها وأقترب مني وضمتني إليها بقوة ثم قالت : وأنت لا تنسي جويل أبداً ..

أو... جولي كما يدعوك طوني ...

سأشتاق إليك كثيراً .. أنا بالفعل أنتظر طفلاً من طوني .

اعرف لذلك عليكما الإسراع بإعلان الزواج .. هيا إدخلي إليه فربما حدثك بالأمر.

هزت جويل رأسها وتأملتني لبعض الوقت قبل أن تدخل إلى الغرفة ويغيبها الباب .....

ما أن دخلت جويل إلى الغرفة حتى أسرعت إلى حيث يقف وليد وانطلقنا معاً إلى حيث نريد ..

ما أن خرجنا من المشفى حتى صعدنا السيارة وانطلقت بنا مطلقة العنان ، وكأنها تريد أن تسرقنا من شوارع بيروت المزدحمة ، تهرب بنا إلى حيث الجنة .

لم أكن أفكر حينها إلا بتلك الفترة التي عشتها في بيروت والأحداث التي مررت بها بعثراتها وعبراتها .. في حقائقها المرة والحلوة بالأفراح والأتراح بالحزن ... بلقاء الأحبة وفقدانهم و.. و... و... وأشياء كثيرة أحببت مرورها في حياتي

*****

## "العودة إلى أحضان الطبيعة"

أشياء كثيرة أصبحت تتأجج في ضلوعي .. وكأني لم أغادر البلدة ذات صباح كي أبحث عن هوية ... وأية هوية ...؟

ذلك الماضي الذي جريت خلفه طويلاً ونبشت صفحاته المنسية ، أصبح لا يعنيني على الأطلاق .. حتى والدي لم أجد لنفسي الفرصة كي ألتقيه وأودعه .

لم أحاول حتى الأتصال به .. كنت أتقصد ذلك فأنا لم أجد له مكان في قلبي ولم أشعر بالحنان تجاهه مطلقاً .

أردت بعثرة الماضي وحولته إلى أشلاء وكأن الماضي لم يولد يوماً ولم أعرف عنه شيئاً ...

سرقني وليد من شرودي وأعادني من رحلتي القاسية حين قال لي :

لا أصدق بأنك سامحت طوني وقمت بزيارته؟

صدق وليد .. صدقني بداخل طوني يعيش إنسان جيد غير أن العالم الباذخ والمترف اللذين عاشهما صنعا منه أنساناً طائشاً متهوراً ... الأباء المسؤولون عن طيش أبنائهم وإنحرافهم ..

أوقف وليد سيارته فجأة وسألني سؤالاً لم أتوقعه قال : ريم هل تحبينني بصراحة ..؟

لم ارد فأعاد سؤاله : هل تحبينني ؟ لقد تنهت أنك قلت لطوني بانك تحبين رجلاً أخر.. هل لي أن أعرف من هو هذا الرجل وصدقيني لم ولن أضغط عليك وأنت حرة الأختيار وما بيننا سيبقى بيننا ولكن كصديقين .

إلى أين تريد الوصول ؟

إلى قلبك إن سمحت لي ؟

سأجيبك على سؤالك عندما نصل إلى البلدة ؟

لم يعترض وليد على جملتي بل أدار عجلة القيادة وإنطلق بنا إلى حيث بلدتنا الجميلة .

كلما اقتربت المسافة ازدادت نبضات قلبي إضطراباً وأشياء كثيرة أصبحت تتصارع في رأسي ... وأنا تدور في رأسي العديد من الأسئلة ...

كيف أصبحت البلدة .. هل مازال والدي يعمل في الحقل ..؟

هل مازال عامر يساعده بالزراعة ؟ .. أشياء وأشياء .

أخذت تجول في رأسي ... ضحكت بيني وبين نفسي فانا أشتاق حتى لثرثرات النساء وتلك التفاهات .

أصبحت أجدها شيقة وممتعة وتدخل البهجة إلى القلوب رغم تفاهتها ..

ياه نحتاج لوقت طويل كي نكتشف باننا كن في المكان المناسب ... أعود إلى البلدة وأذهب إلى المدينة وأتابع دراستي الجامعية واعيش مع ماهر...ياه

مازلت أملك لنفسي الطموحات ... تلك الطوحات التي دفعتني ذات يوم لتحدي أنور والعالم المحيط بي .

دخلت البلدة وانا بقمة حماسي وإندفاعي وبداخلي شوق كبير إلى كل فرد من أفراد أسرتي والجيران والأقارب ...

ولكن ماذا حدث ؟ ... ماذا حدث ؟ فجأة أحسست باني لا أنتمي إلى تلك البلدة ...

أشياء غريبة أصبحت تدور في رأسي حين نظرت إلى أمي .. اجل لم اشعر مطلقاً بتلك اللهفة التي كانت تستقبلني بها حين كنت اعود من المدينة بعد غياب ...

تأملت أمي وأخوتي وذلك الشوق العارم الذي كان يعتريني خفت فجأة حين لمحت فهم ذلك البرود.

أقتربت من أمي وقلبي يخفق بشدة لم أستطيع حينها إلا ان أبكي وسرعان ما أن ارتميت في حضنها أعانقها عناقاً ملؤه الشوق والحنين ...

بكت أمي ومسحت شعري ولكني صعقت حينها أحسست بها تبعدني عنها ...

تأملتها بنظراتي الفاحصة لبعض الوقت .. حتى هي ظلت تنظر إلي وعيناها شاخصتان بي وكأنها تريد رسم خطوط وجهي ... ثم صاحت بي وهي تنظر إلي صعوداً وهبوطاً ..

ما هذا الثوب الذي تلبسينه ؟

تأملت نفسي ولم أجد بثوبي ما يعيب فقلت لها: وما به ثوبي ؟

ألا ترين معي بأنه قصير بعض الشيء وإنه يبرز مفاتن جسدك لضيقه ...

نظرت إلى نفسي وصارت نظراتي تنزل إلى الأسفل ثم أنظر إلى الأعلى ...

قالت: كل شيء فيه يثير المفاتن..

أستغربت أسلوبها الجديد بتفحصي وثم نظرت إلى وليد الواقف أمامي لأجده يتأملني هو الأخر على حين قلت لأمي:

أمي أجد بأن ثوبي عادياً جداً لا عيب فيه .

وسرعان ما انتقلت النظرات وتحولت إلى وليد وكل منهم كتم بداخله ألف سؤال فأحسست بالإحراج من كل ما يحدث ... وكل ما يدور في أعماقهم وربما دار في رأس الجميع إن كان وليد زوجي أم لا ..

ولكن هل ظن الجميع بأني أتزوج دون إخبارهم.. كل هذا ووليد مازال تائهاً بين نظرات الجميع ...

لم تترك أمي الشكوك تشاورها كثيراً لأنها أحست بأني ضقت ذرعاً بتلك النظرات التي رشقني بها الجميع .

أقتربت مني وهمست في أذني من هو هذا الرجل؟

إنه صديقي وقد كان رفيق دربي منذ خروجي من بيروت ..أسمه وليد

صاحت بسخرية : صديق .. ورفيق درب .. وماذا أيضاً ؟

لم أبه بسخريتها بل تلفت بنظراتي أبحث عن أبي وسألتها بلهفة : أين أبي ؟

نظرت إلى الجميع ولم يستطع أحد الإجابة وظل الجواب مخنوقاً في أفواه الجميع لثوان ... ثم أجاب عامر بعد تردد :

والدنا توفي في العام الفائت بينما كان يعمل في الحقل ..

أحسست بالألم والحزن وبطعم المرار يغزو لساني ومع ذلك لم أصرخ لم ابكي لأنني أيقنت بأنها لعبة من الاعيب القدر .. أو كما لو لأنني أعتدت على وجود فكرة الموت في عالمي ..

أمي ماتت وأخي مات وطوني كاد يموت حتى أحلامي كلها ماتت .

بقيت متماسكة وقوية فنظرات الجميع التي أستقبلتني على غير ما توقعت سرقت مني البهجة والسرور ولحظة أحسست بأني لا أنتمي إليهم .. ومع ذلك لو كان والدي موجوداً لعاملني الجميع بلطف أعرف كم كان يحبني وأعلم تماماً ما كنت أعنيه بالنسبة له .

أردت الهروب من كل ما دار حولي وقلت لأمي ... أنا متعبة هل مازالت غرفتي على ما هي عليه ؟

وقالتها بنبرة غريبة : لا لقد تزوج أخوك عامر واستقلها وسامر أخذ الغرفة الأخرى بينما شاهر وزاهر مازالا بنفس الغرفة ..

تأملت عامر وفاجئني بنبأ زواجه ... بل صعقني قول أمي عندما وزعت الغرف على الجميع وكأنها تقول ليّ : لا مكان لك بيننا .

كأني لم أنشأ بينهم عشرون عاماً ولم اكن استقل أجمل غرفة في المنزل وطالما فكرت في الماضي بأني أن تزوجت لن يستقل غرفتي غير ماهر صاحب الغرفة أساساً وتساءلت : أين خزانتي ؟

وجاروري وأوراقي الخاصة وأشيائي التي كنت أحبها وطاولة دراستي وكتبي ؟

ولكن أمي أنقذت الموقف حين قالت :

والدك قبل رحله بنا غرفة للضيافة في حديقة المنزل ولكن ماذا عن ضيفك ؟

لم أتوقع منها هذا السؤال لقد شعر وليد بالأحراج فقال :

لا مشكلة أبيت في الفندق.

صحت ... لا .. لن تخرج من هنا أنت ضيفي يمكنك المبيت مع سامر في غرفته .

لم أنتظر أعتراض أحد على الأطلاق بل أحرجتهم على حين نظرت إلى وليد وطلبت منه أن يحمل حقيبة ثيابي ويتبعني .. فوجئت بأمي تقترب منه وتضع يدها فوق الحقيبة وهي تقول :

لن يدخل وليد الغرفة إلا بصحبة أحد أخوتك .

أغضبني قولها وراعني كثيراً تدخلها فصحت بها :

كفي يا أمي عن هذا فأنا أريد الأنفراد بوليد لبعض الوقت إذا سمحتي.

أبتعدت أمي عن وليد فحمل الحقيبة وسار عندما سرت نحو الباب وقبل دخولي التفت وشملت الجميع بنظراتي الفاحصة ... ثم غيبني الباب مع وليد ....

ما أن دخلت غرفة الضيافة مع وليد حتى القيت حقيبة كتفي التي وضعت فيها بعض اشيائي الخاصة على الأرض وأسندت ظهري بالباب على حين وضع وليد الحقيبة الكبيرة على الأرض واخذ نفساً عميقاً على حين سألني :

لماذا عاملوك بتلك الطريقة فأنت لم تخبريني بأنهم عاملوك هكذا من قبل ؟

لا أدري .. أنا مثلك استغرب الأمر تماماً .

كان الجميع يعشقون وجودي بينهم ... وليد أحس بأني مقيدة ... عاجزة تماماً عن فهم ما جرى أمامي .

اقترب وليد مني ووضع كفيه على كتفي حينما أحسست بالضعف وأني أحتاج لعطفه ودفئ مشاعره وحنانه وجدت نفسي أرتمي بثقل رأسي على كتفه وأبكي بمرارة وذراعي تطوقه كما لو كنت أريد أن أستمد قوتي منه وأنا أقول له :

ضمني إليك أكثر أحس بالوحدة وليد ... أنا ضعيفة جداً بدون وجودك إلى جانبي .

وحيدة وأنت معي ريم ؟

لم أتوقع ما حدث مطلقاً ... ما الذي حدث .. لم هذا التهجم من الجميع ؟

طرق باب الغرفة فقطعت تلك الطرقات علينا حوارنا وبنفس الوقت أبعدني وليد عنه حين أمرت الطارق بالدخول .. ومع ذلك لم يدخل بل قال وهو خارج الغرفة .

ريم أنا عامر أخرجي وضيفك العشاء أصبح جاهزاً .

نظر وليد إليّ وأقترب مني يمسح دموعي بأطراف أصابعه وهو يقول :

تحلي بالشجاعة لا تشعريهم بضعفك وبأنك كنت تبكين ..

بالفعل أعددنا نفسينا للخروج فطلب وليد مني أن أخرج قبله من الغرفة ثم سار خلفي وكنت أحاول جاهدة أن أبدو طبيعية ..

تناولنا طعام العشاء وكنت أكتم آهاتي وغضبي من كل ما كان يحدث بينما نظرات الجميع تلفني وتلف وليد كيفما تحركنا والأنتقادات إنهالت علينا من أفواه الجميع .

الأختلاف في الأراء ووجهات النظر .. تحولت مائدة العشاء إلى طاولة مفاوضات أجتمع حولها رؤساء وقادة ومسؤولين ..

ومع ذلك ظل وليد متماسكاً متحفظاً برابطة جأشه وملامح وجهه كاملة بينما حاولت إخفاء حنقي وغضبي من كل ما كان يدور حولي ..

ما كنت أملك إلا أن أرفع حاجبي محتجة كلما أساء أحداً إليّ أو إلى وليد ..

أحس عامر بحب وليد لي وخوفه على مشاعري وإلا وما كان وليد تحمل كل تلك الإهانات من أجلي ...

فاجئني عامر حين أستمر بإغاظتنا معاً فقال :

ريم ألا تريدين أن تعرفي ما هي أخبار أنور؟

وضع وليد الملعقة على صحنه ورمقني في نظراته لي عتاب كبير وربما أراد سؤالي : من هو أنور ؟

وانا تذكرت بأني لم أحدثه بشأن أنور فقلت كي أجيب وليد على سؤال لم يسأله :

كان بيننا مشروع زواج غير أني تركته لأنه يريد لنفسه امرأة.. امرأة مجردة من المشاعر والأحاسيس .. امرأة تلبي جميع رغباته وتعيش تحت طوع أمره أو تحته طائعة راضية ...فقط لأنه رجل.. وهذا بالطبع خارج عن حدود طبيعتي لأني لا أريد أن أكون مجرد إمرأة .. أو لعبة بين يدي رجل ..

أبتسم وليد حين أحس بانني أعطيته الجرعة الشافية لجميع أسئلته، أعرف بأن وليد يختلف عن الأخرين وهو لا يردني أن أكون مجرد امرأة تجردها العادات والتقاليد من حقوقها كإنسانة وليد يريدني أن أكون مالكة نفسي وقراري فالتفت إلى أخي وسألته :

وماذا عنه هو الأخر ؟

لقد تزوج ...

لم يصعقني خبر زواجه.. بل توقعته منذ تركته ... إنه رجل كباقي الكثير من الرجال يريد زوجة .. امرأة تكبح جماح رغباته وبالتالي لا يستطيع البقاء دون أن يسلي نفسه ويستمتع بما أباحت له بيئته ..

فقلت مدعية الدهشة حقاً.. ومن هي سعيدة الحظ ؟

سمية أبنة أبو عارف .. تعرفينها ..

ضحكت ...سخرت من أختياره التافه وقلت : تلك الفتاة البدينة ..

هي نفسها .. تلك البدينة ...

يستحقها ... أنها من النوع الذي يفضله امرأة تنطبق علها المواصفات التي يريدها مجردة من كل شيء .. تظل طوال النهار منتظرة عودته إلى المنزل .. ثم إنها تصلح تماماً لأن تصبح وعاءً ينجب له أطفالاً أو بأن تصبح وسادته .. كل الموجودين تحولت نظراتهم إليّ وكأن كلمتي الأخيرة شلت حركاتهم .. حتى أمي قطبت حاجبها وكأني قلت ما يعيب فأنقذ عامر الموقف حين قال :

يتشاجران على الدوام ...

وما الجديد ... في بلدتنا جميع المتزوجين يتشاجرون.. الرجل ... رجل ... والمرأة .. امرأة فقط لا وظيفة أخرى لهما .. طعام وشراب ونوم ( و جنس) ...

فاجئت كلمتي الأخيرة الجميع أيضاً فخجلت أمي وغطت وجهها بكفها وتمنت لو تنهض وتصفعني غير أن وليد وجد كلمتي عادية جداً وما أتحدث عنه ليس إلا واقع يعيشه الكثيرون .

أستغربت من نظراتهم الخجلة وهم رجال فصحت بهم

ليس ما قلته بجديد على مسامعكم إنه واقعنا الحياة التي نعيشها ... غريب .. ألا تملون من هذا الروتين كل شيء هنا يقتله الروتين ..

قال زاهر: تغيرتي كثيراً يا ريم وكأن بيروت جردتك من برائتك ..

قال أمي متابعة تجريحي: وأصبحت قليلة الحياء .

أمي كلنا نتغير من البشاعة أن نكون مثل الدمى مجرد ألعاب تحركها الأسلاك نحن بشر نفكر ونحس ونتألم وبداخلنا

تتصارع براكين وتلك البراكين تحتاج إلى من يحركها ويفجرها والتفتت إلى عامر أسأله :

سمعت بأنك تزوجت أين هي زوجتك لم أرها ؟

فأجابت أمي نيابة عنه : أستضافتها أمها في منزلها فالمكان هنا لا يعجبها تطلب لها مسكن شرعي بحجة وجود أخوتك الشباب معنا ..

أحترم رغبتها أمي .. فالمرأة إن تزوجت يحق لها أن تشعر بالأمان و الأستقرار داخل منزلها .. مملكتها.. يحق لها العيش بلا رقيب ... عامر أن كنت تحبها لا تحرمها هذا الحق .

فقالت أمي : ولكنها تريد أخذه مني ...

ولماذا تحرمين عليها حقها وهو زوجها إنها سنة الحياة فأنت أيضاً أخذتي أبي من أمه ذات يوم وكونت هذه الأسرة التي هي أمامك .. لماذا تحرمون على أولادكم ماحللتموه لأنفسكم ؟

لم يترك وليد المجال في استمرار ذلك النقاش الذي بدا مملاً بالنسبة له فقال : ريم أين الحمام .؟

أحسست به فطلبت من زاهر أن يصطحبه إلى الحمام .. حتى أنا أصبح أيضاً يخنقني ذلك النقاش غير المجدي فسحبت نفسي من بينهم وتسللت إلى الغرفة.

أسندت ظهري إلى الباب وأغمضت عيني ورسمت في مخيلتي صورة لحبيبي الغائب.. يالها من نافذة فإن فتحتها ماذا سأرى من خلالها .؟

أيمكنني أن أرى الماضي بكل مافيه ؟ كيف يمكنني أن أرى وأنا لن أرى إلا الظلام لا زقزقة عصافير ولاتغريد بلابل .. لا فراشات ... ظلام ... فقط في الخارج لن أرى إلا الظلام ولكن إن فتحتها ربما سألمح النجوم تلمع في قبة السماء وأشاهد القمر وربما أسمع نقيق الضفادع وهدير الماء من الأنهر المجاورة في الحقول ... وربما أتأمل الصمت واستمتع بجمال الطبيعة والكون وأرسم من خلال ذلك أجمل لوحة على الأطلاق ومع كل تلك التصورات لم أقترب من النافذة ولم افتحها بل أتجهت إلى حقيبة ملابسي وأخرجت منها ثوب للنوم ... أيقنت لوهلة بأني لم أعد أملك ذلك المنزل ، ولم أعد فيه إلا ضيفة فتلك الغرفة الفارغة من كل شيء يخصني ... وتساءلت :

ماذا فعلت في بيروت كي أعود واتحول إلى تلك الضيفة الثقيلة الظل حتى في منزلي الذي عشت فيه عمري كله ووليد كم من الإهانات عليه أن يتحمل وإلى متى سيظل مسيطراً على أعصابه وكل هذا لأنه يحبني .

مع كل تلك التناقضات التي بداخلي ومع رفضي أن أكون زوجته تمنيت في تلك اللحظات الخروج إليه .. كي يضمني إلى صدره ويرتاح رأسي عل كتفه لم اعد أهتم بالعادات والتقاليد للبلدة ... بالفعل

تحولت إلى ريم أخرى وكأن بيروت عرتني من ماضي وحررتني لدرجة جعلتني لا أهاب القيل والقال كما كنت في السابق .

بيروت ولدتني من جديد .

انتصف الليل ولم أشعر بدخول أمي إلى غرفتها .

أين ستنام وماذا تراها تصنع في الصالون .. أمازالت تهوى إحاكة الصوف ؟ أمامل بصرها من البحلقة في الخيوط الملونة ؟ أما مللت أصابعها من التأبط بتلك الصنارتين ؟

لم تترك العنان لباقي أسئلتي فسرعان ما أحسست بها تدخل إلى الغرفة و تقفل الباب خلفها ثم ما هي إلا لحظات حتى لف المكان صمت رهيب ...

يفصلنا باب واحد ... منذ زمن طويل لم نتحدث حديث أم وابنتها .. مازالت في أعماقي أشياء كثيرة لم أبح بها لأمي بعد ولكن هل مازالت تملك تلك العاطفة تجاهي ؟ أمازالت تحمل لي ذلك الحب الذي حملته لي منذ نطقت إسمها لأول مرة ؟

ربما إنها أمي رغم كل شيء ...

ولكن ماسر تلك القسوة المفاجئة ؟ لماذا هذا الجمود ؟

مالذي حدث خلال تلك السنوات أسئلة كثيرة جالت في عقلي وما من مجيب ، ومع ذلك قررت محادثتها ..

خرجت من الغرفة وأقتربت من غرفتها ، فتحت الباب برفق ونظرت إليها وهي الجالسة فوق سريرها شاردة الذهن ساهية تماماً حتى عن نفسها ، كما لو كانت تحمل فوق عاتقها هموم الدنيا وكوارث العالم ... ترى بماذا تفكر ..؟

اقتربت منها سالتها: أمي بماذا تفكرين؟ ما سر حزنك ؟

تنبهت لوجودي فأجابتني بعد تفكير: في هذه الدنيا وهموم أخوتك .

ما نوع تلك الهموم ؟

أخ ... ماهر هي الأكبر..

وضعت يدها على جرحي .. هو أيضاً هي الأكبر ... أصابتني في صميم قلبي ومع ذلك سألتها : ما مشكلته هو الأخر ؟

يعاني من مشاكل كثيرة ...

أمي أريد أن أسألك سؤالاً وأريد إجابة صريحة على سؤالي .

إن كنت أستطيع الأجابة .

من هي الفتاة التي يحبها ماهر والمجتمع والقوانين والعادات والعائلة والتقاليد تمنعه من الزواج منها ؟ وما هي الظروف التي منعت إرتباطهما ؟

لا أعرف عنها شيئاً .

بل تعرفين ... ماهر أخبرني بكل شيء .

لا تطلبي مني الأجابة على أي من أسئلتك .

كنت سأمر إلى منزله في المدينة قبل مجيئي على هنا .

من الجيد أنك لم تمر..

لماذا يا امي ؟

لقد هاجر ماهر إلى ألمانيا ولم يعد يربطنا به إلا الرسائل .

صعقت حين سمعت بشأن سفره وصحت بها :

كيف يسافر ماهر دون أن يخبرني ؟

أرحل من أجل امرأة رفضت حبه ؟

لم ترفضه الفتاة ... إنها لا تعلم بشأن حبه لها أصلاً .

فاجئتني بردها ودهشت ... أيقنت بأنها تخفي عليّ امراً وإنها تكذب علي فقلت لها :

إذاً أنت تعرفين كل شيء ؟

أجل أعرف وأنا السبب بكل ما حدث ... أنا كنت سبب هجرته إلى ألمانيا .

نهضت واتجهت نحو النافذة وشردت لبعض الوقت ثم عدت إليها أسألها :

أمي .. هل حقاً أنت أرضعتني حين تركتني أمي ورحلت تبحث عن أبي ؟

تنهت امي انها لم تسألني ما حصل معي في رحلتي فقالت :

أخبرني ريم .. ماذا عن ميراي هل وجدتها؟

أخبرك عندما تجيبي على سؤالي .

هل انا أبنتك رضاعةً حقاً ؟

لا ... لم أرضعك مطلقاً لأنني خفت إن كبرت أن يحبك أحد أبنائي فأكون السبب بتعاسته حين كنت صغيرة عاصرت قصة مماثلة ولم أحب أعادة التاريخ .

وهل احبني أحد أبنائك؟

لم يعلم بشأنك كونك لست أبنتي إلا ماهر وهو الوحيد الذي أخبرته بانك أبنتي رضاعةً .

ولماذا أخبرته بأني أبنتك بالرضاعة إن كان يعتبرني أختً له منذ صغرنا .

تغيبن كل هذه المدة كي تأتي وتسأليني هذه الأسئلة؟ أرجوك دعيني وهمومي فلست حملاً لسماع المزيد ...

أمي أرجوك أخمدي النار المندلعة في صدري ...

فوجئت أمي بأنفعالي وصرخت بي... ولماذا تندلع النار في صدرك؟

أتركيني وشأني وأجيبي على سؤالي لماذا سألك ماهر أن كنت اخته بالرضاعة أم لا ؟

اولتني ظهرها فدرت حولها وسألتها بالحاح لماذا يا أمي ؟

فقالت بطريقة قريبة إلى الهمس ... أوكما لو كانت ارتكبت ذنباً كبيراً ودمعة تدحرجت من عينها.. لأنك الفتاة التي يحبها ..

صعقت من جوابها وأحسست بأن الدنيا أصبحت تدور من حولي وحملت رأسي بين كفي وكأني أردت منع رأسي من الأنفجار ثم سرت متثاقلة نحو غرفتي وسمعتها تقفل بابها خلفي ثم ما هي إلا لحظات حتى أصبحت في عالم أخر .. وبلحظة مر امام عيني شريط الذكريات .. ذكرياتي مع ماهر وتذكرت حين رحلت إليه لنعيش معاً في المدينة طلباً للعلم وعندما أعد لي أجمل غرفة في المنزل ويوم كان يصحبني إلى المطعم ومازن ...ذلك الشاب الذي كان يثير غضبه وغيرته على الدوام الآن أصبحت أعي تماماً سبب غيرته عليّ كان يتعذب لمجرد أن اتحدث أمامه عن مازن او أنور أو سواهما ...

أنظر إليه حين أتحدث عن مازن وإذا بي ألمحه يستشيط غضباً من حديثي عنه ويشب نارا إن رأى شخصاً معي ...

يغار عليّ من النسيم ومن جو الجامعة المشحون بالأغراءات .

لن أنسى مطلقاً ذلك المشهد التمثيلي المؤثر الذي مثله معي وذلك الحوار الذي أرتجله وقبلته تلك .. ياه من قبلته تلك ... لم تساءلت يومها عن سبب تلك القبلة كيف يقبلني وهو أخي .

لم أنسى ولعه بي وحبه وشغفه .. ولا أنسى نظراته الخائفة عليّ على الدوام .

حتى أنا وبرغم كل الشبان الذين عرفتهم وبيروت التي سافرت إليها ..تذكرت بان الرجل الوحيد الذي استسلمت لقبلته راضية وهو الرجل الوحيد الذي جعلني أشعر بالحب وأوصلني حينها إلى قمة المتعة ..أستسلمت له ولقبلته رغم أني أعرف بأنه أخي وأن رابط محرم يقف بيننا ...

وصرخت من أعماقي .. سحقاً ... لماذا يحدث معي هذا ؟

أين هو ماهر الان كي أركض إليه وأعانقه وأطلب منه إعادة ذلك المشهد التمثيلي على مسامعي كي نذوب معاً بسحر قبلة مطولة تسرقنا حتى من أنفسنا ..

لماذا هربت مني ماهر إن كنت فتاة أحلامك ... لم .. لم تصارحني بذلك الحب الذي عذبك طوال تلك السنوات وأنا كنت أمامك طوال الوقت ؟

اقتربت من الأريكة وهبطت فوقها وتخلت عني إرادتي تماماً .. وشردت لبعض الوقت ...هو أيضاً لا يعلم باني جعلته فتى أحلامي منذ زمن بعيد .. لم أخبره بأنه رجل حياتي ... ظلمني المجتمع وظلمتني الظروف المحيطة بي وعاندتني الأقدار..

فكرت ما ذنبي أنا لتتزوج أمي من ابي وما ذنب أمي إذا هجرها أبي إلى الأبد وما ذنبي أنا كي أعيش وحيدة في عالمي الذي كنت أحب ؟ أشياء ...و أشياء تصارعت في رأسي ... كبراكين يحركها الصمت وتفجرها نار الوحدة المتأججة في اعماقي ... ماذا عليّ أن افعل الآن ؟ ربما عليّ نسيان ماهر وطي صفحة الماضي إلى الأبد .

كان صباحي مختلفاً عن كل الصباحات .. تائهة .. حائرة حزينة ومع ذلك تذكرت بأني وعدت وليد بزيارة إلى النهر....

كنت قد ارتديت ثيابي وأصبحت مستعدة تماماً للخروج وقبل أن أخرج من الغرفة لمحت مغلفاً ملقى على الأرض أمام حقيبة ملابسي .. أقتربت من الحقيبة وانحنيت كي أحمل المغلف .... تأملته لبعض الوقت وقرأت ما كتب عليه .

دهشت إنه عنواني في بيروت حيث كنت أعيش .

أيقنت للحظة بأنها رسالة ماهو إليّ ... لا يمكن أن أتوه عن خطة أشم رائحته فيها ... رائحة عطره تأملت الظرف مطولاً قبل أن أجلس على الأريكة و أفتحه ، تأملت الأسطر المرتبة التي كتبت بخط جميل ثم عدت إلى البداية حيث كتب فيها ...

حبيبتي ريم ..

أسف كنت قد بدأت رسالتي بكلمة حبيبتي لا بأختي كما كنت أفعل سابقاً ...

لقد قررت الهجرة إلى خارج القطر غير أنني أود قبل مغادرتي أرض الوطن الأعتراف لك بأمر مهم عليّ أستطيع إنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

أخفيت أعترافي لسنوات طويلة .. أكتب رسالتي هذه بينما أجلس في غرفتك وخلف طاولتك وأمامي كتب دراستك وصورتك الجميلة التي طالما أحتفظت بها في ألبوم صوري الخاص ...

أشتم رائحتك بكل ركن من أركان الغرفة وكأنك تعيشين معي .. جئت كي أقضي مع العائلة بعض الوقت كي أودع الجميع فمن غير المعقول أن أرحل دون وداعهم .

يعذبني الرحيل دون أن أقولها لك علناً وعلى الملأ ولم يعد يهمني لوم الجميع .

الظروف مازالت تقف حائلاً بيننا فأنت ما زلت بنظر الجميع أختي... المجتمع قاسياً جداً وظالم إلى أبعد الحدود وأمي كانت أقوى من المجتمع نفسه والظروف .

هي رفضت حبي لك منذ البداية وهي من أبعدتني عن البلدة كي أنساك وأبحث لنفسي عن أخرى .

ودعتك بقبلة على جبينك.. قبلة أخ وليست قبلة حبيب ... وكم تمنيت وقتها لو طبعت قبلتي على ثغرك لأرجع وأتذوق حلاوة شفتيك ... كي تكون قبلتي بصمة أطبعها على فمك كي تبقي لي وحدي وعلى عهدي .

عملت في المدينة وكونت صداقات عديدة وبنيت علاقات غير مشروعة وكانت بالنسبة لي مجرد علاقات عابرة ونزوات ليس إلا...

عشت حياتي ككل الشباب الذين يحتاجون في وحدتهم إلى وجود النساء .

تمنيت لو وجدت بين أولئك النساء امرأة واحدة تشبهك كي تعوضني عنك وتجعلني أنساك وأنسى حبي لك الذي ولد بداخلي منذ وعيت على الدنيا عجزت ولم اجد من تحل مكانك مطلقاً ...

رغم كل تلك الممارسات كنت وما زلت في قلبي .

وحدك من تربعت على عرشه ومع ذلك قررت الصمت طالما أنا بعيداً عنك ...

ولكنك جئت إليّ رغم معاندة أمك منعها لك من لقائي ... وهي من أصرت على زواجك من أنور كي تنسي أمر دراستك الجامعية والسكن معي وكنت ستنصاعين لرغبتها وتتخلى عن طموحك ... كانت تريدك امرأة أقل من عادية ككل النساء الموجودات حولها كان تفكيرها هذا يعذبني وأنانيتها تحرمني منك وتشعل النار في قلبي على الدوام ...

حبيبتي لم أخبرك بأن الفترة التي عشتها في منزلي أثناء دراستك كانت أجمل أيام حياتي وهل أكره وأنا الشاب الذي يعشق وجودك إلى جانبي وجودي معك ليلاً نهاراً ... أراقبك على الدوام وأكثر ما كان يؤلمني هو ذلك الجدار الذي يفصل غرفتي عن غرفتك لطالما وقفت خلفه وسمعت وقع خطواتك في الغرفة طالما سمعت تنهداتك وأحسست بآهاتك التي كنت تطلقين العنان لها لأسباب أجهلها ..

كم تمنيت تحطيم ذلك الجدار كي أركض إليك وآخذك بين ذراعي وأضمك بقوة ... وكم تمنيت لو تضمنا لحظات نعيش فيها كحبيبين يتوقان للقاء بعض كي نعوض كل ما فاتنا من حرمان ...

حبك لمازن جعلني أتألم وأتمزق من الأعماق وكنت أشب ناراً كلما رأيتكما معاً .

كيف أحمل لك كل ذلك الحب بداخلي ويأتي رجل أخر ويأخذك مني ..

أبعدته عنك ولم تكن تلك أنانية مني فأنا لم أصل إلى ذلك الحد من الحقارة كي أحرمك ممن تحبين فأنا كنت أعلم بأنه لا يناسبك وإنه شاب مستهتر للغاية .

هل تذكرين عندما رقصنا معاً ؟

في تلك الليلة كنت قريبة مني أكثر من أي وقت مضى .

تمنيت وقتها لو ينشق صدري كي أخفيك بين حناياه وأبعدك عن كل العيون ... بينما كانت ذراعي تحيطك كنت أحس باني ملكت الدنيا ... وذلك الحوار المطول الذي ارتجلته معك بحجة أدائي لدور البطولة أمامك .

لم أكن حينها أحبذ دخولك في مجال التمثيل إنما أردت أن أختبر مقدار حبي لك .

يدي حملت يدك وشفتي قبلت شفتيك .

مازال ذلك الحوار محفوراً في ذاكرتي كما لو أني ألقيته على مسامعك اليوم .

ما زلت أحس حلاوة قبلتك ومازال طعم شفتيك بين شفتي .. فرحت يومها ... أجل .... أضم حبيبتي إلى صدري أقبلها .. أعانقها بعد صبري الطويل ...

أكتب لك هذه الرسالة المطولة وبداخلي تتأجج كل المشاعر وأنا على أمل أن يصلني ردك قبل سفري إلى ألمانيا ... إن كنت تحملين لي في قلبك نفس المشاعر عودي من أجلي وقفي في طريق هجرتي أرجوك حطمي ذلك السد المنيع الذي وضعته أمي في طريقنا و حطمي المجتمع الذي حالت عاداته وتقاليده دون لقاءنا .

**ملاحظة**

حبيبتي تذكري إن لم يردني منك رداً سأعرف بأنك لا تحبيني إلا كأخ لك وقتها لن يقف أحداً في طريق هجرتي وسأتزوج من فتاة أخرى رغم أني لن أبادل أية امرأة نفس المشاعر التي أحملها لك كل ما أعرفه إني سأهرب منك إليها ...

ستحمل أمي هذه الرسالة إلى البريد لأنها ستزور إحدى صديقاتها في البلدة المجاورة وأتمنى أن يصلني ردك هاتفياً أختصاراً للوقت .

المتيم بك ... ماهر....

تأملت الرسالة بلهفة وشوق كبيرين ثم غطيت وجهي بها كما لو كنت أريد تقبيلها ... وبكيت ... بكيت ..

بكيت بمرارة ... وصحت ... أيها الأحمق كان يمكنك أن تأتي إلى بيروت لتخبرني عن حبك لي وعن مشاعرك تجاهي . كيف لك أن تعلم بأن رسالتك قد وصلتني أصلا كي تحكم عليّ وتتخلى عني ؟

ترسل رسالتك مع أمك .. أمك التي منعت حبنا وأبعدتك عن البلدة بسببي .. آه .. آه منك يا ماهر.

ليتك كنت جريئاً بما يكفي لتقولها لي من يومها بأنك تحبني .. ليتك قلتها أحبك كي أخبرك أنا أيضاً بانك رجل حياتي .

فات الآوان .. فات الآوان الآن .

نهضت وأنا أعصر الرسالة المبللة بدموعي بقبضة يدي وسرت نحو حقيبتي متثاقلة ودسيت الرسالة بين ثيابي في الحقيبة وثم سرت نحو الباب وأنا أمسح دموعي قبل أن أخرج من الغرفة ...

كانت أمي تجلس في الصالون ترشف قهوتها ...

رشقتها بنظراتي الحاقدة ... حقاً بدات أكرهها .

لماذا فعلت بنا هذا ؟

ماذا جنيت من كل مافعلته غير أنك خسرت إبنك إلى الأبد .. هاهي خسرت إبنها وخسرتني ...

وتساءلت إن كانت منعت وصول الرسالة إليّ حينها لماذا تأتي الآن وتظهرها كي أقرأها ؟

لم تهتم بنظراتي لها وظلت ترشف قهوتها على حين عبرت الممر الذي يفصل غرفة سامر عن الصالون وغابت عن ناظري

طرقت الباب ودخلت على الفور ظناً مني بان سامر وشاهر مازال في الغرفة مع وليد غير أني فوجئت حين وجدت وليد وحيداً وألبوم صوري بين يديه ...

فوجئت بذلك .. سألته حين أقفلت الباب خلفي .

من أين حصلت على ألبوم صوري ؟

ألا تقولي صباح الخير أولاً ؟

أجبني من أين حصلت على ألبوم صوري ؟

لقد كان مع سامر ثم تركه وخرج من الغرفة .. عرفت أنه يخصك فحملته أتصفحه .

كنت ما أزال غارقة مع وليد في بحر من الذكريات ،فلكل صورة من صوري ذاكرة جميلة ولها أجمل قصة ترويها حياتي الماضية .

أحسست لوهلة بأني انسلخت تماماً عن الواقع الذي أعيش فيه ... تغيرت فجأة وأصبحت إنسانة أخرى مختلفة تماماً عن ريم الأمس .

جسدي ... مشاعري ... أحاسيسي .. تفكيري ... تحرري كل شيء تحول إلى ريم جديدة ... حتى أنا جلست بيني وبين نفسي ولمست الفرق .

كل هذا ومشاعر لذيذة أخذت تداعب رأسي ووليد مازال غارقاً في تأمل صوري التي التقطها هنا وهناك ، للحظات كاد يثور ويغرق نفسه في الصورة التي يحملها .

أعرف تماماً بانه يحبني من اعماقه .. ولكن لماذا أبخل عليه ... لماذا أرفضه وأنا من خسرت حبيبي إلى الأبد؟

صورة أخذها لي ماهر عندما وقعت ذات يوم في النهر ... أصبح وليد يتأمل شعري المبلل في الصورة و هيئتي المضحكة وجسدي الذي يرتعش من البرد وثوبي الذي التصق بجسدي تماماً ..

لم تهمه الصورة حينها فأكثر ما كان يهمه هو وجودي إلى جانبه ... كنا وحدنا حينها بعيدين عن كل العيون .

والآن أنا مع وليد .. تغازلني نظراته الحنونة بصمت وتشجعني إبتسامته الناعمة على مغازلته ...

من قال بأني لم أتمنى أن تضمني ذراعيه ..؟

من قال بأني لا أتمنى بأن يقبلني في تلك اللحظات ؟

وأني أتمنى أن أكون بطلة خواطره وروايته وصديقة حواراته .. وإني أتمنى أن أبكي في تلك اللحظات وأبكي وأرتمي بين أحضانه وتلمسني يديه ويضمني صدره الحنون وتمسح شعري أطراف أصابعه ..

وتساءلت : هل يشعر وليد بكل ما كان يدور في خاطري.

هل مازال يظنني باني ما زلت نفس الفتاة التي تمنعت في السابق ولم تمنحه ما تمنحه الفتاة المحبة لحبيبها ؟

هو لا يعلم بأني حين ذاك كنت أظن بأني في عالم أخر ينتظرني رجل حياتي .

كنت ما أزال أروي حكاية صوري الكثيرة عندما أحسست بيده تزحف نحو يدي المطروحة بأسترخاء فوق الأريكة .

أغمضت عيني وأحسست بذات الإحساس .

كنت وكلما لمستني يده ارتعش.. ارتعد وأحس بالقشعريرة تسري إلى أنحاء جسدي ... بينما أصابعه تضغط على أصابعي وتأخذني إلى عالم غريب ولذيذ .. لم أسحب يدي .. بل نظرت إليه وإبتسامة خافته علت وجهي وتساءلت وقلبي يخفق خفقاناً عجيباً .. إلى متى يستمر ذلك المشهد ؟ وماذا بعد . ؟

أيقنت للحظة بأن المشهد لن يستمر وأن ذلك الاستسلام لضغط يده لم يوصله إلى شيء أخر لأن شيئاً ما دب الرعب في قلبي وقلبه وزلزل كياننا معاً عندما اندفع الباب ودخلت أمي مع سامر وهي تزمجر... أهلاً أهلاً ماذا أرى في منزلي ؟ أوصلت بك الجرأة إلى هذا الحد ؟

أستغربت أقتحامها حريتي وتجريحها لي ...

ماذا كنا نفعل ؟ إنه لمس يدي فقط ..

ماذا كانت ستقول لو رأتنا في حالة غرامية مخجلة لكانت قتلتني على الفور ؟

كل هذا ومازالت مستمرة مكاني ومازالت يدي تحت ضغط يده مفصولة تماماً عن الواقع فدخولها المفاجئ إلى الغرفة شل حركتنا معاً... وبقيت للحظات وعيناي شاخصتان بأمي وأخي الواقفين قبالة الباب ، سحبت يدي بهدوء ووقفت أسألها وكان شيئاً لم يكن ... أمي ماذا هناك ؟

وتسألين ماذا هناك ؟

وأنت تجلسين في خلوة مع رجل لا نعرف له أصل ولا فصل والباب موصداً عليكما ويده تمسك يدك ؟ أين ذهبت ريم الخجولة ؟ أم أن بيروت عرتك من أصلك وجذورك وألبستك ثوباً يزينه الفجور وقلة الأدب فقلت لها :

أمي أرجوك لا داعي للتجريح .. ثم كان بأمكانك أن تكوني أكثر تهذيباً قبل أن تدفعي الباب بتلك الطريقة غير اللائقة ...

أقتربت من أمي ومسكت يدها وخرجت بها خارج الغرفة ورمقت وليد بنظرة خجلة وقلت له :

وليد يمكنك إنتظاري سنخرج معاً كما وعدتك ثم غيبني الباب مع أمي .

انزعج وليد من نفسه وهو يظن بانه السبب بكل ما يحدث ... تخاذل ثم هبط فوق الأريكة وهو ينظر إلى ألبوم صوري وأسئلة كثيرة تتصارع في رأسه .

أردت نسيان كل ما دار من حوار في المنزل وانا في صحبة وليد ... حتى الرسالة المطولة أردت نسيانها وما زلت أفكر أسلوبها في التفكير...

كيف لم ترضعني خوفاً من أن يحبني أحد أبنائها وكيف تكون هي السبب بأبعاد إبنها وتعاسته ؟

ليس ما تحمله لأبنها حب إذاً .. ماهركان محقاً فامه كانت أقسى من المجتمع والظروف .

كنا ما نزال نسير جنباً إلى جنب نستمتع بالمناظر الخلابة .. أحسست بيده تقترب لتمس يدي مساً خفيفاً ثم سرعان ما حصل عليها وضغط على أصابعي وهو يقول :

ريم لا يمكنني البقاء هنا أكثر من ذلك ...

لا تقل هذا أرجوك ...

رأيت ماحدث وكأننا أرتكبنا أكبر المعاصي حين لمست يدك .

أشعر بأني في سجن صدقيني وانا لم أعتد على هذا ..

لهذه القيود تركت أهلي وعشت وحيداً...

لن يقيدني أحد أنا حر وسأبقى كذلك

لم أجادله لأنني أعلم بأنه محق فكل ما حدث منذ وصولنا كان خارجاً عن طبيعتنا .

قاطعني حين سألني سؤاله ولم أكن أتوقع ذلك قال :

أين هو حبيبك الذي جئت إلى هنا من أجله؟

لم يعد لي حبيب لقد سافر مع امرأة أخرى ..

وكيف علمت بذلك؟

ترك لي رسالة كانت كافية لتوضيح كل شيء ...

أخبرني أخوك سامر بأن أمك تغيرت كثيراً بعد وفاة أبيك ...

أعرف هذا فعلى ما يبدو رحليه أثر سلباً عليها ..

هل أفهم بأن لا مكان لي في قلبك ؟

لا وليد بل أنت تربعت على عرشي منذ رأيتك للمرة الأولى غير أني لم أكن مستعدة وقتها للحديث عن أي إرتباط أو زواج ، أنت الرجل الوحيد الذي التقيته وينظر إليّ نظرة حب بصدق .. نظرة لا ترقص الشهوة فيها .. أنت حبيبي وليد ...أحببتني بحق ولم تشتهيني وهذا عظيم جداً بالنسبة لي ..

أقتربنا من النهر ... صرت أجري نحوه كطفلة صغيرة وصحت بأعلى صوتي وانا أبتعد عن وليد ... اتبعني فلا أحلى في هذه الحياة من أن ينسى المرء همومه ويعيش للحظة التي هو فيها ...

ركض وليد إلى حيث أقف وعندما رايته يقترب أستغليت الفرصة وانحنيت إلى الماء وحملت بين كفي القليل من الماء وصرت أرشقه بالماء .. وقف لبعض الوقت ومسح الماء عن وجهه ونظراته توعدتني بالأنتقام مني كي يرد لي الصاع صاعين.

ثم رأيته يقترب من الماء وأخذ ينهال عليّ رشقاً بالماء فلم أستطع ردها عني فنزلت إلى النهر كي أدافع عن نفسي وأرشقه غير أن الماء اثقل ثيابي وأرهقني اللعب فخرجت من النهر متثاقلة فتبعني وأخذ يرشقني للمرة الأخيرة وهو يقول :

هربت يا جبانة ...

التفت إليه وقد ابتعدت عنه بضع خطوات وأنا أقول :

ليس هربي جبناً أنظر ماذا فعلت بي ...

وهل كنت بريئة عندما قمت أنت برشقني أولاً ؟

كلانا مذنبين أعرف ...

فوجئت به يقترب مني وتحيطيني ذراعاه إحاطة السوار بالمعصم وقال:

ريم .. الآن أريد الأعتراف لك ... لقد بدأت الشهوة ترقص في عيني.. أحبك ريم واشتهيك ولكن على طريقتي أنا وليس على طريقة الأخرين ... أعشق مظهرك المبلل وهروبك وصمتك ... أعشق كل جارحة من جوارحك ...

لم أحاول التملص منه أو الهروب كما لو كنت أنتظر مبادرته تلك ... ألم أتمنى أن يلمسني وتحيطني ذراعاه .. ها هو يفعلها .. وها أنا استسلم للمساته وهمساته التي بدات تشعل النار في جسدي .

ها أنا أترك الحرية لأنفاسه الدافئة بالتسلل و استنشاق رحيق شعري المبلل .

أحس بخدر لذيذ يتسلل إلى جسدي .. وتغمرني نشوة عذبة رحلت بي إلى حيث كنت أريد الرحيل مع ماهر ذات يوم ..

ثم همس في أذني على حين كنت سكرى تماماً بصوته الشجي ..

ماذا تحبين أن نصنع الآن ؟

أنت ماذا تحب ؟

أن تجري وأجري خلفك تقعين على الأرض وتتدحرجين على التراب كالكرة والحق بك ونتحول إلى طفلين صغيرين ...

أحب أن أعود طفلة تعدو في هذه المكان... أحب أن ألمحك تقف خلف الشجرة تراقبني لتلقط لي أجمل الصور التذكارية ، أحب أن أعود تلك الطفلة الشيقة التي تجري خلف أبيها خلسة إلى الحقل وتعبث في الزرع فيجري خلفي محاولاً تأديبي ..

أشتاق للعودة إلى الماضي بكل ما فيه ...

ولكني لم أعد طفلة.. ريم الأمس تغيرت كثيراً أصبحت كالطير الذي يحلق في السماء ويجوب العالم من خلال جناحين صغيرين كي أكتشف العالم من حولي .

فوجئت به يقف أمامي وكفيه تمسكان كتفي ثم تأملني لبعض الوقت ورفع شعري المبلل عن وجهي وهو يهمس في أذني ... جميلة ... جميلة جداً وأنت مبللة يا ريم .

لا ... تشعرني بالغرور...

خانه ذكاؤه هذه المرة فلم يحاول حتى سؤالي عما أصبح يدور في رأسي بينما نحن معاً ....

كنت ما أزال في غمرة ذهولي وأندهاشي عندما أحسست به يقترب مني ويباغتني بقبلة لم أستطع مقاومتها وكانه أراد أن يمحو دهشتي من وجهي وينتشر عبير أنفاسه الدافئة فيه وتساءلت بيني وبين نفسي أمعقول أني نسيت ماهر... وقبلة ماهر.

لم لا فهو لم يتجرأ لسؤالي وسافر دون أن يسمعها مني .

وليد هذا الذي يقف بالقرب مني وجسدي قريب منه كل هذا القرب ويداه تطوقان رأسي وشفتاه تتغذيان من شهد شفتي.. كنت مسحورة بلمساته وهمساته ودفئه وحنانه ولكنني فوجئت حين سرقني

من إحساسي اللذيذ وشعوري بالنشوة والأنتصار حين قطع علي قبلته ودفعني عنه برفق فأفزعني موقفه المفاجئ وهو الذي انتظر طويلاً حتى منحته تلك الفرصة .

صرخت به:

ما بك ؟

قال وهو يلتفت حوله وكأني لمحت أحد أشقائك ويأتي إلى هنا ..

ارتعدت فرائصي وصرت أجيل البصر في المكان ثم سألته :

ترى هل رانا ؟

بالطبع ونظراته توعدتني بالشر ...

إذا كان يراقبنا.. لا بد أنه سيخبر أمي ولم نسلم من لسانها هذه المرة .

وليد دعنا نعود إلى المنزل فربما نستطيع الوصول قبله وننقذ ما يمكن إنقاذه .

صدقيني عالمك هناك لا يعجبني مطلقاً .. وكأننا في سجن .

إنها العادات والتقاليد ومع ذلك سأضع حداً لكل ما يحدث .

أفضل ألا أكون معك .

ومن يساندني إن تكاثروا عليّ ؟

سار معي متأبطاً يدي ... طالما نحن معاً لن يخيفني زعيقهم .. أنا قوية به ...وليد أصبح كل ما لدي بعد ان خسرت ماهر وخسرت أبي وأجمل سنين عمري في الماضي .. فتلك النزهة المطولة التي وعدته بها فشلت قبلته لي تحولت إلى سراب حين غمرها الخوف .

بالفعل في هذه البلدة الجميلة لم يعد لي إلا الذكريات الحلوة وألبوم صور ...

*****

# " أكون ... أو لا أكون "

هذا شعاري في الحياة بعد إن عدت إلى البلدة .

رغم أحساسي بالانتقاد إلا إنني كنت اشعر بثقة كبيرة بينما أسير مع وليد جنباً لجنب .

سيتكلم الجميع عن الأعراف والتقاليد في البلدة وسيسأل الجميع ـ عن جرأتي بالسماح لوليد بتقبيلي فلا أحد سيدرك بأن ذلك الرجل هو حبيبي الآن .

أجل ليس عليّ أن أخاف ولا أن اجبن .

إني مستعدة تماماً لمواجهة الطوفان ومع ذلك لا أنكر خوفي من الجميع في وجهينا حين تحول المنزل بلحظات إلى قاعة محكمة وأمي واخوتي تحولوا إلى قضاة والأسئلة أخذت تنهال عليّ من كل جانب ... لم أستطع صبراً فأخذت أدافع عن نفسي بكل الوسائل ومع ذلك عجزت عن المتابعة ويئست وما من محام يقف أمامي لينصفني ويحميني من ذلك الحشد المتراكم من الأسئلة .

أحسست بالوحدة بين الجميع رغم تعليمهم وتطور عقولهم وانفتاحهم مازالوا لا يتركون مجالاً للنقاش أو التفاهم ... لكم تمنيت إختراق ذلك الحصار كي أهجر الجميع وأهرول إلى غرفتي كي لا أرى وجوههم ولكن هيهات فالجلسة مازالت في أولها وبالتالي لا يحق لي مغادرة القاعة قبل أن ترفع الجلسة وتنطق عدالة المحكمة بالحكم النهائي ...

لم أكن أملك إلا أن أراقب الجميع وهم يشنون حربهم عليّ ... مللت من ذلك الكم الهائل من الأسئلة وتساءلت ساخرة من كل ما يحدث ؟

أهذا هو الماضي الذي كنت أسعى من أجل العودة إليه ؟ أهذا هو العالم الجميل الذي رسمته لوليد حتى بات متشوقاً لرؤيته ؟

ظننت بانه من خلال هذه البلدة الجميلة سيصنع لنفسه رواية يستقيها من الطبيعة ومن خلال عائلتي المثالية ..

أحلام .. كل ما عشته في الماضي كان أضغان أحلام ...

تزاحمت في رأسي الأسئلة وتصارعت .. حتى ضقت ذرعاً بأحاديثهم المملة وانتقاداتهم غير المنطقية... أخيراً أستطعت إختراق ذلك الحصار للحظة حتى ظننتني نجوت منهم جميعاً على حين أقتربت أمي مني ومسكت كتفي بعنف و صرخت بي :

إلى اين تهربين ؟

ما عدت استطيع صبراً ... وكأني في محكمة ... وكأنكم لستم أهلي ... مللت منكم ... ومن كل ما يحدث ... دعوني منكم ومن أسئلتكم ...

ولكننا لم ننتهي بعد ...

وما الذي تبقى لديكم ؟

أخبريني ما عمق العلاقة بينكما ؟

أمي أخبرتك بأن وليد صديقي ....

لست غبية وما رآه أخوك ماذا تسميه؟ كنتما شبه ملتصقين... أهذه هي الصداقة في نظركما ؟ أهذه هي الحرية التي تطمحين إليها ؟

وفاجأ وليد الجميع حين أبعد أمي عني رغم أنه كان صامتاً طوال الوقت يراقب ما يحدث أمامه دون أن يحرك جارحة من جوارحه ...

استغربت تحركه المفاجئ وأستغربت لهفته عليّ رغم أن تلك المرأة هي أمي ومن يقفون امامها هم أخوتي .

رغم أصرار وليد على أمي كي تتركني وشأني غير أنها فاجأتني وفاجأت الجميع حين إنهالت عليّ تصفعني مما زلزل كياني وفجر بركان غضبي وذلك ما جعلني أزداد شراسة بحيث دفعت أمي عني وهرولت مسرعة إلى غرفتي، وما هي إلا لحظات حتى خرجت مع حقيبة ملابسي التي لم أفرغ منها الملابس بعد.

أقتربت من وليد ورشقت الجميع بنظراتي الغاضبة والحاقدة .. فاجأني وليد حين أقترب من أمي وهمس في أذنها كي يغيظها.. وقال: سيدتي ما لا تعرفينه أنت وأبنائك هو أن ريم هذه حبيبتي وخطيبتي

رسمياً وقد طلبتها من والدها كمال في بيروت وقد وافق على زواجنا إن هي قبلت طلبي وما جئنا إلى هنا إلا كي نعلمكم بالأمر كي تشاركونا الفرحة ولكن أنظروا كيف عاملتمونا ....

لم أعترض على كلمة قالها... بل نظرت إليه ومسكت يده وقلت له...

حبيبي هل أنت مستعد للرحيل إلى بيروت .

لم يرد .. بل تأمل الجميع وخاف من ان يشنوا علينا غضبهم وحربهم من جديد، اقتربت أمي مني وصرخت غاضبة :

إلى أين ؟

سأعود إلى بيروت البلد الذي أحتواني واشعرني بالآمان.. أشعرني بإنسانيتي وحريتي.. وسأعتمد على نفسي بكل الأمور المتعلقة بي دون الأعتماد على أحد منكم... آن لي أن أتحرر من قيودكم التي أحطتموني بها ... أريد أن أكون أنا وللمرة الأولى .

أحس وليد بان ثورة ما ستندلع علينا فدخل إلى الغرفة .. غرفة سامر يخرج حقيبة ملابسه هو الأخر.

خرج بعد لحظات بحقيبة ملابسه ومعها ألبوم صوري الذي تركه على الطاولة قبل خروجنا ...

سعدت بذلك لأنني وبغمرة غضبي كدت أنسى كل ما يتعلق بي حتى ألبوم صوري ...

سرنا معاً على حين صاح الجميع بصوت واحد .. ريم .

نظرت إلى الجميع وأنا أهز رأسي رافضة العودة إليهم ..

فقال سامر: أرجوكي عودي ريم أنت ما زلت أختنا ...

لم أكن لأسمع توسلاتهم تلك لأن الباب كان قد غيبني ووليد معاً.

أحسست لأول مرة بالانتصار على عالمي والتقاليد .

أنتظرت حتى على نفسي وذاتي ... أنتصرت على الذي يعيش بداخلي ..

لن أعيش في جلباب الماضي والعادات والتقاليد ولن تجرفني عواطفي وحنيني إلى ماضي ولد فيها .. ولن أجر خلفي أذيال الخيبة ... هيهات .. هيهات للماضي الجميل الذي عشته في ذلك المكان في تلك البقعة من الأرض .

أحسست بسيارة وليد تنطلق بنا مسرعة كالبرق وأنا ألمحه يكاد يرقص من الفرحة .. لأني عدت معه وقد ظن بأني سأظل في البلدة .. أنا برفقته وهذا جل ما كان يتمناه .. أنا لم أعترض على كلماته حين قال بأني حبيبته وخطيبته .. يالتلك الثقة التي جعلتني أتخلى عن بلدتي وأهلي من ربوني كي أسافر وأشتري لنفسي مستقبل أفضل من الماضي الذي مضى .

أوربما أصنع لنفسي هوية ...

سألني : إلى أين نذهب الآن ؟

وليد خذني إلى المدينة سأسحب أوراقي الجامعية كي اتابع دراستي ... ألا ترى معي بأن من الضروري جداً أن أتابع دراستي في بيروت ... ؟

بالطبع ... وماذا ستدرسين ؟ هل تدرسين الطب ؟

لا ... سأدرس التمثيل .. أحب الدخول في هذا المجال، لدي موهبة منذ الصغر وأملك طاقة هائلة تؤهلني للدخول في هذا المجال من أوسع أبوابه ...

أتمنى لك التوفيق وأنا سأشد على يدك ....

سأكون معك أينما كنت بالفعل ليس أحلى بالنسبة لي من أن تحققي أحلامك ...

همس لي ويده ماتزال ممسكة عجلة القيادة ..

ربم سنتزوج أليس كذلك ؟

لم أرد عليه .. نظرت إليه بعد ردهة من الصمت و تمتمت نتزوج ..؟ ... كيف ... ولماذا ...؟

وفكرت .. أأعود إلى هناك كي أتزوج من يحكمني رجل بعاداته وتقاليده ... يقيدني بسلاسل ذهبية باسم الحب ... أين ستكون شخصيتي وقراري .. أين منهجي ومبدئي اللذين نويت السير في طريقهما وأنا وحدي بدون قيود وعادات وتقاليد ...

صرخت نفسي بصمت .. لا ... لن يحكمني رجل .. لن أكون ملكاً لرجل .. على الأقل ليس الآن ... فأنا لم أترك عالمي والناس الذين كانوا أهلي وأذهب إلى بيروت كي أسلم نفسي وقلبي ومشاعري وعواطفي لرجل اسمه زوجي حتى وإن كان حبيبي ...

ستفتح لي بيروت أبواب جامعاتها على المصارع كي إنهل علمي هناك وأبدأ من جديد وانطلق نحو حياة جديدة وأسير خلف أهدافي واحقق طموحاتي وأحلامي وأثبت للعالم من حولي بأني جديرة بأن أحمل لقب سيدة هذا العصر...

سأبقى مالكة نفسي وقراري .. ومن يدري ربما أجمع المجد من أطرافه ... وربما أملكه .. ووليد حبيبي ماذا عنه وهو المتيم بي ..وأغمضت عيني لبعض الوقت وفكرت .. ما زلت أحس بلمساته ومازالت تدغدغ مشاعري همساته ومازالت تسرقني من نفسي حركاته وتخيلت الصورة التي كنا علها بينما كنا مبللين قرب النهر وفمه مطبق على فمي بطريقة رومانسية ساحرة .. لم أنسى على الأطلاق حلاوة قبلته تلك .. قبلته التي كادت تجعلني أتلاشى بين ذراعيه .. ما هذا التناقض الذي يغزوني فبرغم كل تلك المشاعر والأحاسيس اللذيذة التي دغدغتني وعايشتني ما زلت أحس بأن حبه سيقدنني إلى الأبد ويصهرني وأنا من حطمت قيود الماضي إلى الأبد وتحررت من سجني لتوي ورميت خلفي كل العوائق ودست على العادات و التقاليد ... سحقاً ... مللت ... مللت .. دائماً قيوداً ومحرمات.

دائماً تريد الأخلاق والمبادئ إيقافنا عند حدنا وكأننا ولدنا ونحن أسيرين لتلك المبادئ ...

وليد لا يعلم حتى تلك اللحظة بأني ما زلت حيرى وأني سأنتفض إنتفاضي وأشن حربي على الظروف وأحصل على حريتي وأحطم أغلال الخوف التي كانت كامنة بداخلي ...سأبقى مالكة نفسي ... أجل حتى وليد رغم الحب الذي أحمله له بداخلي ورغم إحساسي بتلك المشاعر اللذيذة التي أعيشها كلما كنا معاً .. رغم كل ما فيه من حب لي ومن عواطف جياشة لا يحق له إمتلاكي ...

حتى عندما وصلنا إلى بيروت مازال سؤاله معلقاً بلا إجابة ولكنني كنت سعيدة بذلك الحب...الذي يحمله لي بداخله فذلك الحب يمدني بالقوة ويشعرني بالغرور ورغم أنه يقيدني إلى الأبد .

نظرات تلوى النظرات كنت أسترقها لنفسي منه بين لحظة وأخرى أتأمل معالم وجهه التي عبرت بطريقة رائعة عن مدى سعادته بي ....

مازال يشعر بأنتصاره كوني ما زلت معه ... حتى هو أصبح يظن بأنه يملكني .. ولكن هيهات .. هيهات.

فبرغم ذلك الأنتصار الذي يحسه داخل أعماقه مازال لا يملكني وما زلت أملك نفسي ... وبلحظة تهت عن نفسي وواقعي وماذا عن حبي الأول ... ووليد ... ماذا عنه؟ أحبه أعشقه ولكني أرفض أن يملكني ... أنا ما زلت في حيرة من أمري...

**أكون أو لا أكون .**

" الواقع مجرد سؤال "

* * *